طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

٤/٤

صوم نينوى
والصوم المقدس الكبير

طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

٤/٤

صوم نينوى

والصوم المقدس الكبير

قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية

الكتـــاب: صوم نينوى والصوم المقدّس الكبير
الكـــاتب: الرّاهب القس أثناسيوس المقاري
(راهبٌ من الكنيسة القبطيّة)
المطبـــعة: شركة الطّباعة المصريّة، العبور، ت/ ٤٦١٠٠٥٨٩
الطّبـــعة: الأولى، يناير ٢٠٠٩م
الترقيم الدّولي: 3 - 265 - 240 – 977
رقم الإيداع بدار الكُتب: ٢٠٠٨/١٠١٤٩

كافة حقوق الطّبع والنّشر محفوظة للمؤلّف

ثمن النّسخة ١٢ جنيهاً

المحتويات

مقدّمة عامة ١٣

الباب الأوّل
آية يونان النّبي وصوم نينوى

الفصل الأوّل: حول كرازة يونان النّبي وصوم نينوى ١٩

تمهيد ٢٠
إطلالة تاريخيّة على الحضارتين البابليّة والآشوريّة ٢٢
الإمبراطوريّة البابليّة القديمة ٢٢
الإمبراطوريّة الآشوريّة ٢٣
الإمبراطوريّة البابليّة الثّانية ٢٥
مدينة نينوى ٢٧
من هو يونان النّبي؟ ٣٠
الفكر الآبائي في قصد الرّب من تقديم يونان آية لجيله ٣١

الفصل الثّاني: صوم نينوى تاريخياً وطقسياً ٣٥

صوم نينوى من الوجهة التّاريخيّة ٣٦
صوم نينوى من الوجهة الطّقسيّة ٣٧
بيان بمخطوطات ترتيب البيعة المستخدمة في هذه الدّراسة ٣٧
طقوس الصّلوات في أيام صوم نينوى ٣٩
(١) تسبحة نصف اللّيل والسّحَر في صوم نينوى ٤١
(٢) صلوات رفع بخور باكر صوم نينوى ٤٢
(٣) وقت تقدمة القُربان في صوم نينوى ٤٦
لمحة عن قراءات صوم نينوى ٥١

البَاب الثَّاني

إطلالة تاريخيَّة على الصَّوم المقدَّس الكبير

الفَصل الأوَّل: المراحل التَّاريخيَّة لتطوُّر فترة الصَّوم الذي يسبق عيد الفصح شرقاً وغرباً

في الثَّلاثة قرون الأولى ٥٨
منذ بداية القرن الرَّابع الميلادي وحتى منتصف القرن الخامس ٦٠
منذ منتصف القرن الخامس الميلادي حتى نهاية السَّادس ٦٥
القرن السَّابع الميلادي فصاعداً ٦٦
الصَّوم المقدَّس الكبير في مختلف الكنائس في الوَقت الحالي ٧٠
في الشَّرق المسيحي ٧٠
في الغرب المسيحي ٧١

الفَصل الثَّاني: الصَّوم الكبير في الكنيسة القبطيَّة من الوجهة التَّاريخيَّة ٧٣

تمهيد ٧٤
أولاً: متى ضُمَّ الصَّوم الأربعيني إلى صوم أسبوع الفصح؟ ٧٤
ما يذكره ابن كبر والسِّنكسار القبطي ٧٤
إثبات أنَّ ضم الصَّوم الأربعيني إلى أسبوع الفصح (البَصخة)
قد حدث في أيام البابا أثناسيوس الرَّسولي ٨٠
ثانياً: حول صوم أسبوع هرقل ٨٤
عند ابن كبر وفي قطمارس الصَّوم الكبير ٨٤
تعقيب وشرح ٨٧

الفَصل الثَّالث: الصَّوم الكبير في الكنيسة القبطيَّة عند الصَّفي بن العسَّال وابن كبر وابن سباع ٩٣

تمهيد ٩٤

(١) كتاب المجموع الصَّفوي لابن العسَّال (البَاب ١٥) ـــــــ ٩٦
(٢) كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدم لابن كبر (البَاب ١٨) ـــ ١٠١
(٣) كتاب الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة لابن سباع (البَاب ٣٢) ـــ ١٠٧

الفَصل الرَّابع: أسبقيَّة إقامة القدَّاسات في سبوت وآحاد الصَّوم الكبير ـــــ ١١١

أولاً: إقامة القُدَّاسات في سبوت وآحاد الصَّوم الكبير ـــــــ ١١٢
ثانياً: مراحل إقامة القُدَّاسات في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير ـــــ ١١٩
الخلاصة ـــــــ ١٢٣

البَاب الثَّالث

الصَّلوات الطَّقسيَّة لأحد الرِّفاع وأيام الصَّوم المقدَّس الكبير

الفَصل الأوَّل: طقوس صلوات أحد الرِّفاع ورفع بخور باكر أيام الصَّوم المقدَّس الكبير ـــــــ ١٢٧

أولاً: طقس يوم أحد رفاع الصَّوم المقدَّس الكبير ـــــــ ١٢٨
ثانياً: طقس رفع بخور باكر أيام الصَّوم المقدَّس الكبير ـــــــ ١٢٩
بحثٌ في أصول نغمة أيام الصَّوم المقدس الكبير، والتي تدعوها مخطوطات ترتيب البيعة "لحن الحُزن" ـــــــ ١٢٩
(أ) طقس رفع بخور باكر أيام الصَّوم الكبير عند ابن كبر ـــــ ١٣٣
(ب) طقس رفع بخور باكر أيام الصَّوم الكبير بحسب المخطوطات ـــ ١٣٦
(ج) شرح طقس صلوات رفع بخور باكر أيام الصَّوم الكبير ـــ ١٣٨
الأصول الأولى لقراءة فصول من النُّبوَّات وطقس قراءتها ١٤٠
طلبة: أيها الطَّويل الأناة بعد الانتهاء من قراءة النُّبوَّات ـــــ ١٤٥

الفَصل الثَّاني: طقوس قدَّاسات الأيام في الصَّوم المقدَّس الكبير ـــــ ١٥١

ما يذكره ابن كبر عن قدَّاسات الأيام في الصَّوم الكبير ـــــــ ١٥٢

ثانياً تذكره مخطوطات مرتبة المبعة عن قدّاسات أيام الصّوم الكبير
(أ) طقس قدّاسات أيام الصّوم في حالة عدم حضور رئيس الكهنة ١٥٢
(ب) طقس قدّاسات أيام الصّوم في حالة حضور رئيس الكهنة ١٥٢
شرح طقس القدّاس في أيام الصّوم الكبير ١٥٤
صلوات السّواعي قبل بدء القدّاس ١٥٦
مرد دورة الحمل في قدّاسات أيام الصّوم الكبير ١٥٦
المرفع الطقسي الصّحيح لمرد "صونيس" (حنصت) ١٥٧
لحن العذراء "الخمرة الذهب" ١٥٨
مرد الإبركسيس ١٦٠
مرد الإنجيل ١٦٢
التّوزيع ١٦٥
مديح يُقال في التّوزيع في الصّوم المقدّس الكبير ١٦٥
١٦٩

الباب الرّابع

الصّلوات الطّقسيّة لسُبوت وآحاد الصّوم المقدّس الكبير

الفصل الأوّل: بخور باكر وقدّاسات السُّبوت، وبخور عشيّة الآحاد ١٧٣
أولاً: ترتيب خور باكر وقدّاسات سبوت الصّوم المقدّس ١٧٤
ثانياً: طقس عشيّة آحاد الصّوم الكبير ١٧٥
الإبصالية الواضي في نسخة عشية الصوم الكبير ١٧٦
قطع مدائح عربي على تيوطوكيه بوم السبت ١٧٨
طروحات تسبحة عشيّة آحاد الصّوم الكبير ١٧٩
طروحات الأحد الأوّل ١٨٠
طروحات الأحد الثّاني ١٨١
طروحات الأحد الثّالث ١٨٢
طروحات الأحد الرّابع ١٨٣

طروحات الأحد الخامس ـــــــــــــــ ١٨٤
طروحات الأحد السّادس ـــــــــــــــ ١٨٥
خلاصة القول في طروحات آحاد الصّوم الكبير ـــــــــ ١٨٦
أرباع النّاقوس في رفع بخور عشيّة الآحاد ـــــــــــــ ١٨٩
ذُكصولوجيّات الصّوم الكبير في رفع البُخور ـــــــــــ ١٩٠

الفَصل الثّاني: تسبحة نصف اللّيل والسّحَر للصّوم المقدّس الكبير ـــ ١٩٧

تسبحة نصف اللّيل والسّحَر للصّوم الكبير بحسب المخطوطات ـــ ١٩٨
افوس الكبير للصّوم المقدّس الكبير ـــــــــــــــ ١٩٩
إبصالّيات الصّوم المقدّس الكبير ـــــــــــــــ ٢٠٢
سع إبصالّيات في تسبحة نصف اللّيل في الصّوم المقدّس الكبير ـــ ٢٠٣

الفَصل الثّالث: قدّاسات آحاد الصّوم المقدّس الكبير ـــــــــ ٢٠٧

طقس قدّاسات آحاد الصّوم الكبير بحسب المخطوطات ـــــــ ٢٠٨
شرح طقس صلوات قدّاسات الآحاد في الصّوم الكبير ـــــــ ٢٠٩
مرد دورة الحَمَل في قدّاسات آحاد الصّوم الكبير ـــــــ ٢٠٩
خس Cωθнc ammn (سوتيس آمين) أي "خلُصتَ حقاً" ـ ٢٠٩
خس العذراء ـــــــــــــــ ٢١٠
مرد الإبركسيس ـــــــــــــــ ٢١٢
السّنكسار ـــــــــــــــ ٢١٣
خس "مبعالو" وتصحيح يلزم تداركه ـــــــــــــــ ٢١٤
أسموس "مبعالوس" وموقعه الطّقسي الصّحيح ـــــــــ ٢١٥
سبب عدم وجود مرد مميّز للمزمور في الصّوم الكبير ـــــــ ٢١٧
سقوط مردّات فصول أناجيل آحاد الصّوم الكبير ـــــــ ٢١٨
الأسموسات التي تُقال في الصّوم المقدّس الكبير ـــــــ ٢١٨
التّوزيع في قدّاسات آحاد الصّوم الكبير ـــــــــــــــ ٢١٩
ختام الصّلوات في قدّاسات آحاد الصّوم الكبير ـــــــــ ٢٢٠

صلاة مساء الأحد في الصّوم المقدّس الكبير
ابن كبر يشير إلى قُدّاس الأحد وصلاة المساء له في الصّوم الكبير ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢

الفَصل الرّابع: مردّات أناجيل آحاد الصّوم المقدّس الكبير ـ ٢٢٣

الفَصل الخامس: حول قراءات الصّوم المقدّس الكبير في الكنائس الشّرقيّة ـ ٢٣٣

تمهيد

التّسامح والمغفرة هما مدخل قراءات الصّوم الكبير ٢٣٤
ففي الكنيسة القبطيّة ٢٣٥
وفي الكنيسة السّريانيّة الأنطاكيّة ٢٣٦
وفي الكنيسة البيزنطيّة ٢٣٧
قراءات الصّوم الكبير في الكنيسة القبطيّة ٢٣٨
السّوّات التي تُقرأ في رفع بخور باكر ٢٣٨
فصول البولس والإبركسيس في الصّوم الكبير ٢٣٩
فصول الكاثوليكون في الصّوم الكبير ٢٤١
فصول الكاثوليكون في الصّوم الكبير ٢٤١
الخورس الذي يتلو كلّ قراءة في الكنيسة القبطيّة ٢٤١
نوع آخر من دراسة قراءات الكنائس ٢٤٦
قراءات الصّوم الكبير في بعض الكنائس الشّرقيّة ٢٤٨
قراءات الصّوم الكبير في الكنيسة الأرمنيّة ٢٤٨
قراءات الصّوم الكبير في الكنيسة السّريانيّة ٢٤٩
قراءات الصّوم الكبير في الكنيسة البيزنطيّة ٢٥٠
قراءات الصّوم الكبير في الكنيسة الحبشيّة ٢٥٠

الفَصل السّادس: عيد الصّليب وعيد البشارة ٢٥١

عيد الصّليب المجيد الذي يقع في الصّوم الكبير ٢٥٢
عيد الصّليب في الطّقس القبطي ٢٥٢
عيد الصّليب عند بعض الكنائس الشّرقيّة ٢٥٣

مقدّمة عامة

سرٌّ عظيمٌ يفوق عقول البشر، هو سعي مخلّصنا الذي أتى وصار ابن بشر
محب البشر الصالح الذي عال إسرائيل أربعين سنة في البريّة أتى وصار ابن بشر.
ولمّا أكمل التواضع بعد ثلاثين سنة من الزّمان، اعتمد وصام أربعين يومًا
وأربعين ليلة.
وكان مع الوحوش[1] لمّا صام في البريّة، لكي يصنع مثله في زمن وحدتنا.
فتعالوا نصرخ نحوه ونبكي أمامه صارخين قائلين كما علّمنا:
أبانا الذي في السّموات، ليتقدّس اسمُك في كل حين وجيل وإلى أبد الأبد.
ولأنا نحن شعبُك وغنم قطيعك، نحاور عن آثامنا كصالح ومحب البشر.
واجعلنا مستحقّين بعشتك أيها المخلّص في هذه الأيام، ونحن بلا خطيئة مع
صومك نحيا.
ولنحب بعضنا بعضاً ونصنع التواضع لأنها ناموسٌ بكمّل الوصايا.
فالنّاموس والأنبياء، إنما المحبّة التي بغير رياء، لأنها من قبل المحبّة تنال المغفرة.
لنجعل أبواب الكنائس مفتوحة لنا، وكمّلنا في الإيمان المستقيم، لكي ننال
موعد الصّادق من قبلك.
القائل: تعالوا إليّ يا مباركي أبي، وارثوا الحياة الدّائمة إلى الأبد[2].

لصوم المقدّس هو سرٌّ، أسّسه الرّب بنفسه، كي تقتني الكنيسة آثار
خطواته. وهو جهادٌ، بل صراعٌ، ضد ميول القلب الرّديئة، وأوجاع
النفس الخفيّة. هو جهادٌ في جثة ضد أهوائنا، وقمعٌ لتكبّر ذواتنا، كي
نكمّل التواضع كما علّمنا مخلصنا وفعل. وهو صوم مع صلاة بطلبة
ودموع، كي يتحاور الرّب آثامنا في زمن غربتنا. وهو ولوج متواتر إلى

---

١ - يا للوحوش الرّابضة في أعماقنا. فماذا هي أشرسُ من وحوش البريّة التي صام
بينها ربُّنا يسوع المسيح.
٢ - أرباع تُقال باللحن أثناء التّناول من الأسرار المقدّسة في الصّوم المقدّس الكـ

الكنيسة، حيث المسيح على المذبح، يغسل أدناسنا بدمه الكريم، ويطهّر ويشفي نفوسنا وأجسادنا. صوم .. صلاة .. تواضع .. محبّة .. تكميل الإيمان .. وفي النّهاية ميراث الحياة. هذا هو منهج الكنيسة في بساطة في زمان التّوبة هذا، والرّجوع إلى بيت الآب.

وهكذا حين يخيّم الصّوم المقدّس الكبير على الكنيسة براتحته النُّسكيّة، فإنه يُنهض فيها روح الصّلاة. فذكرياته المحفورة في القلب تلهب التّوبة بروح جماعيّة، وسُرعان ما تسقط اهتماماتنا بالأرضيّات للاختلاء بالمسيح في بيته. وفي قلوبنا ومخادعنا، نقتفي درب الخلاص، الذي رسمه لنا الرّب بالصّوم والصّلاة. ولأنّ الكنيسة تُدرك أنّ الصّوم هو معبرها إلى الصّلاة، لذلك فقد اتّسمت صلواتها وألحانها في زمن الصّوم بلحن متميّز، يشيع في النّفس نزوعاً إلى الخشوع، ورغبة في دوام الصّلاة، فيتجدّد الدّاخل بها يوماً فيوماً، بقدر تذلّل الخارج بالصّوم كلّ يوم.

أعط جسدك القداسة، ونفسك محبّة الرّب، وواضع روحك بصنع الخير، كي تُصبح جميلاً لله، فيسكن الله نفسك. لا تحتقر نداء المسكين، ولا تعطه فرصة ليلعنك، إن يلعن المقهور يسمع الرّب طلبته، وإن يدخل المسكين بيتك، يكن الله نفسه قد حلّ في مسكنك. صوموا وتبرّروا، صوموا واغلبوا، صوموا وتطهّروا من الأفكار التي تولّد المكر والإثم، ومن المآكل والخمور والشّرور. ليصم اللّسان والنّفس والجسد والعقل والفكر معاً. لا تقتل الجسد بالصّوم، والنّفس بالآثام. لا يكن لسانك سيفاً يضرب في الخفاء. أن تصُم عن المآكل، فصُم أيضاً عن الشّتائم والتّحقير والنّفاق. أهّلنا يا ربّنا لنصوم جميعاً بقداسة صوماً طاهراً يرضي ألوهيّتك[٣].

٣- من تعليم الكنيسة السّريانيّة الأنطاكيّة وصلواتها عن الصّوم.

وفي نشيد ترتّله الكنيسة السّريانيّة يقول: "حُلوةٌ ولذيذةٌ هي رائحةُ الصّوم، فلنسكب به نفوسنا. لقد صام ربُّنا لأجلنا، فلنَصُم نحن لأجل نفوسنا، فننجو من الجحيم، ونستحق دخول الملكوت، ميراثنا الأخير".

والكتاب الذي بين يديك قارئي العزيز هو رحلةٌ في رحاب الصّوم المقدّس الكبير، تشمُّ فيه طيب نادرين كثير الثّمن، محفوظاً لكَ منذ مئات السّنين، طيباً تقودك رائحته إلى حيث مصدره، يسوع. طيبٌ من صلوات وطلبات وتضرُّعات، طيبٌ من ألحان خشوعيّة، وقراءات كتابيّة، وقدّاسات يوميّة. طيبٌ اشتمّه آباؤنا فسأنعش فيهم الرّوح، وقدّسها، وأهّلها لميراث الحياة العتيدة. وهو ذات الطّيب المحفوظ لك حتى اليوم، لينعش فيك أنفاس الله، فتمتلئ حياتك من رائحة هذا الطّيب، رائحة حياة لحياة هي المسيح، الذي هو الطّريق والحق والحياة، فتبلغ به غاية مرادك حيث تكون كلّ حين مع يسوع، تتذوّق حلاوته، وتنظر وجهه الحبيب في كلّ آن.

وأودُّ الإشارة هنا إلى أنّ ما ورد في هذا الكتاب من دراسة وبحث وتنقيب في العناصر اللّيتورجيّة التي وردت في مخطوطاتنا القديمة، ولاسيّما مخطوطات ترتيب البيعة، ومقارنة هذه العناصر اللّيتورجيّة بما نمارسه منها اليوم، يظل في إطار الدّراسة الأكاديميّة البحتة التي لا تبيح أي تعديل أو تغيير في أيٍّ من هذه العناصر اللّيتورجيّة التي يحويها طقس الصّوم المقدّس الكبير كما نمارسه اليوم في كنائسنا، فهذا أمرٌ من اختصاص السّلطة الكنسيّة وحدها.

فيا ربي وإلهي يسوع اجعل من هذا الكتاب زاداً للطّريق إليك، ونوراً يهدي سبيل الرّاجين بلوغ الميناء السّعيد، ببركة شفاعة العذراء كلّ حين والدة الإله القدّيسة الطّاهرة مريم، وكلّ مصاف السّمائيين. وبركة

صلوات الشُّهداء والقدّيسين. وصلوات قداسة البابا شنوده الثّالث بابا الإسكندريّة وبطريرك الكرازة المرقسيّة، وسائر آبائي المطارنة والأساقفة والقمامصة والقسوس والرُّهبان، وإخوتي الشَّمامسة، وكلّ طغمة العلمانيّين المباركين، آمين.

والمجد والإكرام والسُّجود للآب ينبوع المحبّة، وليسوع المسيح المحبوب وابن المحبّة، وللرُّوح القُدُس رباط المحبّة، الآن وكلّ أوان وإلى آباد الدُّهور كلّها آمين.

البَاب الأوَّل

آية يونان النَّبي وصوم نينوى

الفَصل الأوَّل

حول كرازة يونان النَّبي وصوم نينوى

تمهيد

في سفر يونان النّبي قصّة بديعة، بدايتها إنذار بهلاك وخراب، ونهايتها عفو وإشفاق ونجاة. ومن بين ما يحمله هذا السِّفر البديع من تعليم وعزاء، هناك مشهدان لنبي طيِّب القلب بسيط النَّفس، صار بنفسه مثالاً للمسيح الذي قال عنه: «كما كان يونان آية لأهل نينوى، كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل» (لوقا ١١:٢٩، ٣٠)، فما هما هذان المشهدان؟.

المشهد الأوّل: «وصار قول الرَّب إلى يونان بن أمتّاي قائلاً: **قم اذهب إلى نينوى** المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرُّهم أمامي. **فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرَّب**» (يونان ١:١، ٢).

المشهد الثّاني: «ثمّ صار قول الرَّب إلى يونان ثانية قائلاً: **قم اذهب إلى نينوى** المدينة العظيمة وناد لها المناداة التي أنا مكلّمك بها. **فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرَّب**» (يونان ٣:١، ٢).

المشهد الأوّل أمرٌ من الرَّب، قم اذهب، أمّا نتيجته فهروب من وجهه ومن كلمة قوّته. والمشهد الثّاني نفس الأمر من الرَّب، قم اذهب، أمّا نتيجته هذه المرّة فإصغاء لقوله وتنفيذ لمشيئته. والفارق بين المشهدين هو آية موت وحياة، حازها يونان بنفسه، فاكتست كرازته بقوّة إنذار بهلاك وانقلاب يمكن مع التّوبة والصوم والتّذلّل والرُّجوع إلى الله أن يفضي إلى نجاة وخلاص وحياة. وهو بالفعل ما صار لأهل نينوى وملكها وكل شعبها وحتى بهائمها أيضاً. وهي إشارة مبدعة إلى المصالحة التي

كان الله مزمعاً أن يصنعها بين جميع أمم الأرض في المسيح يسوع، بدم صليبه الذي قدَّمه كفّارة عن كل العالم، فصالح به الشَّعب مع الشُّعوب، والنَّفس مع الجسد. وكان يونان نفسه رمزاً وآية لهذه المصالحة التي تمّت بموت المسيح ودفنه وقيامته «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (متى ١٢: ٤٠).

أمَّا الفارق بين جيل يونان ممثّلاً في شعب نينوى، وجيل المسيح، فكان كبيراً، لأنّ شعب نينوى آمن بالله بكرازة يونان، وبآية شبه موته وقيامته. أمَّا جيل المسيح فلم يؤمن به برغم الآيات الذي صنعها أمام عيونهم «العُمي يبصرون والعُرج يمشون والبُرص يطهَّرون والصُّم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشَّرون» (متى ١١: ٥)، قبل أن يكون هو بنفسه آية لهم حين مات من أجلهم وقام.

ولكن كما اقتبل الأمم الذين يمثّلهم شعب نينوى كرازة بالنَّجاة من الموت بيونان، هكذا اقتبلنا نحن الأمم كرازة بالخلاص والحياة الأبديَّة بالمسيح له المجد بعصيان جيل المسيح، وهكذا يخاطبنا الرَّسول بولس نحن الأمم بقوله: «فإنه إن كنتم أنتم مرَّة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء، هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا لكي يُرحموا هم أيضاً برحمتكم. لأنّ الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع» (رومية ١١: ٣٠-٣٢).

هذا تمهيد سريع لقصَّة حياة يوميَّة، قصَّة كل نفس عرفت كيف لا تهرب من الله بل إليه، كما في صلاتنا كل يوم: "إذا ما تفكَّرتُ في كثرة أعمالي الرَّديئة، ويأتي على قلبي فكر تلك الدَّينونة الرَّهيبة، تأخذني رعدة، فأهرب إليك يا الله، فلا تصرف وجهك عني".

والآن ما هي مدينة نينوى؟ وما هو تاريخها؟ ومن هو يونان؟.

إطلالة تاريخيَّة على الحضارتين البابليَّة والآشوريَّة

تركزَّت الحضارات القديمة منذ القرن الثَّلاثين قبل الميلاد في الشَّرق الأوسط، حول النِّيل والفرات. وظلَّت الحضارتان المصريَّة والبابليَّة من أكبر الحضارات في العالم، لعدَّة آلاف من السِّنين.

أمَّا الحضارة البابليَّة الثَّانية، فقد سبقتها الحضارة الآشوريَّة التي نشأت فيما بين النَّهرين – دجلة والفرات – وهي الأرض المُسمَّاه "أرض شنعار"[1]، وقد ورد اسمها حوالي ٢٠٠ مرَّة في الكتاب المقدَّس.

وكانت بابل هي عاصمة الإمبراطوريَّة البابليَّة، أمَّا أشور فكانت عاصمة الإمبراطوريَّة الآشوريَّة، ثمَّ صارت فيما بعد هي "نينوى".

الإمبراطوريَّة البابليَّة القديمة

ترجع الحضارة البابليَّة القديمة إلى حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وظهرت الكتابة المسمارية منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وتسجَّلت بها أسماء الملوك والحُكَّام. وكانت "أور" موطن إبراهيم أب الآباء هي أهم المدن في هذا الزَّمان. أمَّا سرجون الكبير (٢٣٥٠-٢٣٠٠ق.م) فهو مؤسِّس الإمبراطوريَّة البابليَّة القديمة. ومنذ عهد حمورابي (سنة ١٨٠٠ ق.م) أعظم ملوك الإمبراطوريَّة البابليَّة القديمة، صارت بابل عاصمة الإمبراطوريَّة، واعتُرف بالإله مردوخ إلهاً للدَّولة.

١- تكوين ١٠:١٠

الإمبراطوريّة الآشوريّة

لما ضعفت الإمبراطوريّة البابليّة القديمة بعد موت حمورابي، كانت الإمبراطوريّة الآشوريّة توسّع ممتلكاتها على حساب الأولى، وكان "أشور ناسيبال" هو الملك الآشوري الأوّل الكبير الذي أسّس الإمبراطوريّة الآشوريّة، وجعل عاصمتها أشور.

وجاء بعد "أشور ناسيبال" الملك "شلمناصر الأوّل" (١٢٧٠ ق.م)، وبنى له قصراً في نينوى، واعتبرها قاعدة مُلكه. ومنذ ذلك التّاريخ أصبحت نينوى عاصمة الإمبراطوريّة الآشوريّة. وشيّد شلمناصر الأوّل نينوى على الضّفة الشّرقيّة لنهر دجله، وهي قبالة الموصل، وعبد أهلها الإلهة عشتاروت. ومن نينوى انتقلت عباده هذه الإلهة إلى الحتّيين جنوب غرب آسيا ومصر وآسيا الصّغرى.

وكانت نينوى تبعد عن آشور بحوالي ٩٦ كيلومتراً. وكانت تقع شمالي بغداد الحاليّة بحوالي ٤٠٠ كيلومتراً. وظلّت عاصمة للإمبراطوريّة الأشوريّة حوالي ٦٦٠ سنة (١٢٧٠-٦١٢ ق.م). ولقد اعتُبر العالم القديم كله عبداً لنينوى يمدها بما تحتاجه صاغراً.

وبعد شلمناصر الأوّل نسمع من الأسفار المقدّسة عن شلمناصر الثّالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م). ثمّ تأتي بعد ذلك حقبة تاريخيّة للإمبراطوريّة الآشوريّة لم تدوّنها الأسفار المقدّسة، حيث تمتد هذه الحقبة لحوالي سبعين سنة حكم فيها على الأقل ثلاثة ملوك، وهم تغلث فلاسر الأوّل، وتغلت فلاسر الثّاني، وشلمناصر الرّابع. وفي هذه الحقبة التّاريخيّة المجهولة كانت كرازة يونان لنينوى في بداية القرن الثّامن قبل الميلاد. وفي وقت كانت فيه مدينة نينوى سيّدة المدائن في العالم القديم.

ومن ثمّ فلسنا نعرف اسم الملك الذي كان يحكم نينوى في أيام كرازة يونان لها، في حين يذكر الكتاب المقدّس أسماء الملوك السّابقين واللاحقين له. هذا الملك العظيم الذي بتوبته وحكمته وقدوته أنقذ مدينته من هلاك أزمع أن يحدق بها من السّماء.

ولقد دامت هذه التّوبة التي دوّنها سفر يونان لهذه المدينة مع ملكها وشعبها حوالي خمسين سنة، نسي بعدها الشّعب توبتهم القديمة وملكهم الذي أنقذهم من الهلاك. فجاء تغلث فلاسر الثّالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) ليصبح أوّل ملك آشوري يتوّج على بابل. وبعد حوالي سبعين سنة من كرازة يونان ملك شلمناصر الخامس (٧٢٧-٧٢٢ ق.م) الذي بدأ حصار السّامرة، وبدأ بحارب اليهود الذين منهم كان يونان الكارز لهم بالنّجاة. وجاء بعده سرجون الثّاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م)، وفي عهده كان سبي الأسباط العشرة لإسرائيل.

وجاء بعده سنحاريب[٢] (٧٠٥-٦٨١ ق.م)، ثمّ أسرحدون[٣] (٦٨١-٦٦٩ ق.م)، ثمّ آشور بانيبال[٤] (٦٦٩-٦٢٦ ق.م)، وهو آخر ملوك الإمبراطوريّة الآشوريّة. وكانت لديه مكتبة ضخمة ضمّت حوالي ٢٢٠٠٠ لوحة فخاريّة كان قد جمعها من طوائف عدّة من الآثار الدّينيّة والعلميّة والأدبيّة للعهود الماضية، وقد اكتُشفت هذه المكتبة ويوجد جانب منها الآن في المتحف البريطاني.

هؤلاء الملوك السّابق ذكرهم دمّروا بابل، وذلك بأن أغرقوها بتحويل بجرى نهر الفرات. وقد دفع هم الملوك الإسرائيليّون الجزية كعبيد

٢- انظر: ٢ملوك ١٨:١٣-١٩:٣٧؛ إشعياء ص ٣٦، ٣٧

٣- انظر: عزرا ٤:٢ وأيضاً سفر ناحوم.

٤- انظر: عزرا ٤:١٠

لهم. وقد سمّى ناحوم النبي مدينة نينوى بمدينة الدّمار، وذلك بسبب الخروب الضّارية التي حاضها شعب نينوى، والمعاملة القاسية التي عاملوا بها أسراهم. فقد كان ملوكهم يتسلّون بجدع أنوف الأسرى وسحل عيونهم وقطع أيديهم وآذانهم وشق بطون الحوامل.

ولقد تنبأ ناحوم النبي عن سقوط نينوى قبل سقوطها بحوالي عشر سنوات، لأنّ نبوءته كانت سنة ٦٢٣ ق.م وسقوط نينوى كان سنة ٦١٢ ق.م. وفي هذه المرّة لم يستجب الشّعب لتحذير ناحوم النبي كما استجاب من قبل لنداء يونان النبي، إذ لم يكن يحكمهم في ذلك الوقت ملكٌ حكيمٌ كما كان في أيام يونان.

وهكذا سقطت نينوى بعد أن استطاع البابليّون استعادة سيادتهم من جديد، بعد أن استمرّت الإمبراطوريّة الآشوريّة لأكثر من خمسمائة سنة، فانتهت الإمبراطوريّة الآشوريّة إلى الأبد، ليحل محلّها الإمبراطوريّة البابليّة الثّانية.

وهكذا كانت نبوّة ناحوم عن انكسار مملكة آشور حين يقول: «نعستْ رعاتُك يا ملك آشور، اضطجعت عظماؤك، تشتّت شعبُك على الجبال ولا من يجمع. ليس جبرٌ لانكسارك. جُرحك عديم الشّفاء. كل الذين يسمعون خبرك يصفّقون بأيديهم عليك، لأنه على من لم يمرّ شرُّك على الدّوام؟» (ناحوم ٣: ١٨، ١٩).

الإمبراطوريّة البابليّة الثّانية

أعلن الملك نبوبلاسّر ملك بابل في سنة ٦٢٥ ق.م استقلاله عن نينوى. وفي سنة ٦١٢ ق.م تحالف مع المديانيّين على غزو نينوى، فدمّرها وساعده على ذلك فيضان نهر دجلة وطغيان مياهه في الشّاحات

والشَّوارع. واستمرَّت دولة نبوبلاسَّر حوالي ١٠٠ سنة، تعاقَبَ على الحُكم في أثنائها نبوخذنصَّر ابنه، وفي عهده تمَّ سبي يهوذا.

وبنى نبوخذنصَّر مدينة بابل، ومن آثاره فيها حدائق بابل المعلَّقة إحدى عجائب الدُّنيا السَّبع، وبرج بابل، كما بنى سورين عظيمين للمدينة. وكانت بوَّابات المدينة من خشب الأرز المغشَّى بالبرونز. كما أنشأ فيها بحيرة عظيمة، وأحاط البحيرة بجسور قويَّة. وكان يصعد إلى سطح قصره ليتمشَّى ويتفرَّج على المدينة بكبرياء وزهو[٥].

ثمَّ انهارت الدَّولة البابليَّة الثَّانية بعد موت نبوخذنصَّر، لأنَّ نابونيداس (٥٥٦-٥٣٩ ق.م) آخر ملوك بابل أمضى معظم أيام حُكمه يشن الغارات على البادية العربيَّة، بينما كان بيلشاصر — الذي يُحتمل أن يكون ابنه — يقوم مقام نائب الملك في بابل[٦].

وفي سنة ٥٣٩ ق.م هاجم قورش ملك الفرس بابل وهزم بيلشاصر. فانهارت بابل بدون مقاومة حيث كانت البلاد بكل شعبها غارقة في إدمان الخمر والخلاعة[٧]. فخضعت بلاد ما بين النَّهرين للإمبراطوريَّة الفارسيَّة. وفي حوالي سنة ٣٠٠ ق.م خضعت البلاد للإمبراطوريَّة اليُونانيَّة ثمَّ للإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة حتى فتحها العرب في القرن السَّابع الميلادي ونشروا فيها الدِّين الإسلامي.

٥- انظر: دانيال ٤: ٣٠

٦- وهذا يفسِّر لنا ما جاء في سفر دانيال ٥: ٢٩

٧- انظر: إشعياء ١٣، ١٤: ١-٢٣؛ ٢١: ١-١٠؛ ٤٦: ١، ٢؛ ٤٧: ١-٣؛ إرميا ٥٠، ٥١

مدينة نينوى

نينوى هي مدينة عظيمة عريقة في القدم، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة بالعراق، مقابل مدينة الموصل الحالية. وكانت قائمة على رابيتين، اسم الواحدة "حصن نينوى"، واسم الأخرى "النبي يونس"، ويُظن أنّ بها مدفن يونان النبي. وهذه الرابية الأخيرة مازالت آهلة بالسكان. وقد وصفها يونان في سفره بأنها كانت «مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام» (يونان ٣:٣)، ويبدو أنه يقصد بهذا الوصف أنها كانت تأخذ ثلاثة أيام سيراً على الأقدام للوصول إلى كل أطراف المدينة في إرسالية تبشيرية.

وقد صارت نينوى عاصمة للدولة آشور في حُكم الملك سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) الذي قام بتوسيعها وتجميلها، وقد بنى فيها قصراً له، وزيّن جدرانه بنقوش انتصاراته. وحفر فيها قنوات لتزويد المدينة بموارد جديدة من المياه، كما بنى سدوداً لضبط فيضان الأنهار، ودعاها "مدينتي

الجليلة". فازدادت المدينة في أيامه عظمة وجمالاً. ومع ذلك فإنَّ عدداً من الملوك الذين سبقوه بنوا فيها قصوراً ومعابد ومباني فخمة حتى قبل أن تصير عاصمة للبلاد. وإلى جانب القصور الشَّاهقة والشَّوارع، فهناك الهياكل والأسوار[٨] والقلاع. وقد بنى فيها آشور بانيبال (حوالي ٦٥٠ ق.م) مكتبة عظيمة ضمَّ إليها جميع الوثائق الحكوميَّة والإداريَّة والرَّسائل الدُّبلوماسيَّة والمعاملات الدَّاخليَّة والأوامر الملكيَّة، ونُسخاً من الوثائق التي عثر عليها في بابل.

إلاَّ أنَّ هذه المدينة العظيمة قال الرَّب عنها: «المدينة العظيمة التي صعد شرُّها أمامي»، «التي يوجد فيها أكثر من اثني عشرة ربوة من النَّاس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة»[٩].

لقد تابت نينوى بمناداة يونان في بداية القرن الثَّامن قبل الميلاد، إلاَّ أن هذه التَّوبة لم تدم طويلاً إذ عادت المدينة إلى شرِّها بعد حوالي خمسين سنة، أي في سنة ٧٤٦ ق.م حين افترى ملوك نينوى وتجبَّروا جداً، وظنُّوا في أنفسهم أنهم لن يُغلبوا، وعاملوا الشُّعوب المهزومة منهم بكل قسوة وضراوة، وبدأوا يسبون الأسباط العشرة. ثمَّ هلكت تماماً في سنة ٦١٢ ق.م أي بعد حوالي ١٨٥ سنة من توبتها الأولى.

وفي ذلك يقول ناحوم النَّبي: «من أجل زنى الزَّانية الحسنة الجمال، صاحبة السِّحر، البائعة أمماً بزناها وقبائل بسحرها. هاأنذا عليك يقول ربُّ الجنود، فأكشف أذيالَك إلى فوق وجهك، وأُري الأمم عورتك والممالك خزيك. وأطرَح عليك أوساخاً وأهينُك، وأجعلك عبرة.

٨- كان لسور المدينة خمسة عشر باباً رئيسياً، تمَّ الكشف عن خمسة منها، وكان يحرس كل باب تمثال حجري ضخم على شكل عجل.

٩- يونان ٤:١١ ؛ ٢:١

ويكون كل من يراك يهرب منك ويقول خربت نينوى من يَرثي لها. من أين أطلب لك معزّين» (ناحوم ٣:٤-٧). ويقول صفنيا النبي عن نينوى: «هذه هي المدينة المبتهجة الساكنة المطمئنة القائلة في قلبها أنا ولـيس غيري، كيف صارت خراباً مربضاً للحيوان. كل عابر بها يُصفّر ويهـز يده» (صفنيا ٢:١٥).

فما أشد المفارقة بين توبة مدينة أنقذتها من الهلاك، وبين ارتدادها عن التوبة أفضت بها إلى الدمار والخراب.

ولقد اكتُشفت أطلال مدينة نينوى في منتصف القرن التاسع عشـر الميلادي، على بعد نحو نصف ميل إلى الشرق من نهر دجلة، في ضواحي مدينة الموصل الحالية. وتدل الاكتشافات الأثرية على أنّ الموقع يرجع إلى ما قبل التاريخ (نحو ٤٥٠٠ سنة ق.م) عبر حضارات متعدّدة، وهو مـا يتّفق مع التقليد الكتابي الذي يذكر نينوى ضمن قائمة البلاد التي نشأت منذ أوائل التاريخ البشري، إذ يذكر سفر التكوين أنّ نمرود قد بنى مدينتي نينوى وكالح، وكانت "كالح" عاصمة أخرى لآشور[١٠].

وأوضحت هذه الاكتشافات الأثرية أنّ المدينة كان طولها حـوالي ثلاثة أميال — ٤,٨ كيلومتر — وعرضها حوالي ميل ونصف الميل — ٢,٤ كيلومتر — وهي مساحة تبلغ حوالي ٢٧٠٠ فدان. وفي هذه المدينة عاش نحو ١٢٠ ألف نسمة.

ولقد استلفت نظر الأثريين الأوائل مسجد النبي يونس والتقاليد التي تدور حوله، إلى أن جاء جون كارتريـت John Cartaright في القـرن السابع عشر، وأعلن أنّ في ذلك الموقع كانت تقوم مدينة نينوى القديمة.

١٠- تكوين ١٠:١١

وعندما نشر ريتش Rich خرائط لأطلالها في ١٨٢٠م اتجهت جهود الأثريين إليها. وتكثفت هذه الجهود بدءًا من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فتمَّ اكتشاف معبد عشتار، وقصر سنحاريب، وتماثيل مصريَّة جاء بها آشور بانيبال بعد غزوه لمنف وحملته على مصر.

من هو يونان النَّبي؟

يونان نُطقُه السَّليم في العبريَّة هو "يونه" ومعناه "حمامة" وهو ابن أمتَّاى، وأحد أنبياء إسرائيل[١١]. وكان من مدينة جت حافر في سبط زبولون على بعد ثلاثة أميال من النَّاصرة[١٢]. وهو المذكور في سفر الملوك الثَّاني[١٣]. وقد تنبأ في أوائل القرن الثَّامن قبل الميلاد، في أيام يربعام ابن يوآش، وهو يربعام الثَّاني الذي عاصر أيضًا الأنبياء هوشع وعاموس وإشعياء.

ورغم أنَّ عصر يربعام الثَّاني كان عصر ازدهار سياسي، إلاَّ أنه كان عصر انحطاط روحي، لأنَّ يربعام عمل الشَّر في عيني الرَّب[١٤]. وفي هذه الفترة انتاب الشَّعب الإسرائيلي الخمول والكسل والكبرياء والظُّلم والتَّرفُّه. وتدهورت أخلاقهم بعد أن عمَّ الرَّخاء بينهم، فكره الرَّبُّ ذبائحهم الكثيرة، وأعيادهم[١٥]، فهاب بهم بفم هوشع النَّبي قائلاً: «أريد رحمة لا ذبيحة» (هوشع ص ٩).

في هذا الوقت كانت السَّامرة قد وصلت إلى قمَّة مجدها. وفي هذا الوقت ظهر يونان وكان موضوع نبوءته إنقاذ إسرائيل من ظلم السُّوريين

١١- يونان ١:١
١٢- ٢ملوك ١٤:٢٥
١٣- ٢ملوك ١٤:٢٥
١٤- ٢ملوك ١٤:٢٤
١٥- عاموس ٥:٢١

(الآراميين)، إلاّ أنّ سفره يتضمّن قصّة إرساليّته إلى شعب غريب، كان في كثير من الأحيان عدواً لإسرائيل. ومع ذلك أرسله الله إليهم لينذرهم باهلاك بعد أربعين يوماً إن لم يتوبوا.

ولم تكن النُبوّة التي كلّفه بها الرّب لأهل نينوى سوى خمس كلمات - في العبريّة كما هي في العربيّة - «بعد أربعين يوما تنقلب نينوى» (يونان ٣: ٤)، إلاّ أنّ سيرة حياته كلّها رمزٌ لحياة السيّد المسيح له المجد.

فالنّبي الذي أرسله الرّب إلى يربعام ليؤكّد له نجاحه في استعادة تخوم مملكته، هو نفسه النّبي الذي أرسله الله إلى نينوى لإنذارها بالخراب، لعلّها تتوب. ومن عجب أنّ الرّب يختار النّبي الذي ينتمي إلى الشّعب العبراني، ليرسله إلى أمّة معادية لشعبه، يكرز لهم بالتّوبة.

الفكر الآبائي في قصد الرّب من تقديم يونان آية لجيله

يقول القدّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) أسقف ليون[١٦]:

[لقد سمح الله بأن يُبتلع يونان بواسطة حوت كبير[١٧]، لا لكي يتوارى ويهلك تماماً، ولكن لكي بعد أن يطرحه الحوت يكون أكثر خضوعاً لله، ولكيما يمجّد بالأكثر ذاك الذي أعطاه خلاصاً غير منتظر ولا متوقّع. وكان ذلك أيضاً لكي

١٦- مجلّة مرقس، يناير وفبراير، ١٩٨٢م، ص ٢٤

١٧- يقول العالم والمستكشف الأمريكي روي تشابمان أندروز، ومدير المتحف الأمريكي للتّاريخ الطّبيعي بنيويورك: إنّ أطول حوت من نوع حوت الكبريت يزيد طوله عن ٣٣ متراً، ويصل وزن هذا النّوع إلى ما يزيد عن ١٥٠ طناً. كما يصل طول حوت العنبر إلى ٢١ متراً، ورأسه حوالي سبعة أمتار. ويحتوي الجزء العلوي من الرّأس على مخزن ضخم، مملوء بالزّيت السّائل، ويُسمّى "دُهن رأس الحوت"، ويملأ حوالي عشرة براميل من الزّيت. أمّا العنبر فينم العثور عليه من أمعاء حيتان العنبر المريضة فقط، وهو يستخدم كمادة قيّمة في صناعة العطور.

يقود أهل نينوى إلى توبة مكينة، فيرجع هؤلاء إلى الرَّب الذي سينقذهم من موت وشيك الوقوع بعد أن ارتعبوا من الآية التي تمّت في يونان. كما يقول الكتاب عنهم إنهم رجعوا كل واحد عن طريقه الرَّديئة وعن الظُّلم الذي في أيديهم قائلين: لعل الله يعود فيندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك[١٨].

وبنفس الأسلوب عينه ومنذ الابتداء سمح الله أنّ الإنسان (الأوّل) يُبتلع بواسطة الحوت الكبير منشئ المخالفة، لا لكي يتلاشى ويهلك تماماً، بل لأنّ الله سبق فأعدَّ طريق الخلاص الذي أكمله الكلمة بواسطة آية (مماثلة) لآية يونان، لكل من سيؤمن بالله كيونان، ويكون له نفس أحاسيسه من جهة الرَّب معترفاً به وقائلاً مثله: «أنا عبراني وأنا خائف من الرَّب إله السَّماء الذي صنع البحر والبر»[١٩].

لقد شاء الله أنّ الإنسان إذ ينال الخلاص غير المرتجى، ويقوم من بين الأموات، يمجّد الله ويردّد كلمة يونان النَّبويَّة: «دعوتُ من ضيقي الرَّب فاستجابني، صرختُ من جوف الهاوية فسمعتَ صوتي». فقد شاء الله أن يظل الإنسان دائماً أميناً في تمجيده مقدِّماً له الشُّكر على الدَّوام بلا انقطاع من أجل هذا الخلاص الذي ناله منه، حتى لا يفتخر كل ذي جسد أمام الرَّب[٢٠].

ويقول القدِّيس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) في حديث مطوَّل له إنّ كرازة يونان لنينوى إشارة إلى قبول الأمم في المسيح وإيمانهم بالثالوث الأقدس.

١٨- يونان ٣:٩
١٩- يونان ١:٩
٢٠- ١كورنثوس ٦:٢٩

[إن كان يونان يشبّه بالمسيح في مدّة بقائه في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، فإنّ صلاته أيضاً يجب أن تُعتبر نموذجاً مسبقاً لصلاة الرَّب. إنه بالإيمان فقط حُفظ يونان في بطن الحوت كما حُفظ الثّلاثة فتية، وكما عبر الشّعب قديماً في البحر على أرض يابسة، والماء حولهم كسور عن يمين ويسار، فلم يشك يونان قط في الرَّحمة الإلهيَّة بل اتجه بكل كيانه إلى الصَّلاة، فأتاه الله بالمعونة حقاً في ضيقته. إنه لم يقل "أصرخ" بصيغة المستقبل، بل قال: "صرختُ" بروح الشُّكر لما هو فيه ...

لقد وعدنا الرَّب في آلامه بالخلاص، فعلينا ألاّ نظهره كاذباً. لقد طلب الرَّب في صلاته كل هذا وهو في بطن الحوت الذي قال عنه أيوب أيضاً: «ليلعنه لاعنو اليوم المستعدون لإيقاظ التِّنين» (أيوب ٣:٨)، لذا أمر الله التِّنين والجحيم أن يعيد المخلّص إلى الأرض حيّ يصحب معه جمهوراً كبيراً إلى النُّور والحياة.

كان عقاب الحوت ليونان تقويماً أكثر منه تعنيفاً، وهو لم يكن بعد بحاجة إلى أمر آخر، لذا حين كلّمه الله أيضاً، قام وذهب إلى نينوى، ودخل المدينة العظيمة مسيرة ثلاثة أيام، ولكنه بعد يوم واحد فقط أي ثُلث المدينة بلغ كلامه إلى كل أرجائها، وهكذا نقول: إنّ الرَّب بعد صعوده بعث الرُّسل ليعمّدوا في نينوى وغيرها باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس الإله الواحد ...

كما أنّ الرَّقم أربعين الذي أنذر أن تنقلب المدينة بعده، يناسب الصَّوم والصَّلاة والمسوح بالنِّسبة للخطاة، وهي بعينها أسلحة التَّوبة وملاذ التَّائبين. وبتوبة نينوى العجيبة هذه

استُجيب تساؤل إشعياء النّبي القائل: «هل تمخض بلاد في يوم واحد، أو تولد أمّة دفعة واحدة» (إشعياء ٦٦:٨).

إنّ الرّب في زماننا هذا أيضاً ينذر نينوى وكل العالم أن يتوبوا. وحينما نغيّر أعمالنا سيغيّر هو حُكمه بكل سرور. إنه يثابر على دعوته لأنه يريد خيرنا منذ الابتداء، وهو لا يضمر شراً لأنه لو كان يريد أن يعاقب لما تكلّم بأسلوب الإنذار ...

لقد كانت اليقطينة التي أعدّها الله لتظلّل على يونان رمزاً لإسرائيل الذي شُبِّه بهذا النّبات، لأنه في وقت ما احتمى النّبي بظلّها كخادم لتوبة الأمم، وسبّب له ذلك سروراً عظيماً، ولكنّها كانت بمثابة مظلّة واقية وليس منزلاً، لأنها امتدّت فقط كسطح ليس لا أساسات، فارتفعت قليلاً ولم تبلغ إلى العُلو الذي يرفع أعيننا إلى السّماء. وقبل طلوع شمس البر ازدهرت الظّلال، ولم يكن إسرائيل شجرة يابسة بعد، ولكن بعد هذا الشُّروق حينما تبدّدت ظُلمات نينوى بنور حفّت الشّجرة وعاد يونان يحترق، وطلب الموت لنفسه من جديد، وأراد أن يموت في البحر مع إسرائيل، كيما بهذا الجحيم يقتبل عُصارة الحياة التي فقدها أولاً برفضه. وفي الواقع إنّ مخلّصنا لم يعمل لإسرائيل مثلما عمل للأمم، فقد صمم الرّب أنّ هذا الشّعب (نينوى) يكبر وينمو، وهو قد مات لأجل أن يعيش هو (أي الأمم)، ونزل إلى الجحيم من أجل أن يصعده إلى السّماء. هذه هي نينوى العظيمة رمز الكنيسة التي عدد سكانها يربو على عدد أسباط إسرائيل، ويمتد إلى أقاصي المسكونة[٢١].

---

٢١ - مجلّة مرقس، يناير وفبراير، ١٩٨٢م، ص ٢٥

الفَصل الثّاني

صوم نينوى تاريخياً وطقسياً

صوم نينوى من الوجهة التاريخيّة

يقع صوم نينوى دائماً قبل بدء الصّوم المقدّس الكبير بأسبوعين إيذاناً باقتراب الصّوم الكبير وتهيئة لأيامه المقدّسة. ومدّة هذا الصّوم حسب طقس الكنيستين السّريانيّة والقبطيّة هو ثلاثة أيام. أمّا الأرمن الأرثوذكس فيصومونه خمسة أيام، ولا تعرفه الكنيسة اليونانيّة.

لقد دخل هذا الصّوم إلى الكنيسة القبطيّة في أيام البابا أفرآم السّرياني (٩٧٦-٩٧٩م) البطريرك الـ ٦٢ من باباوات الإسكندريّة في القرن العاشر. أمّا سبب ذلك فقد ورد في مقدّمة قطمارس الصّوم المقدّس الكبير هكذا: "... ومن أمره (أي البابا المذكور) أنه لم يرغب بادئ ذي بدء أن يصوم أسبوع هرقل الجاري ممارسته عند الأقباط. ولكن صامه في مقابل كونه فرض عليهم أن يصوموا ثلاثة أيام على اسم يونان. فنظراً لتقواه قَبِل الأقباط ممارسة هذا الصّوم بغير تردُّد"[١].

إلاّ أنه من العجيب حقاً أنّ البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) البطريرك الـ ٦٦ من بطاركة الكنيسة القبطيّة، والبابا كيرلس الثّاني (١٠٧٨ - ١٠٩٢م) البابا الـ ٦٧ لم يذكرا هذا الصّوم، ولم يورداه في القوانين التي وضعاها عن الأصوام.

١- قطمارس الصّوم الكبير، عني بطبعه للمرّة الثّانية أثناسيوس مطران كرسي بني سويف والبهنسا، والقمّص برنابا البراموسي رئيس دير السيّدة برموس سابقاً في عهد البابا المكرّم الأنبا يوساب الثاني الـ ١١٥ (١٦٦٩ش/ ١٩٥٣م)، ص ٤

ومن ثمّ فقد ظلّ هذا الصّوم يتأرجح حيناً من الوقت، حتى ثبّته الشّعب بحسه الرّوحي الواعي، ورفعَه إلى كرامة فائقة توازت مع كرامة الصّوم المقدّس الكبير نفسه، حتى نجده قد صار صوماً مستقراً في الكنيسة القبطيّة في قوانين ابن العسّال في القرن الثّالث عشر[٢]. كما ذكره أيضاً ابن كبر (+ ١٣٢٤م) كصوم مستقر في الكنيسة[٣].

ولمّا جاء البابا غبريال الثّامن (١٥٨٧ - ١٦٠٣م) البطريرك الـ ٩٧ من بطاركة الكنيسة القبطيّة، أمر بألاّ تُصام أيام نينوى الثّلاثة، فلم يجد صدى لأمره، إذ صار هذا الصّوم تقليداً شعبياً راسخاً — ولا زال حتى اليوم — أقوى من القوانين، لأنه حيث الحُب الحقيقي للكنيسة والله تتنحّى القوانين جانباً. والكلام هنا عن شعب بأكمله وليس فرداً بمفرده.

وانظر مثلاً كيف استطاع حُب شعب أن يرفع كرامة وتقديس صوم السيّدة العذراء بنسكيّات وفضات روحيّة ما لا تقدر القوانين أن تفعله. فصوم العذراء من جهة القوانين صومٌ من المرتبة الرّابعة، ولكن الشّعب رفعه إلى أصوام مرتبة الدّرجة الأولى، لأنه حيث المحبّة يبطل القانون.

صوم نينوى من الوجهة الطّقسيّة

بيان بمخطوطات ترتيب البيعة المستخدمة في هذه الدّراسة

سأعتمدُ على مخطوطات ترتيب البيعة الآتي بيانها:

---

٢ - جرجس فيلوثاؤس عوض، المجموع الصّفوي، الجزء الأوّل، الباب الخامس عشر، بدون تاريخ، ص ١٧١

٣ - مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨

• مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، والذي يعود تاريخ نساخته إلى سنة ١٩١٠م[٤].
وسأرمزُ له باسم "**مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)**".

إلى جانب المخطوطات التَّالية[٥]:

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة البطريركيَّة بالقاهرة وتاريخ نساخته هو سنة ١١٦٠ش/ ١٤٤٤م.
وسأرمزُ له باسم "**مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م**".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير البراموس، وتاريخ نساخته هو سنة ١٢٣٠ش/ ١٥١٤م.
وسأرمزُ له باسم "**مخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م**".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير الأنبا أنطونيوس، وتاريخ نساخته هو سنة ١٣٧٧ش/ ١٦٦١م.
وسأرمزُ له باسم "**مخطوط الأنبا أنطونيوس لسنة ١٦٦١م**".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير السُّريان، وتاريخ نساخته هو سنة ١٤١٤ش/ ١٦٩٨م.
وسأرمزُ له باسم "**مخطوط السُّريان لسنة ١٦٩٨م**".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ أيضاً بمكتبة دير السُّريان، وتاريخ نساخته هو سنة ١٤٣٥ش/ ١٧١٩م.
وسأرمزُ له باسم "**مخطوط السُّريان لسنة ١٧١٩م**".

٤- لديَّ صورة طبق الأصل منه.

٥- مخطوطات ترتيب البيعة الآتي بيانها في المتن هي بدون أرقام، وما يُذكر عنها مأخوذ من كتاب: الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندريَّة ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الثالث، القاهرة، ٢٠٠٠م.

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة البطريركيَّة بالإسكندريَّة، وتاريخ نساخته هو سنة ١٤٣٢ش/ ١٧١٦م[٦].
وسأرمزُ له باسم "**مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م**".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة كنيسة الملاك بسيرباي بطنطا، وتاريخ نساخته هو سنة ١٥٨٤ش/ ١٨٦٨م.
وسأرمزُ له باسم "**مخطوط سيرباي لسنة ١٨٦٨م**".

طقوس الصَّلوات في أيام صوم نينوى

قد يعجبُ المرء حين يعلم أنَّ طقوس صلوات صوم نينوى ظلَّت تجرى بالطَّقس السَّنوي وليس الصِّيامي حتى القرن الثَّامن عشر الميلادي، وذلك في كنيسة السَّيِّدة العذراء المعلَّقة بحصن بابليون[٧]، ومعها كل كنائس مصر القديمة، حين بدأت بعض كنائس القاهرة – أو الأقاليم – تُرتِّل مرد إنجيل القدَّاس فقط بلحن الصَّوم المقدَّس الكبير. وفي مرحلة تالية صار المزمور المائة والخمسون يُرتَّل في التَّوزيع باللَّحن السَّنوي ثمَّ يعقبه مرد ⲁⲛⲁⲡⲁⲩⲥⲓⲥ ⲛⲧⲉ (حي إف إزماروؤت ...) بلحن الصَّوم الكبير، ثمَّ ترتيل ذُكصولوجيَّة الصَّوم المقدَّس الكبير. ولكن برغم ذلك

---

٦ – هذا المخطوط مهمٌّ للغاية لأنه يورد طقوس ونصوص الصَّلوات كما كانت تُمارس في كنائس مصر القديمة، وهو ما أشار إليه المخطوط نفسه.

٧ – كانت كنيسة السَّيِّدة العذراء المعلَّقة مقراً للبابا البطريرك لأوَّل مرَّة في نهاية القرن التَّاسع الميلادي حيث أنَّ البابا خائيل الثَّالث (٨٨٠– ٩٠٧م) الـ ٥٦ هو أوَّل من جعل مقرَّه البطريركي فيها. ثمَّ صارت مقراً بطريركياً مرَّة أخرى في أيام البابا خريستوذولوس الـ ٦٦ (١٠٤٦– ١٠٧٧م)، وحتى زمن البابا ثيوذوسيوس (١٢٩٤– ١٣٠٠) الـ ٧٩، باستثناء ثلاثة بطاركة أقاموا في إحدى كنائس مصر القديمة.
أي أنَّ طقوس صلوات كنائس مصر القديمة، تُعتبر ذات مرجعيَّة أساسيَّة في تتبُّع تاريخ الطُّقوس الكنسيَّة. وكانت مدينة الإسكندريَّة هي المقر البطريركي من قبل، حتى منتصف القرن التَّاسع الميلادي، أي حتى زمن البابا خائيل الثاني (٨٤٩– ٨٥١م).

ظلّ ختام الصّلوات "سنوياً" كختام صلوات القدّاسات على مدار السّنة في غير أوقات الأصوام والأعياد.

وهذا هو ما يطلعنا عليه "مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م". فبعد أن يورد المخطوط المذكور ترتيب صلوات رفع بخور باكر والقدّاس في أيام صوم نينوى، يقول:

"وهذا التّرتيب في صلاة باكر والقدّاس آخر النّهار على ما شُرح فيه، هو جاري عادة ترتيب بيعة ستّنا العذرى بالمعلّقة، وكل كنائس مصر (القديمة) على مع عهدنا من آباء البيعة الأوّلين والمشائخ الفاضلين. وأمّا بيع القاهرة الآن فلهم عوائد غير هذا. والحمد لله"[٨].

وعلى ذلك فينبغي أن نولي هذا المخطوط المذكور أهميّة في تتبُّع ما يشير إليه من ممارسات طقسيّة، إذ أنه ينقل إلينا الطّقس الأكثر قدما.

ورويداً رويداً تسحّب لحن الصّوم الكبير وطقسه ليغطّي على بقيّة العناصر اللّيتورجيّة لصلوات صوم نينوى، حتى صار قدّاس صوم نينوى يُصلّى بنفس طقس الصّوم الكبير، باستثناء مضمون المردّات الخاصة بصوم نينوى، والتي تختلف طبعاً عن مضمون مردّات الصّوم الكبير.

وفيما يلي أُوردُ ما يذكره "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)"، مع مقارنته بباقي مخطوطات ترتيب البيعة السّابق الإشارة إليها منذ قليل.

٨- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٩

(١) تسبحة نصف اللّيل والسَّحَر في صوم نينوى

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

"ترتيب صوم ثلاثة أيام نينوى. يوم الاثنين: صلاة نصف اللّيل كالعادة ما خلا ⲧⲉⲛⲟⲩⲉⲥ ⲛⲥⲱⲕ ⲙⲡⲉⲛϩⲏⲩ ⲧⲏⲣϥ [٩] (حيث) تُقرأ بلحن الصَّوم"[١٠].

وما يذكره المخطوط هنا عن مقدِّمة مجمع القدِّيسين في تسبحة نصف اللّيل وهو: "نتبعك بكل قلوبنا ..."، ينطبق على مجمع التَّسبحة نفسه أيضاً، والذي يقال بلحن الصَّوم.

وتجدر الإشارة هنا – كما سبق أن ذكرتُ غير مرَّة – إلى أنَّ الذُّكصولوجيَّات هي عنصر ليتورجي يختص بصلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر أكثر من كونه عنصراً ليتورجياً من بين عناصر تسبحة السَّحَر. وهذا هو ما يلاحظه القارئ المدقِّق في مخطوطاتنا وكتبنا الطَّقسيَّة القديمة. ومن أجل ذلك لم يذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" شيئاً عن الذُّكصولوجيَّة في تسبحة نصف اللّيل والسَّحَر.

وحتى اليوم ليس لصوم نينوى إبصاليَّة تختص به تُقال في تسبحة السَّحَر، سواء في مخطوطاتنا، أو في كتبنا الطَّقسيَّة المطبوعة. وقد جرت العادة أن تقال إبصاليَّتي الصَّوم المقدَّس الكبير الآدام والواطس، في أيام صوم نينوى، حيث يرد فيهما ذكراً لصوم شعب نينوى، وكيف غفر الله له خطاياه، حين قدَّم توبة مقرونة بالصَّوم والصَّلاة.

٩– أي: "نتبعك بكل قلوبنا ..."، وهو مديح للثّلاث فتية القدِّيسين، كمقدِّمة لمجمع تسبحة نصف اللّيل والسَّحَر.

١٠– وهو نفس ما يذكره مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م.

(٢) صلوات رفع بخور باكر صوم نينوى

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

"... وكذلك صلاة باكر كالعادة، إلى حين يدور الكاهن بالبخور[١١]، يقرأون Χερε νε ιω τπαρθενος [١٢] بلحن الصَّوم، وبعدها Νεκναι ιω ναιε [١٣] وما يتلوها. إلى آخرها تقال Τενδιcι ιιιιο [١٤] والأمانة. وبعدها يرفع الكاهن الصَّليب ويقول Φτ ναν ναν[١٥] يجاوبونه كيرياليصون دبحاً".

وإن كان طقس صلاة رفع بخور باكر في أيام صوم نينوى وحتى إلى ما قبل الذُكصولوجيَّات هو "كالعادة" كما يذكر المخطوط السَّابق ذكره، فهذا يعني أنَّ مرد "كيرياليسون" الذي يعقب صلاة الشُكر، والذي نسمِّيه اليوم "كيرياليسون الصيامي" هو مردٌ كان يُقال على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة وليس في أيام الصَّوم فقط. ولازالت آثار ذلك الأمر واضحة حتى اليوم حين نبدأ ترتيل أرباع النَّاقوس بكلمة "كيرياليسون"، والتي كانت قبلاً لحناً كاملاً، ولكنها اختُصرت إلى كلمة منطوقة فحسب، بعد أن حلَّت أرباع النَّاقوس محل هذا اللَّحن الخشوعي البديع.

كما نلاحظ أيضاً أنَّ "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" - ومعه المخطوطات الأخرى - قد أشار بخصوص ترتيل الذُكصولوجيَّات

١١- عبارة "إلى حين يدور الكاهن بالبخور" وردت في مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط الجاموس لسنة ١٥١٤م.

١٢- أي: "السَّلام لك أيتها العذراء ...". وهي مقدِّمة الذُكصولوجيَّات.

١٣- أي: "ارحمنا يا إلهي ..."، وهي الذُكصولوجيَّة الأولى للصَّوم المقدَّس الكبير.

١٤- أي: "نعظمك يا أم النور ...".

١٥- أي: "اللَّهم ارحمنا ...".

إلى الذُكصولوجيَّة الأولى للصَّوم المقدَّس الكبير. وهنا أُشيرُ إلى أنَّ مخطوطات الأبصلموديَّات المقدَّسة السَّنويَّة المحفوظة الآن في مكتبة دير القدِّيس أنبا مقار لا يرد بها ذُكصولوجيَّة تختص بصوم نينوى.

أمَّا كُتُب الأبصلموديَّة السَّنويَّة المطبوعة فتورد ذُكصولوجيَّة لصوم نينوى، بدايتها: ⲓⲱⲛⲁ ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ϩ ⲛⲁϥϫⲏ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲉⲛ ⲫⲏⲕⲉⲧⲟⲥ وهي ذُكصولوجيَّة خشوعيَّة بديعة ليتنا نصليها بروح الصَّلاة والتَّوبة، وفيما يلي نصُّها كاملاً:

- يونان النَّبي كان في بطن الحوت ثلاثة أيام، وثلاث ليال كدفن مخلِّصنا.
- أرسله الرَّب الإله إلى رجال نينوى، فكرز لهم كقوله فتابوا.
- ثلاثة أيام وثلاث ليال بصلوات وأصوام مع التَّمخُّض والدُّموع، وكذا الطُّيور والبهائم.
- فقبل الله توبتهم ورحمهم، ورفع غضبه عنهم، وغفر لهم خطاياهم.
- نطلب إليك أيها الرَّحوم أن تصنع معنا نحن الخطاة مثل أهل نينوى، وارحمنا كعظيم رحمتك.
- لأنك أنت إله رحوم كثير الرَّحمة، متحنِّن، وطويل الأناة، محب البشر الصَّالح.
- لأنك لا تشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع ويحيا. اقبلنا إليك وارحمنا واغفر لنا خطايانا.
- اطلب عنَّا أيها الكاروز لأهل نينوى، يونان النَّبي، ليغفر لنا خطايانا.

ويكمِّل "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" بقوله:
"وبعد ذلك يجرُّون ستر الهيكل، ويقرأون نبوَّات يونان قبطياً

وعربياً، وهم جلوس. وبعد ذلك يُفتح باب المذبح، وتقال صلاة الإنجيل، ويُطرح المزمور، ويُقرأ الإنجيل قبطياً وعربياً. وتُقرأ الموعظة، وبعدها مرد الإنجيل".

مرد إنجيل باكر أيام صوم نينوى(١٦)

اصنع معي يا سيِّدي مثل أهل نينوى الذين تابوا، وغفرت لهم خطاياهم.	ⲘⲀⲚⲀ ⲡⲁⲟⲩ ⲁⲣⲓⲟⲩⲓ ⲛⲉⲙⲙⲓ ⲙ̀ⲡⲉϥⲣϩⲏⲧ ⲛ̀ⲛⲓⲣⲉⲙ ⲛⲓⲛⲉⲩⲏ ⲙⲛⲓ ⲉⲧⲁⲩⲉⲣⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓⲉⲓⲛ ⲁⲛⲟⲕ ⲛⲟⲧⲛⲟⲃⲓ ⲛⲓⲙⲟⲩ ⲉ̀ⲃⲟⲗ.

وما يتلوها، ويكمِّل الصَّلاة كالعادة. وعند تقبيل الإنجيل والصَّليب يرتِّلون بهذا القانون كل صوم نينوى في مدَّة الثَّلاثة أيام.

قانون ختام صلوات رفع بخور باكر أيام صوم نينوى(١٧)

نعم نطلب إليك أيها الصَّالح، الذي أنقذ يونان من بطن الحوت، وتراءف على شعبه، أي أهل	Ⲥⲉ ⲧⲉⲛϯⲥⲱ ⲉ̀ⲣⲟⲕ ⲙ̀ ⲡⲁⲥⲁⲅⲁⲑⲟⲥ ⲫⲏⲧⲁϥⲛⲟⲩⲥⲉⲙ ⲛⲓⲙⲙⲁ ⲇⲉⲛ ⲟⲛⲉϩⲓ ⲙⲡⲓⲕⲏⲧⲟⲥ ⲁⲩⲱ ⲁϥⲭⲱⲛⲉⲙ ⲇⲁ ⲡⲉϥⲗⲁⲟⲥ ⲙ̀ⲡⲉⲓⲛⲓⲙⲉⲩⲏ ⲙⲉⲛⲉⲛⲥⲁ

١٦- هذا هو مرد إنجيل باكر والقدَّاس على مدى صوم نينوى، بحسب مخطوط رقم (١١٧ طقوس). وهو نفس المرد الذي يذكره كتاب "خدمة الشمَّاس والألحان"، كمرد لباكر يوم الاثنين فقط. حيث يورد الكتاب المذكور ثمانية مردَّات لأناجيل باكر والقدَّاس، لثلاثة أيام نينوى، وفصح يونان. وجدير بالذِّكر أنها نفس المردَّات الذي يذكرها مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م، ومخطوط السِّريان لسنة ١٦٩٨م. وهي مردَّات بديعة المعنى، ولكنها موضوعة في نهاية الكتاب المذكور، فلم تجد شيوعاً في الكنائس.

انظر: كتاب خدمة الشمَّاس والألحان، الطَّبعة الرَّابعة، سنة ١٩٨١م، ص ٦١١-٦١٣

١٧- وهو نفس ما يذكره مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط الرَّاموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م.

نينوى، بعد الضّلال، ففقر لهم آثامهم، وأعطاهم خلاصاً، من أجل الصّلاة والصوم والطّهارة.

المجد ...

أمل قلبنا إلى الطّريق المستقيم، وعقلنا وجسدنا، وعزّنا برحمتك لنا، لكي لا يطغينا العدو، وتمنحنا الحريّة مع الذين أرضوك إلى الانقضاء، من أجل الصّلاة والصّوم والطّهارة.

الآن ...

أسرعوا وقوموا إذاً، لنمجّد محب البشر، الذي صام عنّا، أربعين يوماً وأربعين ليلة، حتى خلّصنا. امح آثامنا المملوءة ... مع أولئك الذين أعطيت لهم دالة من

ⲧⲛⲁⲁⲛⲟⲥ ⲙ̀ ⲁϥϫⲱ ⲛⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲛⲟⲁⲛⲟⲓⲁ ⲙ̀ ⲟⲩⲟⲉ ⲁϥⲧ ⲛⲱⲟⲩ ⲛⲟⲩⲥⲱⲧⲏⲣⲓⲁ ⲙ̀ ⲉⲟⲃⲉ ⲡⲓϣⲏⲗⲏ ⲛⲉⲙ ⲧⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲧⲁⲩⲛⲓⲁ.

Ⲁⲟⲍⲁ..

Ⲣⲉⲕ ⲛⲉⲛϩⲏⲧ ⲉ̀ⲫⲱⲟⲩⲧ ⲉⲧⲥⲟⲩⲧⲱⲛ ⲙ̀ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲛⲟⲩⲥ ⲛⲟⲱⲙⲁⲧⲓⲕⲟⲛ ⲙ̀ ⲙⲁⲛⲟⲩⲧ ⲇⲉⲛ ⲧⲉⲕⲙⲉⲑⲛⲁϩⲧ ⲛⲁⲛ ⲉⲓⲛⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲱⲛⲧⲉⲙ ⲭⲁⲧⲉⲣⲉⲁⲗ ⲙ̀ⲙⲟⲛⲓⲕⲉ ⲉⲕⲧ ⲛⲁⲛ ⲛ̀ⲧⲉⲗⲉⲧⲟⲉⲣⲓⲁ ⲙ̀ ⲛⲉⲙ ⲛⲏⲉⲧⲁⲧⲣⲁⲛⲁⲕ ⲱⲁ ⲧⲟⲩⲛⲧⲉⲗⲓⲁ ⲙ̀ ⲉⲟⲃⲉ ⲡⲓϣⲏⲗⲏ ⲛⲉⲙ ⲧⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲧⲁⲩⲛⲓⲁ.

Ⲕⲉⲛⲓⲛ..

Ⲓⲱⲥ ⲛ̀ⲧⲉⲛ ⲟⲩⲛⲟⲩ ⲁⲉⲱⲛ ⲙ̀ ⲛ̀ⲧⲉⲛⲧⲱⲟⲩ ⲙ̀ⲫⲓⲗⲁⲛⲑⲣⲱⲡⲟⲛ ⲙ̀ ⲫⲏⲉⲧⲁϥⲉⲣⲛⲏⲥⲧⲉⲩⲉⲓⲛ ⲉ̀ϫⲱⲛ ⲙ̀ ⲛ̀ ⲛⲉⲥϩⲟⲟⲩ ⲛⲉⲙ ⲛ̀ ⲛⲉϫⲱⲣⲉ ⲙ̀ ⲱⲁ ⲛ̀ⲧⲉϥⲭⲱⲧ ⲙ̀ⲙⲟⲛ ⲙ̀ ⲥⲱϫⲥ ⲛ̀ⲛⲉⲛⲁⲛⲟⲓⲁ ⲉⲑⲙⲉⲥ ⲛⲁⲛⲁⲡⲏⲟⲓⲁ ⲙ̀ ⲛⲉⲙ ⲛⲏⲉⲧⲁⲕⲧ ⲛⲱⲟⲩ ⲛⲟⲩⲡⲁⲣⲣⲏⲥⲓⲁ

أسرعوا وقوموا إذاً، لنمجّد محب البشر، الذي صام عنّا، أربعين يوماً وأربعين ليلة، حتى خلّصنا. امح آثامنا المملوءة ... مع أولئك الذين أعطيت لهم دالة من

أجل الصَّلاة والصَّوم والطَّهارة.	ⲉⲉⲟⲩⲉ ⲛⲓⲙⲏⲁⲗ ⲛⲉⲙ ⲧⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲧⲁⲥⲛⲓⲁ.
صارخين قائلين ...	ⲥⲛⲁⲱⲛ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲛⲭⲱ ⲓⲙⲙⲟⲥ..

وتختم الصَّلاة بالبركة.

(٣) وقت تقدمة القُربان في صوم نينوى[١٨]

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

ووقت تقدمة القُربان تُقال: الليلويا

الليلويا أمَّا أنا فبكثرة رحمتك، أدخل إلى بيتك، وأسجد أمام هيكلك المقدَّس. الليلويا[١٩].	ⲁⲗ ⲁⲛⲟⲕ ⲇⲉ ⲕⲁⲧⲁ ⲡⲗⲏⲑⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲡⲉⲕⲛⲁⲓ ⲉⲓⲉⲓ ⲉⲃⲟⲩⲛ ⲉⲡⲉⲕⲏⲓ: ⲟⲩⲟⲟⲥ ⲉⲓⲉⲟⲩⲱⲕϩ ⲛⲁⲥⲃⲉⲛ ⲡⲉⲕⲉⲣϥⲉⲓ ⲉⲑⲟⲩⲛ: ⲁⲗ.

توضيح: يتَّضح لنا ممَّا سبق ذكره أنَّ مرد دورة الحَمَل في أصوله القديمة، وحتى أوائل القرن العشرين كما تذكر مخطوطاتنا القبطيَّة، كان هو:

"الليلويا أمَّا أنا فبكثرة رحمتك، أدخل إلى بيتك، وأسجد أمام هيكلك المقدَّس. الليلويا".

١٨- يقول مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط الجاموس لسنة ١٥١٤م ما يلي: "ويحضرون إلى البيعة آخر النَّهار، ويبتدئون بعمل مزامير الغروب والنوم، وبعدها يبتدئون بالقدَّاس. ويُقال ⲁⲗ ⲉⲓⲉⲓ ⲉⲃⲟⲩⲛ والقدَّاس كجاري العادة السَّنويَّة، خلا مرد الإنجيل يقال بطريقة الصَّوم".

انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٦

١٩- وهو نفس المرد الذي يذكره مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م.

أمَّا كتاب خدمة الشمَّاس والألحان بدءاً من طبعته الرَّابعة سنة ١٩٨١م، فيذكر المرد التَّالي:

"الليلويا أدخلُ إلى مذبح الله أمام الله الذي يبهج شبابي. أعترف لك يا الله إلهي بالقيثارة. اذكر يارب داود، وكل دعته. الليلويا".

وهذا المرد الأخير هو أحد المردَّات التي عُرفت في إحدى جهات مصر - كما سنرى فيما بعد عند الحديث عن مردَّات الصَّوم المقدَّس الكبير - ولكن يظل "مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م" شاهداً على قدم المرد السَّابق الإشارة إليه، والذي بدايته: "أمَّا أنا فبكثرة رحمتك ..."، والذي عُرف في كنائس مصر القديمة، وكنائس القاهرة على حد سواء.

ويكمل "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" فيقول:
...[٢٠]ومرد إنجيل القدَّاس (هو) الذي قُرئ باكراً.

٢٠- وهنا يذكر مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م ما يلي: "ويستعمل الكاهن الخدمة كالعادة السَّنويَّة، إلى آخر الشَّهمومت يرتِّلون Cwoнc aлнн ke بالَّلحن الخاص كالعادة. إلى آخر قراءة التَّحليل يرتِّلون тоу пнеуматікоу بلحن بولس ويقرأون الفصول كالعادة قبطياً وعربياً إلى نهاية قراءة الإنجيل، يُرد هذا بطريقة الصَّوم:

Ѡ фнетакѓрес ѐ lѡнас ѐ ерѯн ѳен ѳнеѕі ѧпікнтос ѧ ѥтаѵеіѧѯ ѓпоуѡ ѐ фіоуѓрес ерѡѳ ката текѯоѳ.

"يا من حفظ يونان في بطن الحوت، وطرحه بعيداً عن البحر، احفظنا بقوَّتك".

ويكمل كالعادة إلى آخر "Хе ѓпнарѯоуѧ".

ومرد الإنجيل السَّابق ذكره مباشرة يذكره أيضاً مخطوط السُّريان لسنة ١٦٩٨م.

ويورد مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م، ومخطوط السُّريان لسنة ١٦٩٨م الأسبسمس الآدام الذي يقال في صوم نينوى وهو: "لأنك لا تشاء موت الخاطئ، مثل أن يرجع ويحيا نفسه. ردَّنا يا الله إلى خلاصك، واصنع معنا كصلاحك" (انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١١).

ووقت التّوزيع تقال الليلويا ⲥⲛⲟⲩ ⲉⲫⲧ سنوي دمح[٢١]. ويتلوها ⲛⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙⲡ ⲭⲉ ⲡⲓⲥⲙⲁⲣⲁⲩⲏⲗ بلحن الصّوم[٢٢]، ويتلوها ⲡⲁⲟⲥ إلى ينتهي حال التّوزيع[٢٣]، يعطي الشّعب التّسريح وهم يرتّلون قائلين[٢٤]:

ⲥⲱⲙⲁ ⲧⲟⲥ ⲙⲉ ⲁⲓⲙⲁ ⲧⲟⲥ	جسدٌ ودمٌ الإله
ⲙⲟⲛⲟⲅⲉⲛⲟⲩⲥ ⲑⲉⲟⲩ ⲙⲉⲧⲁⲗⲁⲃⲟⲛⲧⲉⲥ	الوحيد اللّذان تناولنا
ⲁⲧⲧⲱ ⲉⲧⲭⲁⲣⲓⲥⲧⲏⲥⲱⲙⲉⲛ.	منهما، فلنشكره.
ⲇⲟⲝⲁ ⲡⲁⲧⲣⲓ ..	المجد للآب ...

٢١- وهو نفس ما يذكره مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م.

٢٢- يذكر مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م، أنّها تُقال سنوي.

انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٦

٢٣- يقول مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م إنهم يقولون ⲁⲗⲗⲁ ⲡⲁⲟⲥ ⲁⲡⲓⲟⲧⲉ ⲛⲉⲙⲙⲁⲩ وإن عوزوا يقولون ⲥⲱⲙⲁ ⲧⲟⲥ وإذا انتهي التوزيع لا يقولون ⲇⲓⲉⲡⲛⲟⲓ ⲁⲓⲉⲡⲛⲟⲓ ⲡⲁⲟⲥ ⲓⲏⲥ .. (أي: أخطأتُ أخطأتُ ياربي يسوع ...)، ولكن يقولون كالعادة السّنويّة ⲁⲛⲟⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲃⲉⲛ ⲡⲓⲥⲱⲙⲁ .. ⲇⲟⲝⲁ ⲡⲁⲧⲣⲓ إلى آخرها.

وهذه ملاحظة جديرة بالاعتبار، إذ كيف يمكن بعد التّناول من الأسرار المقدّسة أن نقول: "أخطأتُ أخطأتُ ياربي يسوع اغفر لي ..."؟!.

٢٤- هذا الختام يذكر عنه مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م، ما يلي:

"يعطي التسريح وهم يرتلون الليلويا ذكصابثري .. ⲁⲛⲟⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲃⲉⲛ ⲡⲓⲥⲱⲙⲁ ⲇⲟⲝⲁ ⲡⲁⲧⲣⲓ كحاري العادة بطول السّنة من غير زيادة ولا نقص".

ويقول مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م: "يعطي التسريح ويصرف البيعة بالليلويا السّنوي، ويفرقون الأولوجية، ويمضون إلى منازلهم بسلام.

وهذا الترتيب في صلاة باكر والقدّاس آخر النّهار على ما شُرح فيه، هو حاري عادة ترتيب بيعة ستنا العذرى بالمعلقة، وكل كنائس مصر (القديمة) على مع عهدنا من آباء البيعة الأولين والمشائخ الفاضلين. وأما بيع القاهرة الآن فلهم عوائد غير هذا. والمجد لله". (انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٩)

Cωμα τος..

Κε ντν..

Φαι νε πιcωμα νεμ πιcνογ ντε πιμονογενηc ννοτ† ναι ετανδι εβολ ναντοτ μαρενψεπεcμοτ ντοτq μαρενεωc νεμ νιαγγελος νεμ νιταγμα ντε ηδικι νεμ πχορος ντε νιθρονι ενωψ εβολ ενεω ιμμος χε φιετακερηστεγιν εcρηι εχωη ναcμε νεcοοτ νεμ ενε νεχωρς ψωπ ερος ντηνιστια χω ννι εβολ ννααμομια ειτεν νιτωβε νεμ νιπρεcβια ντε ταδοις ννηβ Μαρια.

Cωτ† ιμμον..

جسد ...

الآن ...

هذا هو جسدُ ودمُ الإله الوحيد، هذان اللّذان تناولنا منهما، فلنشكره، ولنسبّح مع الملائكة وطغمات العلاء، وصفوف الأبرار صارخين قائلين: يا من صام عنّا أربعين يوماً وأربعين ليلة[٢٥]، اقبل إليك الصّوم. واغفر لي آثامي بطلبات وشفاعات سيّدتي القدّيسة مريم.

خلّصنا ...

ويذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)"[٢٦] أنه في يوم الأربعاء من صوم نينوى، يُقرأ ميمر يونان النّبي، وتُختم الصّلاة بعد قراءته بكيريالیسون، وقراءة البركة.

إنّ السّبب الذي جعل ترتيل المزمور المائة والخمسين في توزيع صوم

٢٥- جرت العادة في بعض الكنائس الآن أن تُحذف عبارة: "يا من صام عنّا أربعين يوماً وأربعين ليلة" في قانون ختام الصّلوات في صوم نينوى.

٢٦- ويتفق معه في ذلك: مخطوط البطريكيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط الجاموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط السّريان لسنة ١٦٩٨م.

حيث تضيف هذه المخطوطات المذكورة أنّ الميمر يُقرأ ويكون باب المذبح مغلقاً.

نينوى باللّحن السّنوي – كما تذكر كافة المخطوطات – هو أنّ طقس الصّلوات في هذا الصّوم كان في الأصل باللّحن السّنوي، وليس بلحن الصّوم، فضلاً عن أنّه بحسب الطّقس القبطي القديم، يُرتّل مزمور التّوزيع باللّحن السّنوي حين لا يكون له مرد يتخلّل أرباعه، وهو ما نراه هنا في صوم نينوى[٢٧]، وما نراه أيضاً في قدّاس أحد الشّعانين[٢٨]، وفي عيدي الصّليب أيضاً في ١٧ توت، وفي ١٠ برمهات[٢٩].

وبعد انتهاء المزمور الخمسين تُرتّل الآن أرباع ذُكصولوجيّة صوم نينوى، بطريقة **Παπαρρησ** ، وهي الطّريقة التي تُقال أيضاً في التّوزيع في أيام الصّوم المقدّس الكبير – عن غير حذق – وهي الذّكصولوجيّة الرّابعة من ذكصولوجيّات الصّوم الكبير، وذلك لعدم تناسب كلماتها مطلقاً مع وقت التّناول من الأسرار المقدّسة، وهو ما سأعود إليه مرّة أخرى عند الحديث عن قدّاسات الأيام في الصّوم المقدّس الكبير.

---

٢٧ – جدير بالذّكر أنّه ليس لصوم نينوى مردٌ يختص به مع المزمور المائة والخمسين في التّوزيع. ولكنّ بعض الكنائس الآن تردّد رُبعاً متكرّراً مع أرباع المزمور المذكور، وهو: "يونان في بطن الحوت كمثال المسيح في القبر ثلاثة أيام". ولم تشر أيٌّ من المخطوطات أو الكُتب الطّقسيّة المطبوعة حتى اليوم إلى مثل هذا المرد. وفي الحقيقة ليس ثمّة علاقة مباشرة تربط بين أرباع المزمور المائة والخمسين وبين كلمات هذا المرد. فحين يترجم المصلّي ما يقوله بالقبطيّة إلى اللّغة العربيّة، سيتأكّد ممّا أعنيه.

٢٨ – انظر: الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر، مرجع سابق، ص ٦٢

٢٩ – نفس المرجع، ص ١٠٥

وانظر أيضاً للمؤلف كتاب: "الزّمن القبطي بين عيدي التّوزوز والصّليب".

لمحة عن قراءات صوم نينوى

اليوم الأوّل من صوم نينوى

يقول لنا الرَّب في فصل إنجيل القدّاس (متى ١٢:٣٥-٤٥): «رجال نينوى سيقومون في الدّين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنّهم تابوا بمناداة يونان، وههنا أعظم من يونان».

أمّا المناداة التي ينادينا بها الرُّوح القُدُس اليوم فهي في فصل الإبركسيس[٣٠]: «اخلصوا من هذا الجيل الملتوي». أمّا فصل الكاثوليكون[٣١] فيقول: «متذكّرين أنّ الرَّب مرَّة خلّص شعبه في أرض مصر، وفي المرَّة الثّانية أهلك الذين لم يؤمنوا»، وذلك كقول فصل البولس[٣٢] «لأنّ أجرة الخطيئة موت، وأمّا هبة الله فهي حياة أبديَّة بالمسيح يسوع ربُّنا».

ومن أجل ذلك فنحن نتضرَّع إلى الرَّب قائلين: «إن كنتَ للآثام راصداً يارب، يارب من يقدر أن يثبت أمامك، لأنّ من عندك هو الاغتفار. توكّلت نفسي على الرَّب» (مزمور إنجيل القدّاس ١٢٩:٢، ٤).

اليوم الثّاني من صوم نينوى

هو يوم صلاة يونان في جوف الحوت. صلاة الرَّجاء من جوف الجحيم، لأنه مثلما كان يونان آية لأهل نينوى بشبه موته ونجاته، كذلك

٣٠- أعمال ٢:٣٨-٤٧

٣١- يهوذا ١:١-١٣

٣٢- رومية ٦:١٧-٢٢

يكون ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل بموته وقيامته[٣٣].

أمَّا من أجلنا اليَوم، فالله قد تغاضى عن أزمنة الجهل، وهو يبشِّر الآن جميع النَّاس في كل مكان أن يتوبوا برجُل أفرزه مقدِّماً به للجميع برهاناً، إذ أقامه من بين الأموات[٣٤]. وهكذا كان لزاماً أن يموت يونان أولاً لكي يكرز لهم بقوَّة نجاته من الموت. أمَّا المسيح فقد كرز لنا بموته وقيامته قبل أن يجوز ألم الموت الذي أفضى إلى القيامة. وكما كانت كرازة يونان بعد دفنه في الماء، هكذا بدأت كرازة المسيح لنا بالتَّوبة بعد نزوله إلى الأردن ودفنه في بطن الماء من أجلنا. ولكنَّ موت يونان كان بسبب عدم طاعته، إذ أطاع بعد تجربة الموت التي جازها. أمَّا يسوع فأطاع الآب حتى الموت موت الصَّليب، فسُمع له من أجل تقواه، إذ أقامه الآب ناقضاً أوجاع الموت. وفي كلا الحالين قد بُشِّر الأموات بالذنوب والخطايا، لكي لا يُدانوا بعد كأموات بل كأحياء بالرُّوح أمام الله[٣٥].

فنحن الذين كنَّا غرباء وأعداء في الفكر بسبب أعمالنا الشِّريرة، قد صولحنا الآن في جسم بشريَّة ابنه بموته، لنقوم قدِّيسين وبلا عيب أمامه.

لهذا جاء مرد مزمور الإنجيل استجابة لتضرُّعنا في اليَوم السَّابق للصَّوم فيقول: «يارب غفرتَ آثام شعبك، سترتَ على جميع خطاياهم. حللت كل رجزك، رجعت عن سخط غضبك. الليلويا» (مزمور ٨٤: ٢).

اليَوم الثَّالث من صوم نينوى

ما كاد باكر اليَوم الثَّالث يبزغ حتى كان الخبر المفرح بالنَّجاة «كما

٣٣- إنجيل القدَّاس: لوقا ١١: ٢٩-٣٦
٣٤- أعمال ١٧: ٣٠- الخ.
٣٥- ١بطرس ٤: ٣-١١

يتراءف الآب على بنيه، كذلك تراءف الرَّب على خائفيه. وكبُعد المشارق عن المغارب، أبعدَ عنَّا آثامنا. الليلويا» (باكر مزمور ١٠٢: ١٢، ١١). وهكذا كان لسان حال إنجيل باكر «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» (متى ١١: ٢٥-الخ).

إني أعلمُ يارب أنك إله رءوف، رحيم، كثير الرَّحمة، ونادم على الشَّر، كما علمَ يونان من قبل. فيا لبهجة البشارة التي سمعها أهل نينوى، وكل الذين أكملوا الصَّوم في توبة: «خطاياكم قد غُفرت لأجل اسمه» (الكاثوليكون ٢: ١٢-١٧). ولكن ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد، إنما هي عطيَّة الله، لأنكم بالنِّعمة مخلَّصون بواسطة الإيمان. فالآن أنتم الذين كنتم بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح، فلستم إذاً بعد غرباء ولا نزلاء، بل أنتم شركاء مع القدِّيسين وأهل بيت الله (البولس الرسول أفسس ٢: ١-الخ). وهكذا افتقد الله الأمم أولاً ليتَّخذ منهم شعباً على اسمه (الإبركسيس أعمال ١٥: ١٢-٢٠).

وكما صام أهل نينوى أربعين يوماً فنجوا من الهلاك، هكذا صام المسيح أربعين يوماً من أجل البشريَّة كلِّها، لكي يهيئ لكل من يقتفي آثار خطواته انتصاراً على العالم والخطيئة والجسد.

ورغم أننا لم نصم سوى ثلاثة أيام، غير أنَّ الرَّب بحنوِّه يقول لتلاميذه من أجلنا: «لستُ أريدُ أن أصرفهم صائمين، لئلا يخوروا في الطَّريق». يا للجيل الذي لم تعد تشبعه آية الخبز الكثير، جيل لكي يشبع، لن يُعطى آية إلاَّ آية يونان النَّبي، وقد أُعطيها بالفعل (إنجيل القدَّاس متى ١٥: ٣٢-١٦: ٤). ألا يحق لنا أن نفرح حينئذ قائلين: «طوباهم الذين تُركت لهم آثامهم، الذين سُترت خطاياهم. قلتُ أعترفُ أمام الرَّب بإثمي، وأنتَ صفحت عن نفاقات قلبي. الليلويا».

فصول قراءات فصح يونان

وتكملة لما قاله الرَّب في إنجيل اليوم الثّالث، قال في إنجيل قدّاس الفصح: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه. قال هذا عن هيكل جسده». هي هي الآية التي أرادها الرَّب لهذا الجيل، ولكل جيل. ولمّا قام من بين الأموات، تذكّر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب وبالكلام الذي قاله لهم يسوع[٣٦].

فمن أجلكم أقام الله أولاً فتاه يسوع، وأرسله ليبارككم برد كل واحد منكم عن شروره[٣٧]. هذا من جهة الرَّب. أمّا من جهتنا نحن، فبتعهُّد ضمير صالح أمام الله بفضل قيامة يسوع المسيح[٣٨]، لأنه إن اعترفت بفمك بالرَّب يسوع، وآمنت بقلبك، أنّ الله قد أقامه من بين الأموات، تخلص. لأنّ كل من يدعو باسم الرَّب يخلص[٣٩].

وبالإجماع، لسان حال كل واحد من أهل نينوى، وكل واحد يقتفي آثار توبتهم هو: «في ضيقتي صرختُ إلى الرَّب، فاستجاب لي، وأخرجني إلى السّعة. إنّ أدباً أدّبني الرَّب، وإلى الموت لم يسلّمني. اللّيلويا».

٣٦- يوحنا ٢:١٣-اخ
٣٧- الإبركسيس أعمال ٣:٢٢-اخ
٣٨- الكاثوليكون، ١بطرس ٣:١٧-اخ
٣٩- البولس رومية ١٠:٤-١٨

البَاب الثّاني

إطلالة تاريخيَّة

على الصَّوم المقدَّس الكبير

الفَصل الأوَّل

المراحل التَّاريخيَّة لتطوُّر فترة الصَّوم الذي يسبق عيد الفصح شرقاً وغرباً

في الثَّلاثة قرون الأولى

في البداية كان هناك يومٌ واحدٌ يُصام منه، هو يوم الجمعة العظيمة. وقد حُفظ هذا اليوم في اللاشعور المسيحي ضداً لفرح اليهود بعيد ١٥ نيسان. وكانت غايته هي شهادة بالأسف والأسى الذي ملأ قلوب المسيحيِّين عندما يفكِّرون في إخوتهم من شعب إسرائيل الذين لم يُقبلوا إلى معرفة المسيّا. ولقد عبَّرت عن مثل هذه الأفكار وثيقة قديمة تعود إلى القرن الثَّاني الميلادي، وهي رسالة منحولة تُدعى "رسالة الرُّسُل" Apocryphal Epistle of the Apostles .

وأُضيف إلى هذا اليوم – أي يوم الجمعة العظيمة – اليوم التَّالي له، وهو يوم السَّبت الذي اعتُبر بالأحرى ذات خاصيَّة الاستعداد المباشر للعيد.

ففي القرون الثَّلاثة الأولى كانت فترة الصَّوم استعداداً للفصح لا تتعدَّى يومان أو ثلاثة أيام. ففي أيام القدِّيس إيريناؤس (١٣٠–٢٠٠م) أسقف مدينة ليون كان البعض يصومون يوماً واحداً، والبعض الآخر يومين أو عدداً أكبر من الأيام، وهناك من كانوا يصومون مدَّة أربعين ساعة بدون أن يتناولوا أي طعام. وكانت هذه الفترة تُدعى بصوم ما قبل الفصح، وهي فترة تمتد من يوم الجمعة العظيمة حتى أحد الفصح. وهو ما يذكره القدِّيس إيريناؤس نفسه في عبارة له أوردها يوسابيوس القيصري.

فيقول يوسابيوس القيصري (٢٦٠–٣٤٠م) على لسان القدِّيس إيريناؤس: "... لأنَّ النِّزاع ليس محصوراً في اليوم فقط، بل يتعلَّق أيضاً بطريقة الصَّوم، فالبعض يظنُّون أنهم يجب أن يصوموا يوماً واحداً، وغيرهم يومين، وغيرهم أكثر. والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهاراً وليلاً. وهذا الاختلاف في حفظ الصَّوم لم ينشأ في أيامنا، بل في أيام

آبائنا قبل ذلك بوقت طويل ...»[١].

وكان الصَّوم في هذين اليومين انقطاعاً كاملاً عن الأكل، إشارة إلى غياب السيِّد المسيح ما بين موته وقيامته، إقتداء بقوله: «متى رُفع المسيح عنهم فحينئذ يصومون» (مت ٩:١٥).

كما يتحدَّث العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م) في شمال أفريقيا عن «صوم الفصح» الذي كان يبدأ يوم الجمعة العظيمة، ويدوم حتى صباح أحد القيامة. مؤكّداً بذلك على تقليد كنيسة شمال أفريقيا.

ولقد ترك صوم يومي الجمعة والسَّبت آثاراً واضحة في الطَّقس الغالي القديم، حيث أنّ الكلمة اللاتينيَّة Biduana تعني الجمع بين يومي الجمعة العظيمة والسَّبت المقدَّس.

ويتحدَّث كتاب «التَّقليد الرَّسولي» لهيوليتس (٢٩:١-٤) الذي دُوِّن قبل سنة ٢٣٥م عن صوم الفصح (البَصخة) مشيراً إلى هذين اليومين فيقول:

«لأجل أنه لا يجب لأي واحد أن يذوق شيئاً في البَصخة من قبل الوقت الذي يجب أن يؤكل فيه. لا يُعتبر الصَّوم صوماً، إن كان إنسان شرهاً من قبل وقت تمام الصَّوم. لكن إن كان أحدٌ مريضاً **ولا يقدر أن يصوم اليومين، فليصُم يوم السَّبت لأجل الضَّرورة** مكتفياً بالخبز والماء».

إذاً فقد كان اليومان اللَّذان يسبقان عيد الفصح هما أقدم صوم عرفته الكنيسة المسيحيَّة. أمَّا معلوماتنا عن الصَّوم الأربعيني المقدَّس في هذه الثَّلاثة قرون الأولى للمسيحيَّة فهي شحيحة ونادرة. وهي تنحصر تقريباً في إشارة واحدة منسوبة إلى العلاَّمة أوريجانوس

١- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة (٢٤:٥)، ترجمة القُمُّص مرقص داود، القاهرة، الطَّبعة الثانية، مايو ١٩٧٩م، ص ٢٧٨

(١٨٥-٢٥٤م) في عظة له على سفر اللاويين (٢:١٠) حيث يقول:

[إنَّ أيام الصَّوم التي نُبِّئت هي الأربعين المقدَّسة والأربعاء والجمعة].

ولكن يرى كثيرٌ من علماء اللّيتورجيا، أنَّ ما ذكره أوريجانوس عن صوم الأربعين المقدَّسة تحديداً هي إضافة من روفينوس (٣٤٥-٤١٠م) الذي ترجم كتابات أوريجانوس إلى اللاتينيَّة، إذ أنَّ كثيراً من النُّصوص اليونانيَّة لأوريجانوس مفقودة حتى اليوم[٢].

منذ بداية القرن الرَّابع الميلادي وحتى منتصف القرن الخامس

وسرعان ما كانت المرحلة الأخيرة من التَّطوُّر لصوم الأسبوع الذي يسبق عيد الفصح – وهو صوم ستَّة أيام – والذي صار يُدعى "أسبوع الفصح"، أو اسمه الذي عُرف به فيما بعد وهو "أسبوع البَصخة"، حيث انتشر صوم هذا الأسبوع في الكنيسة كلِّها في أيام الملك قسطنطين الكبير (٣٢٣ – ٣٣٧م) في القرن الرَّابع الميلادي، بينما كان قبل ذلك محفوظاً عند البعض دون البعض الآخر. وربما يكون قد أخذ شكله الاحتفالي كما تعرفه الكنيسة اليوم شرقاً وغرباً من كنيسة أورشليم[٣]، حيث تخبرنا السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا عن تفصيلات هذا الاحتفال.

أمَّا الصَّوم الأربعيني فقد كان صوماً مستقلاً بذاته لا يرتبط بعيد الفصح، إذ كان يبدأ بعد عيد الغطاس مباشرة[٤]، كتطبيق مباشر لقول

2- Cf. Annick Martin, *Athanase d'Alexandrie et l'Eglise d'Egypte au IV^e siècle (328-373)*, Rome, 1996, p. 162.

3- Cross, F.L., & Livingstone, E.A., The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2nd edition), 1988, p. 661.

4- L. Villecourt, O.S.B., *Les observances liturgiques et la discipline du*

الإنجيل المقدّس[٥].

وأوّل إشارة غير مؤكّدة ترد إلينا عن الصّوم الأربعيني في القرن الرّابع الميلادي، هي ما ورد عنه في القانون الخامس لمجمع نيقية المسكوني الأوّل سنة ٣٢٥م، والذي يذكر أنه يجب على أساقفة كلّ إقليم أن يجتمعوا معاً مرّتين في السّنة؛ حيث "يُعقد المجمع الأوّل قبل الأربعين Τεσσαρακοστή ويُعقد الثّاني في فصل الخريف". ولأنّ الكلمة اليونانيّة (تيساراكوستي) تعني "الأربعين"، ولكنها لا تعني تحديداً "الصّوم الأربعيني"[٦]، فقد رأى كثيرٌ من العلماء أنّ المقصود بها هي الأربعين يوماً التي تعقب عيد القيامة، وتنتهي بعيد الصّعود. أي أنّ المجمع المذكور يجب أن يُعقد في خلال هذه الفترة وقبل نهايتها[٧]. ولقد اعتاد الأساقفة في الشّرق عقد اجتماعاتهم بعد عيد الفصح[٨].

أمّا أوّل ذكر واضح للصّوم الأربعيني المقدّس في كنيسة الإسكندريّة فكان في زمن البابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، وبالتّحديد في سنة ٣٣٠م[٩]. حيث كان الصّوم الكبير يمتد إلى ٣٥ يوماً، حيث يُكسر الصّوم في السّاعة التّاسعة من النّهار (الثّالثة بعد الظّهر)[١٠]، ويعقبه ستّة

---

jeûne dans l'Eglise Copte, in Le Muséon XXXVIII, 1925, p. 266.

٥- مق ٣:١٣-٤:١٠

٦- يرى آخرون أنّ المقصود هو الصّوم الأربعيني (Cf. DACL, t. 2, p. 2141.).

7- Annick Martin, *op. cit.*, p. 164.

٨- الأرشيمندريت حنانيا كسّاب، مجموعة الشّرع الكنسي، منشورات النّور، ١٩٧٩م، ص ١٨٨

جدير بالذّكر هنا أنّ القانون رقم (٢٠) من قوانين مجمع أنطاكية المكاني (٣٤١م) قد حدّد أنّ الاجتماع الأوّل يكون بعد الأسبوع الثّالث من الفصح، والاجتماع الثّاني يكون في منتصف شهر تشرين الأوّل (أكتوبر).

٩- انظر الفصل التّالي مباشرة لشرح هذه الخزنيّة.

١٠- وهو نفس ما تقول به أوامر الرّسُل، أو المراسيم الرّسوليّة، التي تمّ تدوينها

أيام صوم الفصح، والتي تبدأ يوم الاثنين، وتنتهي يوم سبت النُّور، فيكون مجموع أيام الصَّوم ٤١ يوماً، أي ستَّة أسابيع. واستمر هذا الوضع قائماً حتى نهاية حبريَّة البابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) على الأقل[١١]. وهو النِّظام الذي تبنَّته مصر وفلسطين وليبيا[١٢].

أمَّا في الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى فكانت تضيف الصَّومين، الواحد إلى الآخر، بدون أن تميِّز بين أسبوع الفصح، والصَّوم الأربعيني كما في كنيسة الإسكندريَّة[١٣]. وأمَّا بخصوص مدَّة الصَّوم في هذه الكنائس، فكان ستَّة أسابيع في كلٍّ من فلسطين[١٤] وأنطاكية[١٥]. وسبعة أسابيع في كنائس القسطنطينيَّة[١٦] وقبرص[١٧] وسوريا[١٨]، وغالباً في كنيسة أورشليم قبل نهاية القرن الرَّابع[١٩].

أواخر القرن الرَّابع الميلادي.

١١- كل الرَّسائل الفصحيَّة بدءًا من البابا أثناسيوس الرَّسولي وحتى البابا كيرلس الكبير تفصل بين الـ ٣٥ يوماً الأولى للصَّوم، والسِّتة أيام الثَّانية التي لأسبوع الفصح.

Cf. NPNF., Series 2, vol. 4, p. 509 ff.

12- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 196.

13- Annick Martin, *op. cit.*, p. 163.

14- Eusebe, De Solemnitate Pasch., 4 et 5.

15- Socrate, H.E., V, 22, 45.

16- Sozomen, *H.E.*, VII, 19, 8.

17- Epi., *Expos. fidei*, 22, 9.

18- *Apostolic Constitutions*, V, 13, 3-4.

19- Cyrille, *Procatech.*, 4 ; Cat. Ill., 4,3 ; 18, 32 (PG 33, 341A, 1053A).

Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 163.

وهنا تلزم الإشارة إلى أنَّ السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا الذي زارت أورشليم فيما بين سنة ٣٨٢م وسنة ٣٨٣م تذكر أنَّ مدَّة الصَّوم في كنيسة أورشليم هو ثمانية أسابيع (Cf. ODCC, 2nd edition, p. 811) وهو ما ينقله بومشتارك A. Baumestark ليقول بعد ذلك بأنَّ هذه الثمانية أسابيع قد انتقلت إلى معظم كنائس الشَّرق، بما فيها مصر.

Cf. Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L.

أمّا في روما وقبل منتصف القرن الرّابع الميلادي، فقد كانت مدّة الصّوم ثلاثة أسابيع، ومن بعدها صوم ثلاثة أيام الفصح[٢٠]. وبعد منتصف القرن الرّابع الميلادي صارت فترة الصّوم هي ستّة أسابيع[٢١].

ولمّا وجد سقراط المؤرّخ (٣٨٠-٤٥٠م) هذا التّباين في مدّة الصّوم بين الكنائس المختلفة، قال بأنّ صوم ثلاثة أسابيع أو أسبوعين Fortnight كان يُسمّى أيضاً Τεσσαρακοστή أي "الأربعين"[٢٢].

وهكذا ظلّت فترة الأربعين يوماً غير محدّدة تماماً في كلّ كنيسة، حتى إلى منتصف القرن الخامس الميلادي على الأقل، كما اختلفت عوائد الصّوم وتباينت من مكان لآخر، ممّا أفسح مجالاً لتأويلات عديدة.

ويورد في القانون رقم (٦٩) من قوانين الرُّسل ما يلي[٢٣]:

"أي أسقف أو قسّيس أو شمّاس أو إيبوديـاكون أو أغنسطس أو إيصالتيس، لا يصوم الأربعين المقدّسة، أو الأربعاء، أو الجمعة، فليُجرَّد

Cross, London, 1958, p. 195.

وهذا كلام لا تسنده الوثائق الأساسيّة التي لدينا، إذ أنّ عظات القدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، وعظات القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، والرّسائل الفصحيّة للبابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، والرّسائل الفصحيّة للبابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م)، إلى جانب ما ذكره كلّ من المؤرّخين سقراط (٣٨٠-٤٥٠م) وسوزومين (أوائل القرن الخامس)، تنفي هذا الزّعم. فنحن لا يمكننا أن نتغاضى عن كلّ هذه الشّواهد الوثائقيّة، مقابل ما ذكرته السّائحة الأسبانيّة عن صوم كنيسة أورشليم في هذه الفترة.

٢٠- سقراط، تاريخ الكنيسة، ٥:٢٢:٣٢

21- Jerome, *Ep. Ad. Marcellam*, 24, 4.

Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 163.

22- Socrate, *Hist. Eccl.*, v. 22 ; ODCC, 2nd edition, p. 810, 811.

٢٣- انظر للمؤلف كتاب: "المراسيم الرّسوليّة"، القاهرة، أكتوبر، ٢٠٠٤م.

إلاَّ إذا أعاقه ضعفٌ جسدي. وإن كان هو علمانياً فليُحرَم"[٢٤].

ونُطلعنا قوانين مجمع اللاذقيَّة (٣٤١ـ٣٨١م) على أُسُس التَّقليد العام بخصوص هذا الصَّوم المقدَّس الكبير. وهذه القوانين هي:

القانون (٤٥): لا يجوز قبول المرشَّحين للمعموديَّة بعد الأسبوع الثَّاني من الصَّوم الكبير[٢٥].

القانون (٤٩): لا يجوز تقديم الخُبز في أيام الصَّوم الكبير فيما عدا السَّبت ويوم الرَّب[٢٦].

القانون (٥٠): لا يجوز حل الصِّيام الكبير في يوم الخميس من الأسبوع الأخير، أعني يوم الخميس الكبير المقدَّس. ففي ذلك احتقارٌ وخرقٌ للصَّوم كلِّه. بل يجب أن نصوم كلَّ فصل الصِّيام الكبير ولا نتناول فيه إلاَّ الأطعمة الجافة[٢٧].

القانون (٥١): لا تجوز إقامة أعياد ميلاد الشُّهداء في الصَّوم الكبير.

٢٤- وهو يقابل القانون (٤٩:٢) من قوانين الرُّسُل القبطيَّة، والتي دُوِّنت في القرن الخامس الميلادي.

٢٥- وذلك لأنهم يجب أن يبدأوا الصَّوم من أوَّله.

٢٦- يقول هيفيليه (١٨٠٩ـ١٨٩٣م): سنُّ مجمع تروللو قانوناً شبيهاً بهذا وهو القانون رقم (٥٢). لأنَّ أيام الصَّوم الكبير هي أيام توبة وحزن، فلا يرون من المناسب إقامة القدَّاس، لأنَّ تقديس القربان هو عمل مفرح. ويقول برسيفال: يجب أن نضيف إلى أيام السُّبوت والآحاد التي ذكرها هيفيليه عيد بشارة العذراء، فهو عيد عظيم يُحتفل به بإقامة القدَّاس.

٢٧- برغم أنه قد شاع في الكنيسة الجامعة ضرورة الصَّوم في استقبال سر الشُّكر (الإفخارستيَّا)، وصار تقليداً مستقراً، إلاَّ أنه لا يُنكر أنه في قليل من الأماكن استمرَّت العادة باعتبار يوم الخميس الكبير شاذاً عن القاعدة، فتُقام فيه وليمة عيد، تذكاراً لعشاء ربِّنا الأخير؛ وبعد ذلك تُقام خدمة القدَّاس الإلهي، وهي العادة التي أشار إليها هذا القانون وأمر بمنعها.

أمّا تذكاراتهم فتقام أيام السُّبوت والآحاد[٢٨].

القانون (٥٢): لا يجوز أن تقام في أيام الصَّوم الكبير أعراس أو أعياد ميلاد.

من منتصف القرن الخامس الميلادي حتى نهاية السّادس

في هذه الفترة والتي أعقبت مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م أُضيف أسبوعاً سابعاً للصَّوم الكبير في كنيسة الإسكندريَّة، إقتداء بالكنائس الشَّرقيَّة الأخرى، وذلك في وقت غير معلوم لدينا بالتَّحديد حتى الآن، حيث صار الصَّوم في كلّ الشَّرق سبعة أسابيع. ولكن في كنيسة الإسكندريَّة ظلّ التَّمييز واضحاً بين الصَّوم الكبير، وصوم أسبوع الفصح.

فتفرُّق قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة – التي وضعت في أواخر القرن الخامس الميلادي – بين صوم الفصح (البَصخة)، في القانون رقم (٣٠)، وبين الصَّوم الأربعيني، في القانون رقم (٣١).

فيقول القانون رقم (٣٠): "لا يشرب أحدٌ من الكهنة خمراً البتَّة في أيام البصخة. ولا يأكل أحدٌ شيئاً يخرج منه دم. والخمرُ الذي يفضل عن المَذبح في البصخة يعطوه لمساكين المرضى".

ويقول القانون (٣١): "لا يمضي أحدٌ من الكهنة إلى الحمَّام في الأربعين يوماً المقدَّسة، وصومي الأربعاء والجمعة. وإذا وُجد أحدٌ قد مضى بغير مرض أو شدَّة فليخرج"[٢٩].

وهو ما نجده واضحاً أيضاً في قوانين هيبوليتس القبطيَّة التي دُوِّنت في

٢٨- لأنّ تذكارات الشُّهداء والمقدّسين يُحتفل بها بإقامة القدّاس الإلهي، وطبقاً للقانون (٤٩) في هذا المجمع، لا تُقام قدّاسات في أيام الصَّوم الكبير باستثناء السُّبوت والآحاد.

٢٩- انظر للمؤلّف كتاب: "قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة"، القاهرة، يناير ٢٠٠٣م.

القرن السَّادس الميلادي، والتي تشرح طقس كنيسة الإسكندريَّة في هذه الفترة، فنقرأ عن كلٍّ من الصَّوم المقدَّس الكبير، وصوم الفصح ما يلي[٣٠]:

" أيام الصَّوم التي قُنِّنت هي: الأربعاء والجمعة والأربعون. والذي يزيد على هذا، فإنه ينال أجراً. ومن خالف هذا من غير مرض أو شدَّة أو ضرورة، فهو خارج عن القانون، ومخالف لله الذي صام عنَّا".

"والأسبوع الذي لفصح اليهود، فليتحفَّظ فيه كلُّ الشَّعب بتحفُّظ كثير، ليصوموا عن كلِّ شهوة فيه، حتى إلى كلمة لا يقولونها بفرح بل بحزن، عارفين أنَّ ربَّ الكُل، غير المتألِّم، تألَّم فيه عنَّا، لكي نصير على الآلام، فنخرج عن الألم الذي نستحقّه لأجل آثامنا، ونحن أيضاً نشارك الألم الذي قبله عنَّا لنشاركه في ملكوته.

والطَّعام الذي في البَصخة خبزٌ وملحٌ وحده وماء.

وإن كان واحدٌ مريضاً أو في كورة ليس فيها نُصراني، ويفرغ زمان البَصخة، ولم يعرفه كحدِّه، أو لأجل مرض أخَّره عن الصَّوم، فليصوموا بعد الخمسين، ويصنعوا البَصخة بأدب، لتتبيَّن نيَّتهم أنهم لم يتوانوا بغير مخافة.

وهم لا يصومون كأنهم يصنعون بصخة وحدهم، ليصنعوا أساساً آخر غير الذي هو موضوع".

القرن السَّابع الميلادي فصاعداً

في زمن الإمبراطور هرقل (٦١٠- ٦٤٠م) أُضيف أسبوعاً ثامناً على الصَّوم الكبير، حيث عُرف الأسبوع الأوَّل من الصَّوم "الأربعيني" بأسبوع هرقل، وذلك في كلِّ الشَّرق. ولكن بعد زمن هرقل، ألغت الكنائس الشَّرقيَّة هذا الأسبوع الثَّامن من الصَّوم، بينما ظلَّ قائماً في

٣٠- انظر للمؤلف كتاب: "قوانين هيبوليتس القبطيَّة"، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٤م.

كنيسة الإسكندريّة[٣١].

ويتحدّث مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م - وهو ذو أهمّيّة تاريخيّة قصوى - عن سبعة أسابيع صوم، بصورة تشعر بموجبها أنّ سبعة أسابيع صوم قد تعمّم استعمالها في الشّرق، وذلك بعد أن ضُمّ أسبوع الفصح إلى الأربعين المقدّسة. ففي القرن السّابع الميلادي تقريباً استقر الصّوم الكبير في كلّ مكان تقريباً بصورته الرّاهنة الآن.

وهنا يلزمنا لاكتمال الصّورة أن نورد ما تذكره قوانين مجمع ترولو عن الصّوم المقدّس الكبير.

القانون (٢٩): جاء في قانون لمجمع قرطاجنّة أنه لا يجوز أن يقدّم الأسرار المقدّسة على المذبح إلاّ من كان صائماً فيما عدا يوماً واحداً في السّنة، وهو الذي نقيم فيه تذكار العشاء الأخير للرّب. فقد يكون أنّ أولئك الآباء القدّيسين قد استحسنوا السّماح بذلك لعلل مفيدة للكنيسة موافقة لظروف خاصة في بعض الأماكن. ولكن إذ ليس من داعٍ لإهمال المراعاة الدّقيقة للصّوم، فنحن نأمر بإتّباع تقليد الرّسُل والآباء، فلا يجوز أن نكسر الصّيام في يوم الخميس من الأسبوع الأخير في الصّوم الكبير فنهتك بذلك حُرمة الصّوم كلّه[٣٢].

٣١- هذا ما سأشرحه تفصيلاً في الفصل القادم مباشرة.

٣٢- الرّسُل (٦٩)، السّادس (٨٩)، اللاذقيّة (٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢)، قرطاجنّة (٤٨، ٥٦)، ديونيسيوس (١)، ثيموثاوس (٨، ١٠).

قال زوناراس: بما أنّ ربّنا يسوع المسيح في يوم الخميس الكبير تناول أولاً العشاء حسب العادة ثم أعطى الأسرار الإلهيّة للتّلاميذ. شاعت في أفريقيا عادة في أن يأكل الشّعب يوم الخميس الكبير بعض الأطعمة الشّهيّة بعد أن يكون مضى عليهم مدّة طويلة وهم لا يذوقون إلاّ الأنواع البسيطة من القوت كالخبز والماء وبعض الخضر والحبوب بدون زيت ولا خمر. ثم يحتفلون بخدمة القدّاس الإلهي ويتناولون الأسرار المقدّسة. ويظهر أنّ هذه العادة شاعت حتى قبل المجمع المسكوني الثاني، فقد انتقدها

القانون (٥٢): يُقام قدَّاس القُدسات السَّابق تقديسها في كـلّ أيـام الصَّوم الكبير ما عدا السُّبوت والآحاد، ويوم عيد البشارة المقدَّس[٣٣].

القانون (٥٣): إذ قد فهمنا أنهم في مدينة روما يصومون في الصَّوم الكبير أيام السُّبوت خلافاً للتَّرتيب الكنسي التَّقليدي فقد لاح للمجمع أنه يجب أن يراعى هذا القانون في روماء وهو أنَّ كلّ من وُجد صـائما يوم أحد أو يوم سبت (ما عدا السَّبت الواحد الكبير)، فليسقط إن كان إكليريكياً وليُقطع إن كان عامياً[٣٤].

بمجمع اللاذقيَّة المكاني الذي عُقد قبله.

٣٣- الرُّسُل (٦٩)، اللاذقيَّة (٤٩، ٥١).

القُدسات السَّابق تقديسها هو طَقس تعرفه الكنائس البيزنطيَّة والسِّريانيَّة، وكنيسة روما، وهي تُدعى التَّقدمة التي سبق تقديمها، والذَّبيحة التَّامة. ويعترف اليونانيُّون أنَّ الخُبز متى قُدِّم وقُدِّس لا يجوز أن يقدَّس ثانية في يوم آخر، فهو تقدمة جديدة ممَّا قُدِّس سابقا. وخدمة القدسات السَّابق تقديسها سابقة بكثير عن زمن القدِّيس غريغوريوس الثيولوغوس (٣٢٩- ٣٨٩م)، ولكنَّه هو الذي جمعها ونظَّمها كما هـي في ترتيبـها الآن. وهي الخدمة التي بموجبها يسهل على المؤمنين تناول الأسرار المقدَّسة في الأيـام التي لا تُقام فيها قدَّاسات. وهذه الخدمة تُقام عادة في الكنائس الأرثوذكسيَّة البيزنطيَّة في أيام الأربعاء والجمعة من الأسابيع السِّتة الأولى من الصَّوم الأربعيني الكبير، ويـوم الخميس من الأسبوع الخامس، وأيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء من أسبوع الفصـح العظيم (البصخة). ويمكن أن يُقال أيضاً أنها تُقام في كل يوم من أيام الصَّوم الكـبير فيما عدا السُّبوت والآحاد وعيد البشارة، وفي كل يوم يقع فيه تـذكار قـدِّيس أو تكريس كنيسة. وقد تذمَّر سمعان التَّسالونيكي المشهور في أوَّل القرن الخامس عشـر من الإهمال العام وعدم إقامة هذا القدَّاس يوم الجمعة العظيمة في أيامه. ويقـول: إن كنيسته هي الوحيدة التي حافظت عليه في تلك الأكسرخوسيَّة. ويُظن أن سبب هذا الإهمال هو التَّشبُّه بكنيسة أورشليم.

ويقول جون ماسون نيل في مؤلَّفه "مقالات في اللِّيتورجيَّات": "إنه من الغرابة أن نجد أنه في اليوم الوحيد الذي تُقام فيه في الغرب خدمة القدسات السَّابق تقديسـها، وهو يوم الجمعة العظيم، قد أُلغي فيه استعمالها في الشَّرق".

٣٤- يصوم الرُّومانيُّون السُّبوت في الصَّوم الكبير، لذلك ينبِّه المجمـع بوجـوب

القانون (٥٦): علمنا أيضاً أنه في مقاطعات أرمينيا وفي أماكن أخرى يأكل بعض النّاس بيضاً وجبناً في سبوت الصّوم المقدّس وآحاده، فيلوح لنا أنه يحسن أن يسود نظامٌ واحدٌ في كنيسة الله في كلّ أنحاء العالم، وأن يُحفظ الصّوم حفظاً دقيقاً. وكما يمتنع النّاس عن أكل ما ذُبح، هكذا يجب أن يمتنعوا عن أكل البيض والجبن وهما من نتاج الحيوانات الممنوع أكل لحمها. وكلّ من لا يحفظ هذه الشّريعة فليسقط إن كان إكليريكياً وإن كان عامياً فليُقطع[٣٥].

ففي القرون الأولى للمسيحيّة كانت مراعاة الصّوم الأربعيني دقيقة جداً، فكان يُكتفى بوجبة واحدة في اليوم تؤخذ في السّاعة الثّالثة بعد الظّهر، أو في المساء، وكان تناول البيض والجبن والسّمك وما يخرج منه دم، ممنوعاً تماماً في معظم الأماكن. أمّا صوم أسبوع البصخة فهو أشد صرامة وتقشفاً. وهكذا ظلّت المحافظة على الصّوم موطدة جداً في الشّرق. وأمّا في الغرب المسيحي، وبدءاً من القرن التّاسع الميلادي، فقد بدأت قوانين الصّوم تخف تدريجياً، ومع حلول القرن الخامس عشر، صار مسموحاً بالأكل عند الظّهر[٣٦].

ثمّ ظهر في الكنيسة الشّرقيّة ما صار يُعرف باسم "جمعة ختام الصّوم" والتي تسبق مباشرة سبت لعازر، وهي الجمعة التي ينتهي فيها الصّوم الأربعيني، وصارت خاصيّة هذا اليوم خاصيّة احتفاليّة، ليبدأ بعدها الصّوم الفصحي، أو صوم أسبوع البصخة، أو صوم الأسبوع المقدّس

مراعاة قانون الرّسُل رقم (٦٤) عن هذه الأيام. وكان القانون رقم (١٨) لمجمع غنغرا (٣٤٠م) قد ذكر من قبل أنه: "كل من يصوم يوم الأحد (أو يوم السّبت) بدعوى الزّهد فليكن محروماً".

٣٥- يأكل الأرمن بيضاً وجبناً في سبوت الصّوم الكبير، لهذا وُضع هذا القانون.

36- ODCC, 2nd edition, p. 811.

العظيم، حيث يكون سبت لعازر وعيد الشَّعانين، فاصلاً بين الصَّـــومين. ولقد تبنت كنيسة القسطنطينيَّة هذا النِّظام الجديد، بالإضافة إلى الـــبلاد المحيطة بها. وظلَّ هذا النِّظام معمولاً به في كنيستي القسطنطينيَّة وأنطاكية، والذي تبنته بعد ذلك كنيسة أورشليم، كما نعلم من المصادر الأرمينيَّـــة والجورجيَّة والسُّريانيَّة الملكانيَّة Syro-Melkite . فكنيسة أنطاكية الوطنيَّة دعت هذا اليوم باسم "جمعة الأربعين المقدَّسة"، وهي يوم الجمعة مـــن الأسبوع السَّادس، أي أسبوع الأعمى بن طيما. وإنَّ طقـــس الكنيســـة اليونانيَّة يشير إلى نفس هذه الحقيقة، وذلك في صلاة الغروب لهذا اليَـــوم عينه، حيث يرد فيها الطِّلبة الآتية: "إذ قد أكملنا صوم الأربعين يومـــاً النَّافع لنفوسنا، نطلب إليك أن ننظر الأسبوع المقدَّس الذي لآلامك".

الصَّوم المقدَّس الكبير في مختلف الكنائس في الوَقت الحالي

في الشَّرق المسيحي

مدَّة الصَّوم حالياً عند السُّريان الأرثوذكس هي أسبوعان، الأسبوع الأوَّل من الصَّوم، وأسبوع الآلام[٣٧]، وكلُّ أربعاء وجمعة خلال الخمسة أسابيع التي تقع بينهما.

ويصوم الأرمن الأرثوذكس ٤٨ يوماً شاملة فيها أسبوع البَصـــخة المقدَّسة. ويبقى الصَّوم وفترة الانقطاع عند الأرمن الأرثوذكس حُرَّين يختار كلُّ مؤمن ما يناسبه. أمَّا الانقطاع عن أكل اللَّحم فيكـــون يـــوم الاثنين الأوَّل — مدخل الصَّوم — وكلُّ أيام الجُمَع من الصَّوم.

٣٧- تعبير "أسبوع الآلام" ليس تعبيراً نابعاً من تقليد الكنيسة القبطيَّة، والتي ترى أنَّه ليس أسبوعاً للآلام بل أسبوعاً للعبور من الموت إلى القيامة أي "بصخة".

أمّا الرُّوم الأرثوذكس فمدّة الصَّوم عندهم هي ٤٧ يوماً شاملة أسبوع الفصح، ومسموح عندهم بأكل الأسماك الصَّدفيَّة في سبوت وآحاد الصَّوم الكبير، كما يشهد بذلك ملاتيوس الصَّائم. أمّا الرُّوم الكاثوليك فمدَّة الصَّوم عندهم ٤٧ يوماً أيضاً، حيث يمتنعون عن أكل اللَّحم في أيام الأربعاء والجمعة طيلة الصَّوم بالإضافة إلى أسبوع الفصح.

ويمتد الصَّوم في الكنيسة الآشوريَّة في الصَّوم المقدَّس الكبير حتى الغروب، مع الانقطاع عن اللَّحم والبياض في الأسبوع الأوَّل والأسبوع الأوسط والأسبوع الأخير من الصَّوم، وكل أيام الأربعاء والجمعة على مدى أسابيع الصَّوم.

في الغرب المسيحي

أمّا في الغرب المسيحي فيُسمَّى الصوم الأربعيني في اللاتينيَّة Quadragesimal fast وهذه التَّسمية تنطبق بوجه خاص على الأحد الأوَّل من الصَّوم الذي كان يمتد إلى ستَّة أسابيع. وقبل القرن السَّابع الميلادي كان الصَّوم الكبير يبدأ بأحد الكادراجيزيما Quadragesimal Sunday كما لا زال معروفاً به حتى اليوم في الطَّقس الأمبروزي. ثمّ أضيف إليه أربعة أيام تبدأ من يوم الأربعاء السَّابق له مباشرة، والذي يُسمى يوم الرَّماد Ash Wednesday لتكميل العدد الحقيقي لأربعين يوماً صوماً. وقد سُمِّي كذلك حيث كان الإكليروس والشَّعب يضعون رماداً على رؤوسهم علامة التَّوبة[٣٨]. كما يُستخدم هذا الاسم Quadragesima أحياناً لمجموعة من العظات تُقال في هذه الفترة[٣٩].

٣٨- يرى العالم اللّيتورجي بومستارك A. Baumestark أنّ الأربعة أيام السَّابقة على الصَّوم المقدَّس، والتي حدَّدها الغرب لتبدأ بأربعاء الرَّماد قد وُضعت لسوء فهم.

39- ODCC, 2nd edition, p. 1149.

وهذه الأربعة أيام السَّابقة على الصَّوم في طقس روما تشبه الأسبوع السَّابق على الصَّوم في التَّقليد البيزنطي، والذي تسمَّى بأسبوع الاستعداد، حيث أنَّ التَّشابه بينهما هو في إقامة الاحتفال الإفخارستي في يومي الأربعاء والجمعة من هذا الأسبوع[٤٠].

ومدَّة الصَّوم في الكنيسة الغربيَّة — ويتبعهم في ذلك الموارنة[٤١] — يومان فقط، يكون فيهما الصَّوم حتى الظُّهر، والانقطاع عن أكل اللَّحم كلَّ أيام الجُمَع من الصَّوم. ففي سنة ١٩١٧م خفَّف الحق القانوني الكنسي الكاثوليكي قانون الصَّوم فأباح أكل البيض وشُرب الحليب، وأبقى على الاكتفاء بتناول وجبة واحدة في النَّهار. وفي سنة ١٩٤١م صدر تخفيف آخر برفع إلزاميَّة الصَّوم والانقطاع، ثمَّ جرى تثبيت ذلك بنص قانوني صدر سنة ١٩٤٦م. وفي سنة ١٩٤٩م صدرت تعليمات كنسيَّة جديدة أعادت بعض جوانب الصَّوم مثل فرض الصَّوم حتى الظُّهر والانقطاع عن أكل اللَّحم أيام أربعاء الرَّماد والجمعة العظيمة وسبت النُّور، والانقطاع عن اللَّحم فقط في جُمع الصَّوم الكبير كلِّها. أمَّا الوضع الحالي فصار الانقطاع عن أكل اللَّحم يوم الاثنين الأوَّل من الصَّوم — مدخل الصَّوم — ويوم الجمعة العظيمة، وأيام الجُمَع من الصَّوم.

وفي طقس روما الحالي لا يُصام الصَّوم الكبير سوى في هذا اليوم — أي أربعاء الرَّماد — ويوم الجمعة العظيمة فقط[٤٢].

40- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 198.

٤١- يمتنع الموارنة عن اللَّحم في أيام الأربعاء والجمعة احتراماً للشَّريعة، ويصوم السَّبت أيضاً إكراماً وتعبُّداً لمريم العذراء. على أنَّ الإمساك يوم السَّبت اختياري، ومع ذلك فهو مرعي الحفظ أكثر من الأربعاء والجمعة. وعندهم فوق ذلك أربعة أصوام على مدار السَّنة هي: الصَّوم الكبير، وصوم الميلاد، وصوم السَّيِّدة العذراء، وصوم القدِّيسَين بطرس وبولس.

42- ODCC, 2nd edition, p. 96.

الفَصل الثّاني

الصّوم المقدّس الكبير
في الكنيســـة القبطيّـــة
من الوجهة التّاريخيّة

تمهيد

في هذا الفَصل سنحصر حديثنا عن أمرين أساسيَّين في الصَّوم المقدَّس الكبير في الكنيسة القبطيَّة.

الأمر الأوَّل: متى ضُمَّ صوم الأربعين المقدَّسة إلى صوم أسبوع الفصح، الذي هو أسبوع البَصخة.

الأمر الثَّاني: حول صوم أسبوع هرقل، وهو الأسبوع الأوَّل من الصَّوم الكبير.

أولا: متى ضُمَّ الصَّوم الأربعيني إلى صوم أسبوع الفصح

ما يذكره ابن كبر والسِّنكسار القبطي

يقول القس شمس الرِّئاسة أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في البَاب التَّاسع عشر من كتاب "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" ما يلي[١]:

"الشَّعانين وهو الأحد السَّابع من الصَّوم، وهو تمام الأربعين المقدَّسة. وهو كان قديماً فصح الصِّيام لا فصح القيامة. لمَّا كانت الأربعين المقدَّسة يُبتدأ بصيامها من ثاني عشر طوبه، ويكون تمامها الحادي والعشرين من أمشير، وتُعمل جمعة البَصخة[٢] مفردة في شهر نيسان، ويعيَّد عيد فصح القيامة آخر الأسبوع يوم الأحد، مع التَّحرُّز[٣] من اتفاقه مع عيد فصح اليهود، إلى أيام الأب البطريرك أنبا دمتريوس الثَّاني عشر من بطاركة الإسكندريَّة. فإنه أدرك بنعمة روح القُدُس معرفة علوم

١- مع إضافة الهمزة والشَّدَّة.
٢- حرفيًا: البسخة.
٣- حرفيًا: التحرُّر.

البيعة، ورتّب حساب الإبقطي الذي يعجز حكماء الفلاسفة عن مثله، وأضاف جُمعة البَصخة[٤] إلى الأربعين، ورتّب ذلك باتّفاق مع البطاركة الذين كانوا على الكراسي الثّلاثة الأُخَر في زمانه"[٥].

ويقول ابن كبر أيضاً في البَاب الثّامن عشر من موسوعته "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" ما يلي: "كان الصّوم المقدّس فيما تقدّم يُعمل ثاني الغطاس كقول الإنجيل المقدّس ولمّا صعد يسوع من الماء، للوقت[٦] أخرجه الرُّوح إلى البريّة ليجرّب من إبليس. وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة. وكانت جمعة الآلام تُعمل مفردة في الوقت المخصوص بها، لأنّ لها وقتاً مشروطاً وحداً محدوداً قرّره الآباء ورسموه ليكون الفصح المجيد تلو عيد اليهود، بحيث لا يوافقه جملة. ثمّ استقرت آخر الأربعين المقدّسة، وحسُن وضعها وعظُم نفعها ... الخ"[٧].

ومع بداية هذا البَاب الثّامن عشر، ترد حاشية على يسار الصّفحة وممتدّة لتغطّي أسفل الصّفحة أيضاً، تقول ما نصّه[٨]: "قد كان الرسل الاطهار ومن تابعهم من المؤمنين يصومون الاربعين المقدسه تالي يوم

٤- حرفياً: البصخة.

٥- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، البَاب ١٩

٦- حرفياً: وللوقت.

٧- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، البَاب ١٨

٨- وهي (ورقة ٢٠٨ وجه)، وبالترقيم الغربي (٢١٠) من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، البَاب ١٨

وليس من الواضح إن كانت هذه الحاشية للمؤلف ذاته، أو للنّاسخ، أو لأحد القرّاء الأوائل. واسم بطرس فيها هو كتابة خطأ لاسم فيكتور أو بقطر أو بقطرُس. ونصّ هذه الحاشية غير مأخوذ من "سيَر البيعة" ولا من "السّنكسار"، يوم عيد القدّيس ديكتريوس (١٢ برمهات). ولكن من "السّنكسار" يوم (١٠ هاتور).

انظر: الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٣

الغطاس الثاني عشر من طوبه ويعيّدون الفصح المجيد في الثاني والعشرين من امشير ويعملون جمعه الالام بعد ذلك بايام ويختصونها بعيد القيامه الى ايام الاب البطرك دمتريوس الثاني عشر من بطاركه الاسكندريه فانه كان فلاحاً لا يعرف القرايه ولا يحسن الكتابه فانار الله عليه بروح النعمه حتى انه عرف ساير كتب البيعه وتبحر فيها وشرح كثيراً منها والهم وضع حساب الابقطي وتقرير قاعده الصوم المقدس على ما هو عليه والتمامه بجمعه وتعييد الفصح المجيد في الوقت والشهر المرسوم له وارسل نسخه ذلك الى الاب بطرس برومیه و القسطنطينيه و بطريرك انطاكيه فوافقوه عليه واستقر دايماً".

وما ذكره ابن كبر في الفقرات السّابقة قد انتقل إلى كُتُب الكنيسة القبطيّة، فمثلاً يذكر **السّنكسار تحت اليوم الثّاني عشر من شهر بابه** وهو يوافق نياحة الأنبا دمتريوس الأوّل البابا الثّاني عشر (١٨٩-٢٣١م)، يذكر ما يلي:

"... وهو الذي وضع حساب الإبقطي الذي به تستخرج مواقيت الأصوام على قواعد ثابتة. وقد كان المسيحيُّون قبل ذلك يصومون بعد عيد الغطاس مباشرة الأربعين المقدّسة، إقتداء بالسيِّد المسيح الذي صام بعد عماده. ثمّ يصومون أسبوع الآلام منفصلاً، ليكون الفصح المسيحي في الأحد الذي يلي فصح الإسرائيليين. وكان أيضاً من المسيحيِّين من كان يحتفل بالفصح المسيحي يوم ١٤ نيسان، أي أنهم كانوا يعيِّدون مع اليهود، غير ملتفتين إلى أنّ فصح المسيحيِّين بقيامة السيِّد المسيح كان بعد الفصح الموسوي.

ولذلك اهتم البابا دمتريوس بوضع قواعد ثابتة للأصوام والأعياد المسيحيَّة، وضمَّ الأربعين المقدّسة إلى أسبوع الآلام، وكَتَبَ بذلك إلى

كلٌّ من أغابيوس أسقف أورشليم، ومكسيموس بطريرك أنطاكية، وبطاريرك رومية وغيرهم. فاستحسنوه وعملوا بقواعده إلى اليوم ما عدا كنيسة رومة، فإنها عَدَلَت عن ذلك، واتَّبعت منذ القرن السَّادس عشر التَّقويم الغريغوري ...»[٩].

كما يذكر السِّنكسار أيضاً تحت اليوم العاشر من شهر هاتور ما يلي: «وفيه أيضاً اجتمع بجمع مقدَّس برومية في أيام فيكتور بابا رومية وديمتريوس بابا الإسكندريَّة. وسبب اجتماع هذا الجمع أن النَّصارى كانوا لم يزالوا يعيدون عيد الغطاس، ويصومون من اليوم الذي يليه. ثمَّ يفطرون في اليوم الثَّاني والعشرين من شهر أمشير. وبعد أيام يصومون أسبوع الآلام. ويعيدون عيد القيامة المجيد.

ولمَّا قُدِّم القدِّيس ديمتريوس بطريركاً على كرسي الإسكندريَّة، وكان أمياً، ولكن الله قد أنار عقله بالنِّعمة الإلهيَّة، فقرأ كُتُب الكنيسة وشرح أكثرها. ووضع قواعد حساب الأصوام والأعياد المتنقِّلة المستعملة في أيامنا هذه. وأرسل منها نسخاً إلى الأب فيكتور بطريرك رومية، والأب مكسيموس بطريرك أنطاكية، والأب أغابيوس أسقف أورشليم.

ولمَّا وصلت هذه الرِّسالة إلى الأب فيكتور، قرأها فاستحسنها كثيراً. وجمع أربعة عشر عالماً من أساقفة كرسيه. وجماعة من علماء القسوس، وقرأها عليهم، فاستحسنوها، ونشروها في جميع بلادهم. وبذلك ترتَّب

٩- كتاب السِّنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرُّسُل والشُّهداء والقدِّيسين، المستعمل في كنائس الكرازة المرقسيَّة في أيام وآحاد السَّنة التوتية. وضع الأنبا بطرس الجميل أسقف مليج، والأنبا ميخائيل أسقف أتريب، والأنبا يوحنا أسقف البرلس، وغيرهم من الآباء القدِّيسين. الجزء الأوَّل، المهتمان بطبعه، القمُّص عبد المسيح ميخائيل رئيس كنيسة الفجالة، والقمُّص أرمانيوس حبشي خنا البرماوي أحد رهبان دير السُّريان، بأمر وفي عهد حضرة صاحب القداسة غبطة الحبر المعظم، الأنبا يؤانس التَّاسع عشر، بابا وبطريرك الكرازة المرقسيَّة، القاهرة، ١٦٥٢ش/ ١٩٣٥م.

الصَّوم المقدَّس والفصح المجيد على ما هو عليه اليوم في كنيستنا القبطيَّة، ولإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين"[١٠].

وإنَّ ما يقوله ابن كبر عن أنَّ ضم أسبوع الفصح (البَصخة) إلى الصَّوم المقدَّس الكبير، قد حدث في أيام البابا ديمتريوس الكرَّام (١٨٩-٢٣١م)، هو أمرٌ يعوزه الدَّليل، إذ لا تسنده الوثائق المعروفة لدينا حتى الآن. فيوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) عندما تحدَّث عن النِّزاع الذي وقع بين الكنائس بسبب تحديد يوم عيد الفصح[١١]، لم يشر إلى البابا ديمتريوس الكرَّام في هذا الشَّأن[١٢]. كما أنَّ البابا الإسكندري

١٠- نفس المرجع السَّابق.

وإنَّ المؤرِّخ سعيد بن بطريق في كتابه "التَّاريخ المجموع على التَّحقيق والتَّصديق"، ينسب إلى الأساقفة مجتمعين عمل الحساب، لا إلى بطريرك الإسكندريَّة بمفرده. إذ يقول: "وفي ذلك العصر كتب ديمتريوس بطريرك الإسكندريَّة إلى غابيوس أسقف بيت المقدَّس، وإلى مقسيموس بطريرك أنطاكية، وإلى بقطر بطريرك رومية، في سبب حساب فصح النَّصارى، وصومهم، وكيف يُستخرج من فصح اليهود، ووضعوا في هذا كُتُب كثيرة ورسائل، حتى ثبَّتوا فصح النَّصارى على ما هو عليه اليوم. وذلك أنَّ النَّصارى كانوا من بعد صعود سيِّدنا المسيح إلى السَّماء، إذا عيَّدوا الخميم، من العد يبدأوا يصومون أربعين يوماً، ويفطرون، كما فعل سيِّدنا المسيح، لما اعتمد في الأردن، خرج إلى البريَّة، فأقام بها صائماً أربعين يوماً. فكان النَّصارى إذا كان فصح اليهود عيَّدوا هم أيضاً الفصح. فوضعوا هؤلاء البطاركة حساباً للفصح، ليصوم النَّصارى أربعين يوماً، ويكون فطرهم في يوم الفصح".

انظر: الرَّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٤، ٢٨٥

١١- سوف أشرح هذا الأمر بالتَّفصيل عند الحديث عن عيد القيامة. ولكن يلزم هنا معرفة أنَّ مشكلة تحديد يوم عيد الفصح (القيامة)، في هذا الوقت، كانت مشكلة لا علاقة لها بصوم الأربعين المقدَّسة.

١٢- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٥: ٢٣-٢٥) ص ٢٧٥- ٢٨٠

ولكن ينبغي ألاَّ نغفل أن هناك إشارة هامة في هذا الأمر بخصوص تقليد كنيسة الإسكندريَّة القديم في الاحتفال بعيد الفصح في يوم الأحد تحديداً، وليس في أي يوم آخر، وردت في رسالة لأساقفة من كنائس فلسطين، وصور، وبتولمايس، يقولون فيها: "... ونعرِّفكم بأنهم في الإسكندريَّة يحفظونه (أي يوم عيد الفصح) في نفس

ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م) لم يكن يعرف سوى صوم ستّة أيام الفصح[١٣]. ومن جهة أخرى، ليست هناك وثيقة تتكلّم عن الصّوم المقدّس الكبير قبل القرن الرّابع الميلادي[١٤].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فمن المعروف لدينا **وثائقياً** أنّ انضمام أسبوع الفصح إلى الأربعين المقدّسة قد عُرف في كنيسة الإسكندريّة في زمن البابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، وهو ما تشرحه رسائله الفصحيّة التي كتبها ما بين سنة ٣٢٩م وسنة ٣٧٣م، أي منذ إقامته بطريركاً سنة ٣٢٨م إلى يوم نياحته في ٢ مايو سنة ٣٧٣م. وهو ما سأشرحه في السُّطور التّالية.

اليوم مثلنا. لأنّ الرّسائل قد حُملت منّا إليهم، ومنهم إلينا، حتى أننا نحفظ اليوم المقدّس بنفس الطّريقة، وفي نفس الوقت".

يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٥:٢٥) ص ٢٨٠

وينبغي لنا أن نفرّق تفريقاً واضحاً بين مشكلتين؛ الأولى هي تحديد يوم عيد الفصح، والثّانية هي ضم الأربعين المقدّسة إلى أسبوع الفصح (البصخة).

وبخصوص المشكلة الأولى يتكلّم يوسابيوس القيصري، فيقول: "ولهذا السّبب عقدت المجامع واجتمع الأساقفة، واتفق الكل برأي واحد، بعد تبادل الرّسائل، على إصدار أمر كنسي بأن سرّ قيامة الرّب يجب أن لا يُحتفل به في أيّ يوم آخر سوى يوم الرّب، وإننا يجب أن نختم **الصّوم الفصحي** في هذا اليوم فقط".

يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٥:٢٣:٢) ص ٢٧٦

وعن هذا الصّوم الفصحي – وليس الصّوم الأربعيني - يقول القدّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م): "لأنّ النّزاع ليس محصوراً في اليوم فقط، بل يتعلّق أيضاً بطريقة الصّوم. فالبعض يظنّون أنهم يجب أن يصوموا يوماً واحداً، وغيرهم يومين، وغيرهم أكثر. والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهاراً وليلاً".

يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٥:٢٤:١٢) ص ٢٧٨

13- Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 162.

14- Fernand Cabrol (Le premier dom) & Henri Leclercq (R.P. dom). Dictionnaire d'Archeologie chrétienne et de liturgie (DACL), Tome 2, Paris, 1925, p. 2141.

إثبات أنّ ضم الصّوم الأربعيني إلى صوم أسبوع الفصح (البَصخة) قد حَدَثَ في أيام البابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)

يتّضح من الرّسائل الفصحيّة للبابا أثناسيوس الرّسولي[١٥] أنّ يوم الجمعة العظيمة كان هو ختام الأربعين المقدّسة، حيث ظلّت الأربعين المقدّسة حتى منتصف القرن الخامس الميلادي على الأقل، تشمل فيها أسبوع الفصح (البَصخة).

ففي **الرّسالة الفصحيّة الأولى** للبابا أثناسيوس الرّسولي والتي كتبها سنة ٣٢٩م لم يذكر فيها صوم الأربعين المقدّسة، بل يتحدّث عن صوم أسبوع الفصح (البَصخة) فقط، بدون إبداء أي سبب لعدم ذكره لصوم الأربعين يوماً المقدّسة.

أمّا في **رسالته الفصحيّة الرّابعة** والتي كتبها سنة ٣٣٢م فهو لم يذكر فيها أيضاً صوم الأربعين المقدّسة، بل يتحدّث عن صوم أسبوع الفصح (البَصخة) فقط، ولكنّه في هذه الرّسالة يعلّل في مستهلها السّبب في ذلك، بقوله: إنه قد كتبها متأخّرة، بعد أن بدأ الصوم الأربعيني، فيقول:

[أرسلُ إليكم يا أحبائي متأخّراً عن الوقت المعتاد، لكنّني واثق من أنكم سوف تصفحون عن هذا التّأخير الذي حدث بسبب رحلتي الطّويلة. ولأنني جُرِّبتُ بأحد الأمراض. وإذ أعاقني هذان السّببان، ولأنه ثارت عليّ عواصف شديدة غير عادية، فقد أخّرتُ الكتابة إليكم. لكن برغم رحلتي الطّويلة، وبرغم مرضي الشّديد، فإنني لم أنس أن أنبئكم بموعد عيد القيامة. وإتماماً لمهمّتي، أعلنُ لكم الآن موعد العيد ... نحنُ

15- Cf. NPNF., Series 2, vol. 4, p. 509 ff.

نبدأ في اليَوم الأوَّل من برموده (٢٧ مارس) ونستريح في اليَوم السَّادس من نفس الشَّهر (أول إبريل) في مساء اليَوم السَّابع. وإذ يهل علينا اليَوم الأوَّل المقدَّس من الأسبوع في السَّابع من نفس شهر برموده (٢ إبريل) فإنَّنا نحتفل أيضاً بأيام الخمسين المقدَّسة التَّالية ...].

فماذا نفهم إذاً من تعليل البابا أثناسيوس لسبب تأخُّره عن إعلان موعد بدء الصَّوم المقدَّس الكبير في رسالته الفصحيَّة الرَّابعة سنة ٣٣٢م، وعدم ذكره لأي شئ من هذا القبيل، حينما أعلن بدء صوم أسبوع الفصح في رسالته الفصحيَّة الأولى سنة ٣٢٩م؟. نفهم أنَّ صوم الأربعين يوماً المقدَّسة لم يكن وارداً في رسالته الفصحيَّة الأولى.

فيقول في **رسالته الفصحيَّة الأولى** سنة ٣٢٩م:

[يبدأ الصَّوم المقدَّس في اليَوم الخامس من برموده (٣١ مارس) وإذ نضيف إليها تلك الأيام السِّتة العظيمة المقدَّسة التي ترمز إلى أيام خلقة هذا العالم، فلنسترح ونكف عن الصَّوم في اليوم العاشر من شهر برموده نفسه (٥ إبريل) في يوم السَّبت المقدَّس من الأسبوع. وعندما يهل فجر اليوم الأوَّل من الأسبوع المقدَّس في اليَوم الحادي عشر من نفس الشَّهر (٦ إبريل) ومنه نعد كلّ الأسابيع السَّبعة واحداً فواحداً، نعيِّد في يوم الخمسين المقدَّس ... فلنعيِّد في اليَوم الأوَّل من الأسبوع العظيم كرمز للدَّهر الآتي الذي فيه ننال هُنا عربوناً بأن تكون لنا حياة أبديَّة فيما بعد. وإذ نعبر من هنا نعيِّد عيداً كاملاً مع المسيح ...].

أمَّا **رسالته الفصحيَّة الثَّانية** التي كتبها سنة ٣٣٠م فيظهر فيها بوضوح، ولأوَّل مرَّة، ذكر الصَّوم الأربعيني المقدَّس، فيقول فيها:

[يبدأ صوم الأربعين يوماً في اليوم الثّالث عشر من شهر برمهات (٩ مارس) وبعد أن نكمّل الصّوم، لنبدأ أسبوع الفصح المقدّس في اليوم الثّامن عشر من شهر برموده (١٣ إبريل)، وإذ نستريح في اليوم الثّالث والعشرين من نفس شهر برموده (١٨ إبريل) ونعيّد بعد ذلك في أوّل الأسبوع في اليوم الرّابع والعشرين (١٩ إبريل)، لنضف إليها سبعة أسابيع يوم الخمسين العظيم ...].

وطبقاً لهذه الرّسالة الثّانية فإنّ الصّوم الكبير يبدأ يوم ٩ مارس، ويكون يوم اثنين البصخة هو يوم ١٣ إبريل، ويوم سبت النّور يوافق يوم ١٨ إبريل، فيكون يوم ١٧ إبريل هو يوم الجمعة العظيمة وهو تتمّة الأربعين يوماً.

وفي **الرّسالة الفصحيّة الثّالثة** التي كتبها سنة ٣٣١م يؤكّد البابا أثناسيوس على أنّ الصّوم في مجموع أيامه هو ٤١ يوماً، شاملاً فيه أسبوع الفصح، فيقول:

[... وبعد أن نتطهّر أولاً بالصّوم أربعين يوماً، وبالصّلوات والأصوام والتّدريب والأعمال الصّالحة، نقدر أن نأكل الفصح المقدّس في أورشليم. يبدأ صوم الأربعين يوماً في الخامس من برمهات (أوّل مارس) ... ولنسترح في الخامس عشر من شهر برموده (١٠ إبريل) ... وبعد ذلك في الحال يستقبلنا يوم الأحد العظيم أعني السّادس عشر من نفس شهر برموده (١١ إبريل) الذي فيه قام ربّنا ومنحنا سلاماً مع إخوتنا ...].

وهكذا في **باقي رسائله الفصحيّة** نجد أنّ الصّوم المقدّس الكبير يمتد إلى واحد وأربعين يوماً شاملاً فيه صوم أسبوع الفصح المقدّس. وأنّ يوم

الجمعة العظيمة (أي الجمعة السّادسة من الصّوم) هو ختام الأربعين المقدّسة، وليس يوم جمعة ختام الصّوم، كما هو معروف الآن. أي أنّ أيام الصّوم الفعليّة – باستثناء السّبوت والآحاد – منذ أيام البابا أثناسيوس الرّسولي هي ٣٦ يوماً بعد أن نضيف صوم يوم سبت الفرح. وهو ما ظلّ ساريا في كنيسة الإسكندريّة حتى إلى نهاية فترة رئاسة البابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) كما يتّضح من رسائله الفصحيّة.

ولقد عرفت كنيسة روما هذا النّظام عينه، أي صوم ستّة أسابيع، وذلك بعد منتصف القرن الرّابع الميلادي[١٦]. ولا يخفى تأثير البابا أثناسيوس الرّسولي على طقس كنيسة روما عندما زارها إبّان فترة الصّراع مع الأريوسيّة. ويرى البابا غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤م) أنّ فترة صوم الـ ٣٦ يوماً[١٧] هي بمثابة العشور التي تُقدَّم لله عوضاً عن أيام السّنة كلّها.

وهكذا يتّضح لنا أنّ أوّل شهادة وثائقيّة واضحة عن الصّوم الأربعيني في كنيسة الإسكندريّة، هي الرّسالة الفصحيّة الثّانية للبابا أثناسيوس الرّسولي سنة ٣٣٠م[١٨].

١٦- وهو ما سبق أن ذكرته في الفصل السّابق مباشرة.

١٧- أي صوم ستّة أسابيع باستثناء الآحاد فقط، لأنّ طقس كنيسة روما كان يصوم يوم السّبت من كلّ أسبوع.

١٨- هذا ما يقول به كثيرٌ من العلماء، مثل العالم الفرنسي كوكان R.G. Coquin إلاّ أنّ المؤرخة الفرنسيّة المدققة أنيك مارتن Annick Martin تثبت أنّ أوّل ذكر للصّوم الأربعيني كان في الرّسالة الفصحيّة السّادسة له سنة ٣٣٤م. ولها أسبابها في ذلك.

Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 162.

وسواء عُرف الصّوم الأربعيني في كنيسة الإسكندريّة في زمن البابا أثناسيوس الرّسولي أو قبله، فمن الثّابت أنّه هو الذي قنّنه فيها.

Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 166.

ثمّ إن حدنا إلى أواخر القرن الخامس وأوائل السّادس للميلاد، نجد أنّ قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريّة التي كُتبت في أواخر القرن الخامس الميلادي، وقوانين هيبوليتس القبطيّة[١٩] التي كُتبت في أوائل القرن السّادس الميلادي تتحدّث عن الصّوم الأربعيني المقدّس حديثاً مستقلاً عن صوم أسبوع الفصح. وهو ليس دليلاً يثبت انفصال هذين الصّومَين عن بعضهما مرّة أخرى، بقدر ما هو دليلٌ يوضّح لنا التّمييز الواضح بين صوم ستّة أسابيع، يعقبها صوم أسبوع البَصخة المقدّسة، وهو تقليد كنيسة الإسكندريّة القديم الذي استمر فيها حتى اليَوم.

ثانياً: حول صوم أسبوع هرقل

عند ابن كبر، وفي قطمارس الصّوم الكبير

يتحدّث قطمارس الصّوم الكبير[٢٠] عن صوم ثمانية أسابيع في الكنيسة القبطيّة، شاملاً أسبوع هرقل، نقلاً عن ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، وذلك طبقاً لمخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو منسوخ في حبريّة البابا يوانس العاشر (١٣٦٣- ١٣٦٩م).

فيقول ابن كبر ما يلي[٢١]:

"والفرض على جميع النّصارى هو: صوم الأربعين التي صامها المسيح له المجد، المتّصل آخرها بجمعة الفصح، ثم جمعة الصّلب، وذلك يُصام إلى آخر النّهار، ولا يؤكل فيه حيوان ولا هو من حيوان دموي، ثم

١٩- القانونان ٣١، ٥٧

٢٠- قطمارس الصّوم الكبير، طُبع في عهد البابا يوساب الثّاني سنة ١٦٦٩ش/ ١٩٥٣م، ص ٢٦

٢١- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب "مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة"، لابن كبر، الباب الثامن عشر.

الأربعاء والجمعة من كل أسبوع، غير أيام الخمسين وعيدي الميلاد والظهور إذا اتّفقا فيهما[٢٢]، وبصامان إلى التّاسعة على ما شُرح[٢٣].

والأصوام الزّائدة على ذلك المستقرّة في البيعة القبطيّة، منها ما يجري مجرى الصّوم الكبير في التّأكيد، وهي جمعة هرقل التي قد صارت مقدّمة الصّوم الكبير[٢٤]، وسببها ما تضمّنته سيَر الآباء البطاركة[٢٥]، أنّ هرقل

٢٢- بعد أن أنهيتُ الكتاب وأعددتُه للطّبع، وصلتني دراسة وتحقيق للباب الثّامن عشر من كتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لابن كبر، للرّاهب الفاضل الأخ وديع الفرنسيسكاني، صادرة عن المركز الفرنسيسكاني للدّراسات الشّرقيّة المسيحيّة، وهي دراسة طبقا لمخطوط باريس رقم (٢٠٣ عربي) والذي احتفظ بصورة طبق الأصل منه، إلى جانب مخطوطات أخرى، أهمّها مخطوط رقم (٤٨٦ شرفي) أو ترقيم قديم (vet. 12) بمكتبة جامعة أوبسالا Upsala (السّويد)، والذي تمّت نساخته في سنة ١٥٤٦م، وكنتُ أعرف أهمّيته، إذ هو المخطوط التّالي مباشرة في الأهمّيّة لمخطوط باريس. وفي هذا الفصل أضفت ما وجدته مستحقاً للإضافة حتى تكمل الفائدة.

فهنا يضيف مخطوط أوبسالا: "والسّبعة الأعياد السّيديّة". وواضح أنها إضافة من النّاسخ لمخطوط أوبسالا، لا توجد في مخطوط باريس، فضلاً عن عدم منطقيّتها، لأن اثنين من الأعياد السّيديّة لا يصامان وهما الميلاد والظهور، وأعياداً أخرى تقع داخل الصّوم الأربعيني، وبالتّالي تُصام، كعيد البشارة، وأحد الشّعانين. وباقي الأعياد تقع في فترة الزّمن الخمسيني، وتقع يومي الأحد والخميس.

الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، دراسات شرقيّة مسيحيّة، مجموعة ٣٤، مؤلّفات المركز الفرنسيسكاني للدّراسات الشّرقيّة المسيحيّة، القاهرة – القدس، ٢٠٠١م، ص ٢٤٧

٢٣- هذه الفقرة منقولة بكاملها من "المجموع الصّفوي" للعسّفي بن العسّال. وأمّا عبارة "على ما شُرح" فهي تحيل إلى شرح سابق ورد في "المجموع الصّفوي".

انظر كتاب "المجموع الصّفوي" للصّفي العسّال، عني بنشره جرجس فيلوثاؤس عوض، الجزء الأوّل، ١٩٠٨م، الباب الخامس عشر، ص ١٧٠ وما بعدها.

٢٤- جنى هذه الكلمة بنقل ابن كبر عن "المجموع الصّفوي" للعسّفي بن العسّال نقلاً حرفيا، باستثناء عبارة "التي قد صارت"، والتي يضيفها ابن كبر.

٢٥- لا يرد في "سيَر البطاركة" أو "تاريخ البطاركة" والذي يُنسب خطأ إلى ساويرس بن المقفع، ما يكتبه أبو البركات بن كبر بخصوص صوم جمعة هرقل. وكل ما نقرأه في "سيَر البيعة" (ولُصلح النّص قليلاً) بخصوص هرقل هو:

"وملكت الفرس بعد ذلك ستّ سنين، مُلْك البلاد. ثم قام ارقلاس وهو هرقل أوّل

لمّا مَلَك على الرُّوم سنة ٦١١٤ للعالم، وحاصره كسرى ملك فارس[٢٦] بالقسطنطينيّة ست سنين متوالية، خرج هرقل وتحيَّل، وتوجّه إلى بلاد كوشي[٢٧]، وهو[٢٨] مشغول بحصار بلاد الرُّوم، وقتل من أهل مملكته ونساء جيشه، وفعل ما فعل، وتغلّب عليه ورحّله عن بلاده.

وحضر[٢٩] هرقل إلى بيت المقدّس فوجده خراباً، وقد هدمت اليهود الكنائس والقبر المقدّس والإقرانيُّون[٣٠] وغيرها، وأحرقوا النّصارى بالنّار[٣١]. فسأله أهل القُدس قتل جميع اليهود، فاعتذر لهم بالأمان والأيمان التي تقدّم بها لهم.

فقالوا له: أمّا الأمان فقد علم كلُّ أحد أنهم احتالوا عليك فيه. وأمّا

البطارقة فقتل فوقا الكافر، وضبط المملكة، وصرف اهتمامه إلى الفُرس. وبنعمة السيِّد المسيح قتل كسرى الملك الكافر، وحمل مدينته برمّتها، وحمل نِعَمها وسبيها بفرح إلى قصر قسطنطين".

الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٢

٢٦- هو كسرى الثاني (٥٩٠- ٦٢٢م).

٢٧- يخطئ أبو البركات – أو النّاسخ الأوّل لكتابه – بقوله: "توجّه إلى بلاد كوشي"، والمقصود بلاد كسرى. وقد وردت كلمة "كوشي" في سائر المخطوطات.

الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٣

٢٨- أي كسرى ملك الفرس.

٢٩- أي ورجع.

٣٠- "الاقرانيون" من الكلمة اليونانيّة Κρανίον (كرانيون) أي: جمجمة. وهي في العبرانيّة "جلجثة"، حيث صُلب الرّب.

لشرح أوفر، انظر للمؤلف: الجزء الأوّل من معجم المصطلحات الكنسيّة.

٣١- لمّا احتلّ الفرس بلاد الشّام انتهز اليهود هذه الفرصة فكَلّوا بالمسيحيّين الموجودين بالقدس. ولمّا تمكّن هرقل من هزيمة الفُرس وردّهم على أعقابهم، خاف اليهود نتيجة سوء فعلهم، فأرسلوا إلى هرقل قبل أن يصل إلى مدينة القُدس، لكي يعاهدهم على حفظ دمائهم، وحفظ أموالهم، فعاهدهم على ذلك بدون أن يعلم ما صنعوه بالمسيحيّين. فلمّا اجتمع المسيحيُّون بهرقل عرّفوه بما فعله اليهود، وطلبوا إليه أن يقتل جميع اليهود ... وباقي الأحداث كما في المتن.

اليمين فنحن وجميع النَّصارى بكل الأقاليم نصوم عنك أسبوعاً في كل سنة على ممر الأيام إلى انقضاء الدَّهر.

فأمرهم هرقل بقتل اليهود. فقُتل منهم ما لا يُحصى. ولم يبق منهم إلاَّ من اختفى وهرب إلى الجبال.

وكَتَب البطاركة والأساقفة إلى جميع البلاد بصوم أسبوع، وهو هذا الأسبوع الأوَّل من الصَّوم. وكان (في) ذلك الوقت البطريرك على الإسكندريَّة أندرانيكو[٣٢] السَّابع والثَّلاثون من[٣٣] البطاركة، فاستقرَّ هذا الحُكم"[٣٤] في الكنيسة القبطيَّة إلى يومنا هذا.

تعقيب وشرح

وعلى ذلك فلم يكن الأمر في بدايته سوى رسالة أرسلها بطريرك الرُّوم المعاصر[٣٥] للبابا الإسكندري أندرونيكوس (٦١٦- ٦٢٣م) يطلب منه صوم هذا الأسبوع عوضاً عن الأمر الذي أعطوه لهرقل ملك الرُّوم بقتل جميع يهود أورشليم لهدمهم الكنائس والقبر المقدَّس، وإحراقهم

٣٢- هو البابا أندرونيكوس (٦١٦ ـ ٦٢٣م) السَّابع والثلاثون من بطاركة الكنيسة القبطيَّة. وجدير بالذكر هنا أنه لم ترد في سيرة هذا البطريرك، ولا في البطريرك الذي يليه، وهو البابا بنيامين الأوَّل (٦٢٣ـ ٦٦٢م) أيَّة إشارة إلى صوم أسبوع هرقل.

انظر أيضاً: الرَّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٥

٣٣- حرفياً: في.

٣٤- ينتهي النَّص عند هذه الكلمة كما يرد في مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨ أمَّا عبارة "في الكنيسة القبطيَّة إلى يومنا هذا" فهو ما يذكره قطمارس الصَّوم الكبير.

٣٥- كان بطريرك القسطنطينيَّة في ذلك الوقت هو سرجيوس الأوَّل (٦١٠ - ٦٣٨م)، وكان بطريرك الرُّوم على أورشليم هو يوحنا الثَّالث (٥١٦- ٥٢٤م).

المسيحيّين بالنّارا. وهكذا قبلت الكنيسة القبطيّة صوم هذا الأسبوع، منذ ذلك الوقت، واستمر فيها حتى يومنا هذا.

فنعرف من وثيقة يونانيّة كُتبت على ورق البردي أنّ الصّوم المقدّس الكبير في كنيسة الإسكندريّة سنة ٦٥٧م كان ثمانية أسابيع (٥٥ يوماً). وهذه السّنة المذكورة هي تاريخ آخر رسالة فصحيّة كتبها البابا بنيامين الأوّل (٦٢٣- ٦٦٢م) الـ ٣٧ من بطاركة الكنيسة القبطيّة[٣٦].

ويذكر سعيد بن بطريق (٨٧٧- ٩٤٠م)[٣٧] البطريرك الملكاني في كتاب "نظم الجوهر" عن جمعة هرقل ما يلي: "وأهل مصر القبط إلى الآن يصومونها، إلاّ الشّام والرُّوم الملكيّة، فإنهم بعد موت هرقل رحموا يأكلون في هذه الجمعة بيضاً وجبناً وسمكاً"[٣٨].

وهو ما يؤكّده أيضاً الأنبا ساويرس بن المقفّع (تنيّح بعد سنة ٩٨٧م) أسقف الأشمونين، في المقالة الثّامنة من كتابه "الدُّر الثمين في إيضاح الدّين"، حيث يقول "... وذلك أنّ الأسبوع الأوّل ليس من الأربعين يوماً الصّوم، بل نحن نصومه عبادة من أجل هرقل الملك لمّا قتل اليهود، وفسخ العهد الذي كان عاهدهم به، فهو خبرٌ مشهورٌ معروفٌ في أخبار هرقل لا حاجة إلى ذكره هنا".

وفي موضع آخر يقول أنبا ساويرس: "وأمّا اليونان وأهل القسطنطينيّة الذين نسمّيهم الرُّوم ... فإنّهم يصومون من أوّل الأسبوع الثّاني الذي هو بدء صوم الأربعين يوماً. فأمّا أسبوع كفّارة هرقل فلا

36- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 196 ; PG 95, 77.

٣٧- هو من أبرز البطاركة الملكانيّين في مصر، وكان طبيباً ومجادلاً ومؤرّخاً.

٣٨- جدير بالذّكر هنا أنّ ما أورده قطمارس الصّوم المقدّس الكبير عن الصّوم الكبير يستند في أصوله الأولى إلى ما كتبه سعيد بن بطريق.

يصومون ...“[٣٩].

وفي القرن الثّاني عشر في مصر نعرف أنّ الصّوم الكبير كان ثمانية أسابيع، وذلك من كتاب ”تاريخ الكنائس والأديرة“ لأبي المكـارم[٤٠]، حيث يقول: ”ولمّا كان في يوم الأحد، أعني أحد الزّيتونة – أي أحـد الشّعانين – أوّل الجمعة الثّامنة من الصّوم المقدّس أوّل شهر برموده سنة ٨٩٢م للشّهداء الأبرار (١١٧٦م) حضر إلى هذه البيعة جماعة من الكهنة والشّعب ... الخ“.

وعند الصّفي بن العسّال (توفي ما بين سنة ١٢٥٣م وسنة ١٢٧٥م) نقرأ في المجموع الصّفوي: ”والأصوام الزّائدة على ذلـك المسـتقرّة في البيعة القبطيّة، منها ما يجري مجرى الصّوم الكبير في التّأكيد، وهي جمعة هرقل مقدّمة الصّوم الكبير“.

كما ورد ذكر هذا الأسبوع أيضاً عند جرجس بن المكـين[٤١] في

٣٩– انظر: أنبا ساويرس بن المقفع، الدُّر الثمين في إيضاح الدّين، مرجـع سـابق، ص ١٨٠، ١٨٢

٤٠– الجزء الثّاني، ص ٨

٤١– هو جرجس بن أبي الياسر بن أبي المكارم بن أبي الطيّب، المعروف بابن العميد. وهو يشتهر أيضاً باسم ”ابن المكين“. وُلد في القاهرة سـنة ١٢٠٥م، ومات في دمشق سنة ١٢٧٣م. وله:

– المجموع المبارك. وهو في جزئين:

الجزء الأوّل: تاريخ العالم حتى الهجرة.

الجزء الثاني: تاريخ المسلمين. منذ الهجرة حتى موت الخليفة المستنصـر بالله سنة ١١١٨م.

– ”مختصر البيان في تحقيق الإيمان“ وهو المعروف بالحاوي.

وكان كتاب ”المجموع المبارك“ هو المصدر الأساسي لكتاب ”الخطط والآثـار“ للمقريزي (١٣٦٥–١٤٤١م)، في الأجزاء الخاصة بالمسيحيّين. وقد واصل المفضّل بن الفضائل في القرن الرّابع عشر عمل ابن المكين.

القرن الثّالث عشر. والأنبا بطرس أسقف مليج الملقّب بالجميل، وهو من علماء القرن الرّابع عشر في كتابه: "بدع الطّوائف".

وفي أواخر القرن الثّالث عشر وأوائل الرّابع عشر نقرأ عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) ما يلي: "وقيل أيضاً: يجب عليكم صوم الأربعين يوماً المقدّسة، وجمعة البَصخة الشريفة، التي هي ثماني جُمَع، وتباعدوا فيها من جميع الزهومات"[٤٢].

كما يذكر هذا الأسبوع أيضاً المؤرّخ المقريزي (١٣٦٥-١٤٤١م) الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي.

وينتقد الأسقف إيسيذوروس[٤٣] صوم هذا الأسبوع في كتابه "الخريدة النّفيسة"، حين يقول: "... وقال الأساقفة إنك أيها الملك في حل من هذا اليمين الذي أقسمته بخداع اليهود وسلامة النيّة، ولكي تكون غير قلق البال ومرتاح الضّمير من جهته، نحن نأمر المسيحيّين أن يصوموا عنك أسبوعاً في أوّل الصّوم الكبير إلى مدّة أربعين سنة،

انظر للمؤلّف (مع التّصرّف): الكنائس الشّرقيّة وأوطانها، الجزء الثّاني، كنيسة مصر، القاهرة، ص ٤٧٢

وقد يكون المصدر المباشر لنص أبي البركات هو "تاريخ الملكين".

الرّاهب الآخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٣

٤٢- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨

و لم أعثر على المصدر الذي ينقل عنه ابن كبر، ولاسيّما قوله: "وقيل أيضاً".

٤٣- وُلد في صدد بأعمالي حمص بسوريا، وهاجر مع خاله القمّص إشعياء السّرياني إلى مصر. وصار القمّص إشعياء وكيلاً لبطريركية الإسكندريّة في عهد ثورة عرابي سنة ١٨٨٠م. والتحق بدير البراموس في ١٢ يناير سنة ١٨٨٥م، ورُسم أسقفاً على الدّير في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٧م، وتنيح في ١٩ يناير سنة ١٩٤٢م.

القس أغسطينوس البراموسي، دير البراموس بين الماضي والحاضر، القاهرة، يناير ١٩٩٣م، ص ١٩٠- ١٩٣

فاقتنع الملك بذلك. وقد أبطلت كلُّ الكنائس صوم هذا الأسبوع ما عدا الأقباط الأرثوذكس"[٤٤].

ويذكر ألفريد بتلر A. Butler — في معرض شرحه لهذه الحادثة — أنّ أوّل أسبوع من الصّوم الكبير عند الأقباط لازال اسمه "أسبوع هرقل"، ومن ثمّ يُشرك الأقباط في هذه المقتلة!، فيقول ما يلي:

"... وما زالوا به حتى أزالوه عن رأيه، إمّا بعلو ضجيجهم، وإمّا بالتماس الحجج لإحلاله من عهده. ولعل كلا الأمرين قد اجتمع على ذلك. فأمر أن يُجلي اليهود عن بيت المقدّس ويمنعوا أن يعودوا بعد ذلك إلى ما بعد أسوار المدينة بثلاثة أميال. ولكن ذلك النّفي لم يكن أشد عقوبة نزلت بهم، فإنه يلوح لنا أنّ هرقل قد أجاب المسيحيّين من رعيّته إلى كلّ ما طلبوه من الانتقام. وهناك وقعت في اليهود قتلة تشبه أن تكون عامة[٤٥]. ولكن البطريق ومطارنته أرادوا أن يزيلوا وساوس الإمبراطور، وأن يطيّبوا نفسه، ويطمئنوا نفوسهم إلى ما كان، فبعثوا في المدائن جميعها كُتُباً يأمرون فيها أن يصوم النّاس أسبوعاً، وأن تكون تلك سُنّةً أبد الدّهر. وما زالت تلك السُّنّة باقية إلى يومنا هذا. فإنّ أوّل أسبوع من الصّوم الكبير عند القبط لا يزال اسمه صوم هرقل. ويمكن أن نقول إنّ القبط اشتركوا في تلك المقتلة (!)، لما كان بهم من شحل وموجدة على اليهود منذ أيام فتح الفُرس للإسكندريّة"[٤٦].

وإنّ هذه العبارة الأخيرة التي يذكرها ألفريد بتلر A. Butler هي من عندياته، محاولاً بها أن يبرّر سبب احتفاظ الأقباط وحدهم بهذا الأسبوع

---

٤٤ – الأنبا إيسيذوروس، الخريدة النفيسة، الجزء الثاني، جيل ٧ رأس ٣

٤٥ – يذكر المقريزي أنّ اليهود قُتلوا، حتى لم يبق منهم أحدٌ في دولة الرُّوم ومصر والشّام إلاّ من هرب أو اختفى.

٤٦ – ألفريد بتلر، فتح العرب لمصر، الجزء الأوّل، ص ١١٩، ١٢٠

دون بقيَّة الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى، فكان استنتاجاً خاطئاً. لأنَّه ليس في كُتُب التَّاريخ ما يدعم رأي ألفريد بتلر A. Butler السَّابق ذكره. كما أنَّ بتلر نفسه يشرح سبب احتفاظ الأقباط بصوم هذا الأسبوع دون بقيَّة الكنائس الأخرى، وغيره من التَّقاليد القديمة الأخرى، حيث يقول في مواضع أخرى من مؤلَّفاته: إنَّ الأقباط هم الذين يحفظون التَّقليد القديم ولا يفرِّطون فيه أبداً[٤٧]. المصريُّون يُضيفون ولا يحذفون.

وهذا الأسبوع غير معروف عند السُّريان الأرثوذكس، والأرمن الأرثوذكس أيضاً. أمَّا الرُّوم الأرثوذكس وما يتبعهم من الكنائس، فقد تمَّ عندهم تخفيف صرامة صوم هذا الأسبوع، وفي ذلك يقول العالم اللِّيتورجي الألماني بومشتارك A. Baumestark :

"وفي زمن هرقل Heraclius فإنَّ الشَّرق اليوناني حاول التَّوفيق بين الممارسة العاديَّة للصَّوم – أي أربعين يوماً صوماً – وبين التَّشدُّد الرَّهباني الذي حدَّده رهبان فلسطين للصَّوم الكبير بثمانية أسابيع، وذلك بإنشاء ما عُرف في الطَّقس البيزنطي باسم προνήστιμος أي: "ما قبل الصَّوم" أو "تمهيد الصَّوم" apre-fasting προφάγος ἑβδομάς أي وهو صومٌ مسموحٌ فيه في التَّقليد البيزنطي بأكل الجبن، حيث خُفِّفت صرامة الصَّوم في هذا الأسبوع الأوَّل عن باقي الأسابيع التَّالية له. وفي هذا الأسبوع يُحتفل مرَّتين بالقدَّسات السَّابق تقديسها، مرَّة يوم الأربعاء، والأخرى يوم الجمعة، وهو الطَّقس الذي يختلف عمَّا تمارسه أديرة فلسطين، حيث لا احتفال بالإفخارستيَّا الكاملة، ولا بالقدَّسات السَّابق تقديسها"[٤٨].

---

٤٧ – انظر: ألفريد بتلر، الكنائس القبطيَّة القديمة في مصر.

48- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 197.

الفَصل الثَّالث

الصَّوم المقدَّس الكبير

في الكنيســـة القبطيَّـــة

عند الصَّفي بن العسَّال وابن كبر وابن سباع

تمهيد

في هذا الفَصل من الكتاب وجدتُ أنَّه من الضَّروري أن يتعرَّف القارئ العزيز على ما ورد عن الصَّوم عموماً، وعن الصَّوم الكبير خصوصاً في الكنيسة القبطيَّة، في أهم ثلاثة مصادر، وهي:

(١) كتاب "**المجموع الصَّفوي**"، للعلاَّمة الشَّيخ الصَّفي أبي الفضائل بن العسَّال، الذي كان معاصراً للبابا كيرلس بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م). وهو الكتاب الذي نشره حرجس فيلوثاؤس عوض في طنطا في أغسطس سنة ١٩٠٨م[١].

وذلك طبقاً لمخطوطة كانت حوزة المتنيِّح الإيغومانُس فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧ـ ١٩٠٤م) وكانت برسم خزانة الأنبا يوساب أسقف مدينة فوه والمزاحمتين[٢]. وكان الفراغ منها في يوم السَّبت ٢٧ مسري سنة ٩٥٥ للشُّهداء، الموافق ١٨ من المحرَّم سنة ٦٣٧ هجريَّة (١٢٣٩ ميلاديَّة). أي أنَّها مخطوطة منسوخة في زمن ابن العسَّال نفسه. ومن هنا تكون أهميَّتها البالغة.

إلى جانب مخطوطة كانت ملك نيافة المطران الأنبا يؤانس، كُتبت برسمه أيام أن كان رئيس دير البراموس. ومخطوطة قديمة أخرى، ولكن تاريخها غير

١- حرجس فيلوثاؤس عوض، المجموع الصَّفوي يتضمن القوانين التي جمعها العلاَّمة الشَّيخ الصَّفي أبي الفضائل بن العسَّال، الجزء الأوَّل، طبعة خاصة لدارسي القانون الكنسي، طنطا، أغسطس سنة ١٩٠٨م.

٢- يذكر حرجس فيلوثاؤس عوض أن الإيغومانُس فيلوثاؤس في زيارته للقدس سنة ١٨٦٦م، رأى جماعة من الرُّهبان يحملون سلة ملأى بالأوراق القديمة المهدمة النفع ليحرقوها كخبوها، وبالتأمُّل فيها وجد هذا الكتاب، فحجزه منهم، وبعد الاستئذان من المتنيِّح الأنبا باسيليوس، أخذه لأنَّه استخلصه من العدم. وقد ضاع منه عشرون ورقة من أوَّله.

معلوم، وكان تجديدها في ١٤ أبيب سنة ١٥٢٨ش/ ١٨١٢ ميلاديّة، همّة المتنيّح أنبا أثناسيوس أسقف أبو تيج.

(٢) كتاب "**مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة**"، للقُس شمس الرِّئاسة أبو البركات ابن كبر، من صورة طبق الأصل من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس. وهو مخطوط منسوخ في حبريّة الأنبا يوانس العاشر (١٣٦٣- ١٣٦٩م) وهو البطريرك الخامس والثّمانين من بطاركة الكنيسة القبطيّة. وإذا عرفنا أنّ ابن كبر قد تنيّح في ١٠ مايو سنة ١٣٢٤م، نعرف أهميّة المخطوط الذي نتكلّم عنه.

(٣) كتاب "**الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة**" ليوحنا بن أبي زكريا بن سباع، حقّقه ونقله إلى اللاتينيّة الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي، مؤلّفات المركز الفرنسيسكاني للدّراسات الشّرقيّة المسيحيّة، القاهرة، ١٩٦٦م.

وهو عن مخطوطة بدار الكُتُب المصريّة رقم (لاهوت ٢٢١)، مؤرّخة بتاريخ ٢٠ طوبه سنة ١١٦٤م/ ١٤٤٨ ميلاديّة. ومن المحتمل أنها من أقدم المخطوطات لهذا الكتاب. وكان الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي قد عثر على ثماني عشرة مخطوطة لهذا الكتاب، سواء في مصر أو خارجها. وقام بتحقيق مخطوطة دار الكُتُب المصريّة بالمقارنة مع سبع مخطوطات أخرى مقارنة كاملة، إلى جانب الفروق الجزئيّة لست مخطوطات أخرى. وهو عمل علمي دقيق رصين يُشكر عليه كلّ الشُّكر.

أمّا ابن سباع فقد عاش بين القرن الثّالث عشر والرّابع عشر للميلاد، كما ذكر هو نفسه في البَاب السّادس والعشرين من كتابه حيث يقول: "إنّ المصدّقين للإنجيل مضى عليهم أعوام عددها إلى الآن يزيد على الألف وثلاثمائة سنة".

وأظنُّ أنّ ابن سباع عاش في زمن سابق مباشرة على زمن ابن كبر. فضلاً عن أنّه عاش في منطقة بعيدة عن القاهرة العاصمة – وربّما كانت صعيد مصر – فجاء شرحه لبعض الطّقوس الكنسيَّة، يحمل سمات أصيلة قديمة لم تلحقها يد التّطوُّر والتّعديل. وربّما دراسات أكثر تخصُّصاً تضعنا على الحقيقة.

(١) كتاب "المجموع الصّفوي" لابن العسّال (البّاب ١٥)

(العنوان): في الصّوم[٣].

الصّوم هو امتناع الإنسان من الغذاء وقتاً معيّناً، في الشّريعة، طاعة لمن شرّعه، لتمحيص الذّنوب، وتعظيم الثّواب. والقصد به أن تضعُف القوّة الشّهوانيّة، فتنطاع للنّفس النّاطقة.

والفرض على جميع النّصارى هو صوم الأربعين التي صامها السيّد المسيح له المجد المتّصل آخرها بجمعة الفصح، ثمّ جمعة الصّلب، وذلك يُصام إلى آخر النّهار. ولا يؤكل فيه حيوان ولا ما هو من حيوان دموي. ثمّ الأربعاء والجمعة من كل أسبوع غير أيام الخمسين وعيدي الميلاد والظّهور إذا اتفقا فيهما، ويصامان إلى التّاسعة على ما شُرح.

والأصوام الزّائدة على ذلك المستقرّة في البيعة القبطيّة منها ما يجري مجرى الصّوم الكبير في التّأكيد، وهي جمعة هرقل مقدّمة الصّوم الكبير. وصوم أهل نينوى ثلاثة أيام. وصوم اليوم الذي الميلاد غده، واليوم الذي الغطاس غده.

٣- إنّ بعضاً ممّا أورده الصّفي بن العسّال، نقله عنه ابن كبر، وبرغم هذا أوردت كلا النّصين كاملاً.

ومنها ما هو دون ذلك وأُجرى مجرى الأربعاء والجمعة، وهو الصَّوم المتقدِّم للميلاد، وأوَّله أوَّل النِّصف الثَّاني من هاتور، وفصحه يوم الميلاد. ثمَّ صوم التَّلاميذ، وهو يتلو الخمسين، وفصحه خامس أبيب عيد بطرس وبولس.

وهذه الأصوام قد صامها الشَّعب مع عدَّة من البطاركة تزيد على عدَّة بعض المجامع المقبولة قوانينها، فيجب حفظها بغير تنقيص.

ومنها ما هو دون ذلك في حفظ الأكثرين له، وهو صوم عيد السيِّدة، وأكثر من يصومه المتنسِّكون والرُّهبانات (الرَّاهبات)، وأوَّله أوَّل مسرى، وعيد السيِّدة فصحه.

وهذه الأصوام المستقرَّة تُصام إلى التَّاسعة من النَّهار، ولا يؤكل فيها لحم غير السَّمك. ومن صام زائداً عن المفروض والمستقر شيئاً فله ثوابه. ولا صوم في يومي الأحد والسَّبت إلاَّ عن الزُّهومات.

والصَّوم هو زكوة الجسد، كما أنَّ الصَّدقة زكوة المال. وقصد الشَّريعة بالصَّوم تذليل القوَّة الشَّهوانيَّة للنَّفس النَّاطقة، كما أنَّ قصدها بالصَّلاة طاعة القوَّة الغضبيَّة للعقل.

ومن فوائد الصَّوم التَّشبُّه بالرُّوحانيِّين، فبالشَّبه يمكن أن يتَّصل بشبهه. وأيضاً ليحس الصَّائم بالجوع فيرحم الجائع السَّائل. وأيضاً ليتناول القُربان وهو شديد الشَّهوة للغذاء، فيُقبل على تناوله وهو بشوق نفساني وجسماني. وأيضاً ليتعبَّد لله بجملته بالصَّوم من جهة حيوانيَّته، وبالصَّلاة من جهة ناطقيَّته.

والقوانين الموضوعة في الأصوام:

(دسق ١٨)[٤] ليكن عندكم جليلاً صوم الأربعين ويكون بدؤه من يوم الاثنين الثّاني من السُّبوت، وكماله يوم الجمعة قبل الفصح. وبعد هذا اهتمُّوا بأن تكمِّلوا أسبوع الفصح المقدَّس وتصوموه.

(ومنه) وتقدَّم إلينا بأن نصوم هذه السِّتة الأيام، وأنّ نصوم رابع السُّبوت ويوم الجمعة. أمَّا ذاك فلأجل المؤامرة، وأمَّا هذا فلأجل الغرض المخلِّص. ونستريح من الصَّوم في اليوم السَّابع وقت صياح الدِّيك. وليس أنَّه يجب أن يُصام يوم السَّبت دائماً، لأنّ الرَّب استراح فيه من جميع أعماله، بل يجب أن يُصام في ذلك السَّبت وحده، لأنّ صانع البريَّة كان فيه مقبوراً.

(٣١) وهذه ستَّة أيام تناولون فيها الخبز والملح والماء فقط، فأمَّا خمر ولحم فانتهوا عنهما في هذه الأيام، فإنها أيام حزن وليست أعياداً. وأمَّا يوم الجمعة ويوم السَّبت فصوموهما الاثنين معاً من يقدر ألاَّ يذوق فيهما شيئاً إلى وقت صياح الدِّيك بالليل، فإذا لم يقدر الإنسان أن يصوم اليومين معاً، فليحفظ صوم السَّبت بقول الرَّب عن نفسه إذا أُخذ الختن منهم فحينئذ يصومون، فصوموا في هذه الأيام إلى اللَّيل كما فعلنا نحن لمَّا أخذوه منَّا.

(ومنه) ومن بعد أن تكمِّلوا عيد الخمسين عيِّدوا أيضاً أسبوعاً آخر، ثمَّ تصوم بعد الرَّاحة. ومن بعد هذا نأمركم أن تصوموا كل أربعاء وكل جمعة، وما أمكنكم أكثر من هذا فصوموا وأعطوا للفقراء.

(٣٨) ثمَّ إذا اتَّفق يوم عيد في يومي الصَّوم اللَّذين هما الأربعاء والجمعة فليصلُّوا وينالوا من السَّرائر المقدَّسة، ولا يحلُّوا الصَّوم إلى السَّاعة التَّاسعة.

---

٤ - أي كتاب الدِّسقولية — تعليم الرُّسُل، الباب الثامن عشر.

(رسطب ٤٠)[٥] وإذا كان واحد في اللُّجج و لم يعرف يوم البَصخة، فليصم بعد الخمسين وليس هو بصخة يحفظه، بل هو مثال، ويجب عليه صوم عوضه.

(رسطا ٩٤، رسطج ٤٩)[٦] ومن لم يصُم صوم الأربعين والأربعاء والجمعة فليُقطع إن كان كاهناً، إلاّ أن يكون منعه من ذلك مـــرض أو ضعف ظاهر. وإن كان علمانياً فليعزل.

(رسطج ٤) وإذا صنع كاهن البَصخة مع اليهود من قبل اعتدال اللّيل والنّهار فليُقطع. ومن وحد من الكهنة يصوم يوم الأحد أو يوم السَّبت ما خلا السَّبت الكبير لا غير الذي للبصخة فليُقطع.

(دق ٥١)[٧] ولا يجب في الأربعين أن يعيَّد أيام الشُّهداء بل يكـــون تذكار الشُّهداء يوم السَّبت والأحد.

(دق ٥٢) ولا يجب في الأربعين أن يصنعوا عرســاً ولا نُفاســاً ولا دعوات ولا متكآت للشَّراب.

(بس ٧٩)[٨] ولا يشرب أحدٌ من الكهنة نبيذاً في الأربعـــين ولا في الصَّومين ولا يدخل أحد فيهما حماماً.

(١٧) ولا يقرُب أحد زوجته في أيام الصَّوم.

(٣٠) وإذا اتفق في صوم عيد من أعياد الشُّهداء، ويفطر أسقف أو

٥- أي القانون رقم ٤٠ من الكتاب الأوّل من قوانين الرُّسُل عند الأقباط.
٦- أي القانون رقم ٩٤ عند الملكانيّين والنساطرة، ورقم ٤٩ في الكتاب الثاني
٧- أي القانون ٥١ من قوانين مجمع اللاذقيّة (٣٤١-٣٨١م).
٨- أي القانون ٧٩ من قوانين القدّيس باسيليوس الكبير.

قسّيس الشّعب لأجل حجّة موت الشّهيد، فليُقطع لأنّه صار سبباً لشر نفوس كثيرة.

(ومنه) وإذا افطروا هم من نفوسهم فليخرجهم الأسقف أو القسّيس لأنّه لا يجب أن يُفطر في أعياد الشُّهداء إذا كانت أيام صوم، لأنّ الشُّهداء ماتوا جوعاً عطاشى ويُحرقون بالنّار.

(ومنه) فأمّا يوما الميلاد والظُّهور ففي الزّمان الذي اجتمع المجمع في نيقية أمروا أن يُتقرّب فيهما بالليل، والخمسون أيضاً محلولة.

(ومنه) وفي الأربعين المقدّسة في الأسبوع الأوّل فليُصَم إلى أن تغيب الشّمس، فإذا جاز فليُصَم إلى السّاعة الحادية عشرة، وفي البَصخة إلى النّجم. فلا يُتزيّن في تلك الأيام، والنّساء يضعن حليّهن. وكل واحد يجب عليه أن يتحفّظ في كل الأربعين يوماً والبصخة، فإنّ غفراننا وخلاصنا فيه. وهو شيء خارج الزّيجة أن يلتصق واحد بزوجته في الأربعين يوماً كلّها، والويل لمن يفعل هذه الخطيئة في البَصخة المقدّسة.

(ومنه) وإذا كنّا نفعل إرادتنا في الأربعين يوماً المقدّسة بلذّة فأين فرحنا إذا أبصرنا القيامة.

(ومنه) والصّوم ليس هو عن الخبز والماء، بل الصّوم المقبول أمام الرّب هو القلب الطّاهر. وإذا كان الجسد جائعاً وعطشاناً والنّفس تأكل في الأعراض والقلب يتنجّس باللّذات، فما هو الرّبح الذي لصومك.

(خرسطا)[٩] والأربعون يوماً الصّوم تُصام بالزّهد والتّواضع وتجنّب الشّهوات، ولا يكن فيها تزويج. ولا يجز في جمعة البَصخة معموديّة ولا

٩- أي قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م).

تجنيز. ولا يجوز في خميس الفصح لا تعميد ولا تكريز بل يجب ملازمة البيعة في هذه الجمعة جميعها.

(ومنه) وفي عيد الزَّيتونة يقرأ ترحيم الأموات، الأبسطلس والإنجيل والتَّحليل لأجل من يموت في جمعة البَصخة، ولا يُقال في الخميس أوشيَّة التَّقبيل ولا ترحيم ولا تسريح. وفي السَّبت يُقال التَّرحيم والتَّحليل والبُخور بغير تقبيل، ولا يجوز تجنيز في يوم الأحد ولا بكاء.

(٢) كتاب "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" لابن كبر (البَاب ١٨)

(العنوان): في الصَّوم وترتيبه.

الصَّوم امتناع الإنسان من الغذاء وقتاً معيناً، في الشَّريعة، طاعة لمن شرَّعه، لتمحيص الذُّنوب، وتعظيم الثَّواب. والقصد به أن تضعُف القوَّة الشَّهوانيَّة فتطاع للنَّفس النَّاطقة.

والفرض على جميع النَّصارى هو: صوم الأربعين ... وكان في ذلك الوَقت البطريرك على الإسكندريَّة أندرانيكو السَّابع والثَّلاثون من البطاركة فاستقرَّ هذا الحُكم[١٠].

[١١]وصوم أهل نينوى، ثلاثة أيام، وصوم اليَوم الذي الميلاد غده، واليَوم الذي الغطاس غده.

١٠- الفقرات المحصورة بين "صوم الأربعين"، وهذه الجملة الأخيرة أوردتها بكاملها في الفصل السَّابق، عند الحديث عن الصَّوم الكبير من الوجهة التَّاريخيَّة. وأكتفي بذلك منعاً للتَّكرار.

١١- بدءاً من هنا يعود ابن كبر وينقل من كتاب "المجموع الصَّفوي" للصَّفي ابن العسَّال.

ومنها ما هو دون ذلك، وأُجرى مجرى الأربعاء والجمعة، وهو الصَّوم المتقدِّم للميلاد[١٢]، ثمّ صوم التَّلاميذ، وهو يتلو الخمسين، وفصحه خامس أبيب، عيد بطرس وبولس[١٣]. ويجب حفظ هذه الأصوام بغير تنقيص.

ومنها ما هو دون ذلك في حفظ الأكثرين له، وهو صوم عيد السَّيِّدة[١٤]، وأوَّله أوَّل مسرى، وعيد السيِّدة فصحه.

وهذه الأصوام المستقرَّة تُصام إلى التَّاسعة، ولا يؤكل فيها لحم غير السَّمك[١٥].

ولا صوم في يومي الأحد والسَّبت إلاَّ عن الرُّهومات[١٦]. ومن وُجد من الكهنة يصوم يوم الأحد أو يوم السَّبت، ما خلا السَّبت الكبير الذي للبصخة لا غير، فليُقطع[١٧].

وندبت الرُّسُل[١٨] إلى صوم يوم الجمعة ويوم السَّبت معاً، ومن

١٢- هنا يُسقط ابن كبر العبارة التي وردت في "المجموع الصَّفوي" للصَّفي ابن العسَّال عن مدَّة هذا الصَّوم، وهي: "وأوَّله أوَّل النِّصف الثاني من هاتور، وفصحه يوم الميلاد".

١٣- هنا أسقط ابن كبر عبارة وردت في "المجموع الصَّفوي" للصفي بن العسَّال، تقول: "وهذه الأصوام قد صامها الشَّعب مع عدَّة من البطاركة، تزيد على عدَّة بعض المجامع المقبولة قوانينها".

١٤- هنا أسقط بن كبر العبارة التي وردت في "المجموع الصَّفوي" للصَّفي بن العسَّال، والتي تقول: "وأكثر من يصومه المتنسِّكون والرُّهبانات (الرَّاهبات)".

١٥- هنا أسقط بن كبر العبارة التي وردت في "المجموع الصَّفوي" للصَّفي بن العسَّال، والتي تقول: "ومن صام زائداً عن المفروض والمستقر شيئاً فله ثوابه".

١٦- عند هذا الحد يُسقط ابن كبر قوانين كثيرة أوردها الصَّفي بن العسَّال في كتابه "المجموع الصَّفوي".

١٧- هذه العبارة ينقلها ابن كبر بنصِّها عن "المجموع الصَّفوي".

١٨- عبارة "وندبت الرُّسُل" يقابلها عند ابن سباع عبارة: "فالصَّوم مندوباً إليه

عجز عن ذلك فليحفظ صوم يوم السّبت.

وأيام الآلام تُصام إلى اللّيل، ولا يقرب الرّجُل زوجته في أيام الصّوم. ولا يُفطَر في عيد من أعياد الشُّهداء، إذا اتّفق في صوم، ومن فعله فليُقطع. وأمّا في الأربعين المقدّسة، فليُصَم الأسبوع الأوّل كلّ يوم إلى أن تغيب الشّمس، فإذا جاز فليُصَم إلى الحادية عشرة، وأيام البصخة إلى النّجم.

ولا يلتصق أحدٌ بزوجته في الأربعين المقدّسة، فهو شئ خارج عن الزّيجة، والويل لمن يفعل هذه الخطيئة في البَصخة المقدّسة.

ولا يكون في الصّوم تجنيز[١٩]، ولا تجوز في جمعة البَصخة معموديّة، ولا تجنيز، ولا يجوز في خميس الفصح تعميد ولا تكريس[٢٠]. وفي قوانين الملوك[٢١]: لا ينبغي أن يكون في الصّوم شئ من الأفراح، ولا زيجة، ولا شرطونيّة[٢٢]، ولا معموديّة[٢٣]، ولا شئ من التّبريك، إلاّ صلاة على

من عدّة جهات ... الخ". أمّا باقي الفقرة فهي منقولة من "المجموع الصّفوي" للصّفي بن العسّال.

١٩- هذه العبارة التي يذكرها ابن كبر لا يوجد مصدر يدعمها، وهو خطأ وقع من النّاسخ – على ما أعتقد – حيث أبدل كلمة "تزويج" بكلمة "تجنيز". فهذه العبارة نقرأها كاملة عند الصّفي بن العسّال، في كتابه "المجموع الصّفوي" هكذا: "والأربعون يوماً الصّوم تُصام بالزّهد والتّواضع وتجنُّب الشّهوات، ولا يكن فيها تزويج".

وهذا النّص مأخوذ من القانونين التّاسع والعاشر من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)، حيث يقول: ولا يكون فيها – أي الأربعين المقدّسة – تزويج البتّة ولا أملاك ولا حل ولا عقد على وجه من الوجوه. ولا يكون في الجمعة الكبيرة معموديّة ولا تجنيز، وليلازموا فيها البيعة بالتّسلك لأنها جمعة حزن وكآبة.

انظر للمؤلف: قوانين بطاركة الكنيسة القبطيّة في العصور الوُسطى.

٢٠- حرفياً: تكريز.

٢١- مصدر هذا النّص هو الكتاب الثّالث من قوانين الملوك.

٢٢- أي منح الدّرجات الكهنوتيّة. وهي ليست عادة الكنيسة القبطيّة، إذ يمكن تميم الرّسامات الكنسيّة في الصّوم الكبير.

ميت، أو معموديَّة من يُخاف عليه من الموت.

ولا يجب في الأربعين أن تُعيَّد أيام الشُّهداء، بل يكون تذكار الشُّهداء يوم السَّبت والأحد. ولا يجب في الأربعين أن يصنعوا عرساً، ولا نفاساً، ولا دعوات، ولا متكآت للشُّرب، ولا يشرب أحدٌ من الكهنة نبيذاً في الأربعين المقدَّسة، ولا في الصَّومين أعني الأربعاء والجمعة، ولا يدخل أحدٌ فيهما حماماً[٢٤].

وورد في الفَصل العاشر من قوانين الرُّسُل ما نصُّه: أنّ يصوموا في كلّ عام أربعين يوماً، كما صام موسى، وإيليا، والأنبياء في العتيقة. وابتدأ سيِّدنا المسيح بذلك بالجسد، ليعلِّمنا أن نفعل ذلك قبل آلامه المحيية. ثمّ نُحدد بعد ذلك أوصاب المسيح، وآلامه، وصلبه، وموته، ومضجعه في القبر، ويوم قيامته ونهوضه وانبعاثه، فيفصحون عليه ويعيِّدون به أيضاً.

فتمام أيام الصَّوم بعد ترك السُّبوت والحدود منها إلى يوم الأحد الذي هو أوَّل يوم من الخمسين، وهو يوم الفصح، أربعون يوماً، ويوم الجمعة والسَّبت يومان من أيام الصَّلب والدَّفن، والأحد يوم القيامة والبعث. فليس تُعَد هذه الأيام الثَّلاثة في الأربعين يوماً صوماً إلى تمام الخمسين[٢٥].

٢٣- وهذه أيضاً ليست من عادة الكنيسة القبطيَّة، بل إن المعموديَّة كانت تُمارس في القديم في يوم أحد التَّناصير.

٢٤- هذه الفقرة مأخوذة من قوانين الصَّفي بن العسَّال، كما سبق ذكرها.

٢٥- هذه الفقرة والفقرة السَّابقة لها منقولتان من مجموعة قانونيَّة بعنوان: "كتاب أخبار الأبسطوليِّين المختارين وتصرُّفهم بعد صعود المسيح إلهنا وسيِّدنا، وما وضعوه من الأمور والقوانين والسُّنن، وهو من كُتب اكليمندس" وتشمل المجموعة ثلاثين سنة.

والنَّص قد نشره القُمُّص صليب سوريال، دراسات في القوانين الكنسيَّة، الكتاب الأوَّل: في قوانين الآباء الرُّسُل وقوانين اكليمنضس وابوليدس وعلاقتهما بقوانين الآباء الرُّسُل،

وقيل أيضاً: يجب عليكم صوم الأربعين يوماً المقدّسة، وجمعة البَصخة الشّريفة التي هي ثماني جُمَع، وتباعدوا فيها من جميع الرُّهومات.

وقد قالت الدِّسقوليّة[٢٦] والقوانين الأبسطليّة[٢٧]: "فليكن عندكم حليلاً صوم الأربعين". ولا يُكمَّل في جمعة البَصخة، وتلازموا صومي الأربعاء والجمعة في طول السّنة ما خلا أيام الخمسين، ولا تستعلموا فيها ذبيحة.

وكذلك صوم الميلاد الذي أوّله الخامس عشر من شهر هاتور[٢٨]. وصوم الأبسطليّين الكائن من بعد يوم تمام الخمسين وإلى الخامس من شهر أبيب.

ومن كان من أهل الصّعيد الذين جرت عادتهم أن يصوموا من أوّل شهر هاتور فليجروا على عادتهم[٢٩].

وأمّا وقته الآن[٣٠]، فله قاعدة مستقرّة، أن يكون أوّله آخر الشّتاء[٣١]، وآخره أوّل الرّبيع[٣٢]. ولا يُكتفى فيه بذلك، بل له حساب

القاهرة، الكليّة الإكليريكيّة للقبط الأرثوذكس، ١٩٩١م، ص ١٧٧-١٨٩

نقلاً عن الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٨، ٢٨٩

٢٦- حرفيا: الدسقليه.

٢٧- أي: الرّسوليّة. وربّما يقصد قوانين الملوك.

الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٩

٢٨- هنا يضيف مخطوط أوبسالا: "وقيل الحادي والعشرين لتمام أربعين يوماً". وهي إضافة من ناسخ المخطوط، وهي إضافة غير حاذقة، لأنّ عدد أيام الصّوم لا تصل بتلك الإضافة إلى أربعين يوماً.

الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٨٩ مع التّصرّف.

٢٩- لا نعرف متى بدأت هذه العادة، ومتى انتهت.

٣٠- هنا عودة إلى الحديث عن الصّوم الأربعيني المقدّس.

٣١- آخر الشتاء هو يوم ٢٠ مارس. وهذا خطأ في التّعبير. لأنّ بدء الصّوم يتراوح بين نهاية شهر طوبه، وشهر برمهات، ولذا فهو يقع في أواسط الشّتاء.

يجب العمل عليه يُسمّى حساب الأبقطي[٣٣] رتّبه الأب البطريرك دمتريوس. وسنورد آخر هذا المجموع فصلاً دالاً عليه. ومعنى الأبقطي التّفاوت، أعني تفاوت ما بين دَور الشّمس ودَور القمر. ويُسمّى جدول هذا الحساب "الكرمة"، لأنّه ذو أصل وفروع.

وقد كان الصّوم المقدّس فيما تقدّم يُعمل ثاني الغطاس كقول الإنجيل المقدّس: "ولمّا صعد يسوع من الماء، للوقت[٣٤] أخرجه الرّوح إلى البريّة ليجرّب من إبليس. وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة". وكانت جمعة الآلام تُعمل مفردة في الوقت المخصوص بها، لأنّ لها وقتاً مشروطاً وحداً محدوداً قرّره الآباء ورسموه، ليكون الفصح المجيد تلو عيد اليهود، بحيث لا يوافقه جملة[٣٥]. ثمّ استقرّت آخر الأربعين المقدّسة، وحسُن وضعها وعظُم نفعها.

وصار النّاس يعملونها وقد ارتاضوا رياضة روحانيّة وجسدانيّة، وتلطّفوا بما تقدّم لهم من الصّوم، والصّلاة، والخشوع، والخضوع، وما يُكرّر على مسامعهم من التّعاليم والعظات والميامر والتّبوّات، التي تُصقل العقول، وتحقّق التّجسّد السّيّدي بتلك النّقول، وتوطّن النّفوس على تلقّي الآلام المحيية الواقعة على النّاسوت، بالتّصديق والقبول.

٣٢- أوّل الرّبيع يبدأ في يوم ٢١ مارس. ومن المعروف أنّ الصّوم الكبير ينتهي بعد الاعتدال الرّبيعي. وبحسب الدّسقولية (الباب ٣١) يقع الاعتدال الرّبيعي يوم ٢٥ برمهات، الذي يوافق ٢١ مارس حسب التّقويم الغريغوري، ويقع في ٣ أبريل حسب التّقويم اليولياني الذي تتبعه كنيسة الإسكندريّة. ولهذا يمكن أن يصح القول إن نهاية الصّوم تكون في أوّل الربيع، ولكن التّعبير الأدق أوائل الربيع، أو في النّصف الأوّل منه.
وعند ابن سباع: أوّل الصّوم الكبير يكون أواخر الشّتاء، وآخره أوائل الصّيف.
انظر أيضاً: الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٩٠

٣٣- انظر للمؤلّف، الجزء الأوّل من معجم المصطلحات الكنسيّة.

٣٤- حرفيّاً: والموقت.

٣٥- لم يعد الغرب المسيحي يلتزم بشرط وقوع عيد الفصح المسيحي بعد فصح اليهود. الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٩١

ثمّ يعقب تعب الصّيام والقيام، وحزن جمعة الآلام، فرح القيامة والفصح المجيد، فنعيّده بالتّهليل، والتّمجيد، ونتلقاه بقلوب تائقة إلى التّعييد. ونتبعه بأيام الخمسين المقدّسة، فتكون أيام أفراح روحانيّة، وراحة جسدانيّة، وفُسحة في بعض الملاذ البدنيّة[٣٦]، وتعويضٌ عمّا سبق من التّقشّفات الصّوميّة، فكان ذلك بحكمة ربّانيّة، ونعمة روحانيّة، ولذلك حسُن أن يكون الصّوم مجموعاً إليها، ومقدّماً عليها"[٣٧].

(٣) كتاب "الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة" لابن سباع (الباب ٣٢)

(العنوان): في ذكر مماثلة السيّد المسيح في الصّوم المقدّس والأربعاء والجمعة وغيره[٣٨].

وعلى الإنسان من ذلك أن يماثل مقام المسيح على الأرض، إن كان المسيح صام فيجب على الإنسان الآخر المتعمّد الصّيام. وإن كان المسيح صلّى، فيجب عليه أن يُصلّي كما قال الكتاب المسمّى أيضا بالكاثوليكون[٣٩] المورود عن بطرس ويعقوب ويوحنا ويهوذا وكل من له فيه هذا الرّجاء، فليطهّر نفسه كما أنّه أيضاً طاهر. وتطهير النّفس لا يكون إلى بالصّوم والصّلاة.

فيجب على المتعمّد أولاً بعد اعتماده، الصّوم. وأساس ذلك أنّ

٣٦- أي تناول مختلف الأطعمة.

٣٧- بعد ذلك يتحدّث ابن كبر عمّا يجب اعتماده في الأربعين المقدّسة من النّاحية الطّقسيّة. وهو ما أوردته في الفصلين الأوّل والثّاني من الباب الثالث من هذا الكتاب، وهما عن طقس رفع بخور باكر والقدّاس في الصّوم المقدّس الكبير.

٣٨- سأغفل ذكر بعض العبارات الوعظيّة، وأضع بدلاً منها ثلاث نقاط.

٣٩- حرفيا: بالقتاليقون.

السيِّد المسيح لمَّا اعتمد من يوحنا خرج إلى البريَّة كقول الإنجيل، وصام أربعين يوماً، وأربعين ليلة متوالية لقبول الرُّوح القُدُس، الذي حلَّ عليه في نهر الأردن شبه حمامة كقول مبيّ البشير. فيجب على المتعمَّد المماثلة بالسيِّد المسيح الذي ثبت فيه، أنَّه كما ماثله في العماد كذلك يماثله في الصِّيام.

وإن كان الإنسان لضعفه ما يمكنه صوم أربعين يوماً متواليةً عن الخبز كمثل السيِّد المسيح لضعف طبيعته، فهو يمكنه صوم أربعين يوماً وأربعين ليلة عن الشَّهوة البدنيَّة التي هي النَّظر الحقيقي الذي لا يصام إلاَّ لإخمادها. وليس عليه من ذلك ثقلاً ولا كلفة، وهو أفضل الصَّوم. لأنَّ الآباء الممتلئون من النِّعمة ما رتَّبوا قطع الرُّهومات والصَّوم باكر إلى عشيَّة، والقنع بالخضروات إلاَّ سلماً لإضعاف هذه الشَّهوة.

كذلك رتَّبوا أن يُصام في كلِّ سنة أربعين يوماً مماثلة لصوم السيِّد المسيح، أتقنوها أربعين يوماً، خمسة أيام في كلِّ أسبوع حتى يصير للصَّوم ثمان جُمع كما قالت الدِّسقوليَّة[٤٠] أولها أواخر الشِّتاء، وآخرها أوائل الصَّيف، خمسة أيام في كل أسبوع خارجاً عن سبوتها وآحادها. لأنَّ السَّبت لا يُصام ولا الأحد، إلاَّ السَّبت الواحد الذي كان فيه ربُّ البريَّة مقبوراً. وأمَّا الأحد فلا يُصام أبداً، لأنَّه يوم فرح روحاني، منذرٌ بالقيامة العامة في الدَّهر العتيد، العدم التَّعب والشَّقاء. والصَّوم تعب وشقاء على الجسد، لذلك تركوه في يوم الأحد لأجل أنَّه عربون القيامة.

وعليه صوم الأربعاء والجمعة، أولاً مماثلة ما كان يُعمل في العتيقة لقول الفريسي: أصوم لك يومين من كل أسبوع، وأعشِّر جميع مالي كشهادة الإنجيل. وأمَّا في الحديثة فرتَّبوا آباؤنا الرُّسُل صوم هذين اليومين على كل معتمد ذكراً كان أو أنثى، وذلك لأنَّنا عندما ماثلنا المسيح أولاً

---

٤٠ - حرفياً: الدسقلية.

في جحود الشيطان، وثانياً في الصَّوم، وثالثاً في الصَّلاة، ورابعاً في آلامه، فوجب علينا التألُّم بالاختيار، كما تألَّم المسيح بالاختيار. والألم الاختياري هو الصَّوم. لأنَّ الإنسان عند مسكه عن الأكل، تقوى الحرارة الغريزيَّة والمرارة الصَّفراويَّة على بدن الإنسان، ينقص من لحمه ودمه، ويضعف البدن، وتضعف القوَّة البدنيَّة، فيحصل الألم. وما يداوى ذلك الضَّعف إلاَّ بالفطر. فإذا احتمل الإنسان نقص قوَّته اختياراً منه، كان ذلك حمل ألم اختياري، كما حمل المسيح الألم الاختياري ...

وكذلك رتَّب آباؤنا الرُّسُل صوم هذين اليومين، وهما الأربعاء والجمعة. أمَّا يوم الأربعاء كون المؤامرة من اليهود كانت على صلب سيِّدنا فيه، أمَّا يوم الجمعة كون أن كان فيه الصَّلب والألم الحقيقي، كان فيه الذي تماثل المسيحيِّين كلهم ألمه فيه بالجوع والعطش اختياراً.

وقد أوجب آباؤنا الرُّسُل على كل متعمِّد صوم اليومين، الأربعاء والجمعة، ومن لا يصومهما إن كان كاهناً يسقط من رتبته الكهنوتيَّة، وإن كان علمانياً يُنفى من البيعة، إلاَّ أن يمنعه من ذلك ضعف جسداني عن إكمال الصَّوم إلى التَّاسعة من النَّهار ...

وهذان اليومان لا رُخصة فيهما أبداً ما دامت الشَّمس تطلع. وسبب التَّأكيد في ذلك أنَّ اليومين المجيدين وهما الميلاد والظُّهور أي الغطاس، متى اتَّفق حضور أحدهما في هذين اليومين، لا يمكن صوم العيد السيِّدي، فجعلوا يوماً صوماً قبل حضور العيد لمعنيين، أحدهما أن يصير للعيد بهجة في النَّفس لأجل الفطر بعد الصَّوم، والآخر تعويض أحد اليومين الأربعاء والجمعة إذا جاء العيد فيه، حتى لا يقع تفريط في صوم هذين اليومين جملة كافية.

وأمَّا صوم ثلاثة أيام نينوى فهي مشابهة التَّوبة التي سبقت من أهل

نينوى حتى رفع الله الغضب والحنق عنهم ...

وأمَّا صوم الميلاد المجيد لم يكن رتَّبه في البيعة إلاَّ أنبا اخرسطودولو البطريرك، وهو من عدد البطاركة الرَّابع والسَّبعين. والعلَّة في صومه أنَّ السيِّدة أم النُّور كانت في سبعة شهور ونصف من حملها بالبشارة المملوءة خلاصاً. وكثر تعييرها من يوسف النَّجَّار وغيره، كونها كانت تدَّعي البكوريَّة وُجدت حُبلى، فكان التَّعيير لا يفتر عنها. فصامت مدَّة شهر ونصف باكية حزينة على ما تسمعه من التَّعيير ولأنَّها أيضاً لم تعلم إيش تلد (كذا)[٤١].

فنحن في مذهبنا ما لنا سوى هذه الأصول الثَّلاثة. السيِّد، والسيِّدة مريم، والآباء الرُّسُل. صام السيِّد صُمنا لأجل صومه امتثالاً لتعليمه لنا الصَّوم. وكذلك السيِّدة صامت صُمنا شهر كيهك لأجل صومها. وكذلك آباؤنا الرُّسُل صاموا بعد حلول الرُّوح القُدُس عليهم، صُمنا لصومهم.

فالصَّوم مندوباً إليه من عدَّة جهات، أحدها تصحيح الطَّبيعة من العلل المنغمسة فيها. وثانياً لبقائها على النُّهوض الطَّبيعي، لأنَّ بعد أكل الإنسان ترتخي أعضاؤه، فما يبقى به نفع ولا لأشغال النَّفس ولا لأشغال البدن. وثالثاً الأحما بالرُّوح لأجل وجود الصَّوم، كونه يترك طبيعته ويتكلَّف طباع الملائكة العادمي الأكل. ورابعها مماثلة الآباء الأوَّلين الذين كانوا مشتغلين بروح الله، الذي اشتغلوا به عن الأكل والشُّرب، وهم إبراهيم وموسى وإيليَّا واليشع. وأخيراً مخلِّصنا الذي له المجد دائماً.

---

٤١ – إنَّ ابن سباع بحيِّر قارئه، فعلى قدر دقَّته في سرد الممارسات الطُّقسيَّة في زمانه، على قدر ضعفه في تأويل وتفسير بعضها. وقد أوردتُ هذه الفقرة على سبيل المثال، ليقف القارئ العزيز على ما أقول.

الفَصل الرَّابع

أسبقيَّة إقامة القُدَّاسات

في سبوت وآحاد الصَّوم المقدَّس الكبير

في الكنيسة الجامعة

عن باقي أيامه

أولاً: إقامة القدَّاسات في سبوت وآحاد الصَّوم المقدَّس الكبير

نعرف من قوانين الكنيسة الشَّرقيَّة، ومنذ القرن الرَّابع الميلادي أنَّ القدَّاسات تُقام في سبوت وآحاد الصَّوم المقدَّس الكبير، وليس في أيامه، لأنَّ مفهوم الصَّوم هو التَّوبة والتَّذلُّل أمام الله، أمَّا إقامة الإفخارستيَّا فهي تسبحة شُكر وتهليل وفرح. ومن ثمَّ فقد اقتصرت القدَّاسات في الصَّوم الكبير على السُّبوت والآحاد التي لا يُصام فيها صوماً انقطاعياً. وهذا هو تقليد الكنيسة الجامعة منذ القدم، وهو ما تتبعه بعض الكنائس الشَّرقيَّة حتى اليوم مثل الكنيسة اليونانيَّة.

فيذكر القانون رقم (٤٩) من قوانين مجمع اللاذقيَّة المكاني (٣٤١-٣٨١م) ما يلي: "لا يجوز تقديم الخُبز في أيام الصَّوم الكبير فيما عدا السَّبت ويوم الرَّب"[١].

بل إنَّ الاحتفال بأعياد الشُّهداء وتذكارهم بإقامة القدَّاسات، تتوقَّف في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير، ويُحتفل بها في سبوته وآحاده فقط. وهو ما يذكره القانون رقم (٥١) من قوانين مجمع اللاذقيَّة (٣٤١-٣٨١م)، فيقول القانون المذكور: "لا تجوز إقامة أعياد ميلاد الشُّهداء في

١- باستثناء الطَّقس الكلداني الذي شذَّ عن هذا السِّياق العام القديم في كل الشَّرق.

الصَّوم الكبير. أمَّا تذكاراتهم فتقام أيام السُّبوت والآحاد"[٢].

ومن هنا نشأ في الكنيسة مفهوم عدم قراءة السِّنكسار في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير حتى بعد أن أقيمت القدَّاسات فيها كما سنرى فيما بعد ولكن ليس في سبوته وآحاده التي يمكن فيها عمل تذكارات لأعياد القدِّيسين والشُّهداء، ومن ثمَّ قراءة سيَرهم. وفي ذلك يقول ابن كبر (١٣٢٤م): "لا يجب في الأربعين أن نعيِّد أيام الشُّهداء، بل يكون تذكار الشُّهداء يوم السَّبت والأحد"[٣].

ولقد ظلَّ طقس يوم الأحد يحتل المكانة الأولى والأساسيَّة كونه يوم الرَّب، ويوم القيامة، ويوم بداية الخليقة الجديدة. ومن ثمَّ صار يوماً متميِّزاً في صلواته وطقوسه وألحانه. أمَّا يوم السَّبت والذي كان يحمل ظلاً للرَّاحة الحقيقيَّة في السَّبت الأبدي في ملكوت الله، والذي كان بشأن وصايا العهد القديم «اذكر يوم السَّبت لتقدِّسه ...»، فقد ثار حوله جدل واسع في الكنيسة المسيحيَّة الشَّرقيَّة من ناحية، والكنيسة المسيحيَّة الغربيَّة من ناحية أخرى، وأحياناً بين آباء الكنيسة الواحدة وبعضهم البعض[٤].

فيوضِّح القدِّيس يوستينوس الشَّهيد (١٠٠-١٦٥م) عدم جدوى تميِّز يوم السَّبت عن بقيَّة أيام الأسبوع. ويعترض القدِّيس كيرلس الأورشليمي

٢- يقول فان اسبن Van Spin معقِّباً على هذا القانون: "ليس في تقويم الكنيسة القديمة في المدَّة التي يقع فيها الصَّوم الكبير إلاَّ بضعة أعياد للقدِّيسين. والأعياد الكثيرة في الكنيسة الرُّومانيَّة اليوم أُدخل أكثرها متأخراً".
انظر: الأرشيمندريت حنانيا كساب، مجموعة الشَّرع الكنسي، منشورات النُّور ١٩٧٩م، ص ٢٣٥.

٣- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨.

٤- عن تاريخ السَّبت في الكنيسة المسيحيَّة، ولاسيَّما في الكنيسة القبطيَّة، انظر للمؤلِّف الجزء الأوَّل من كتاب: "القدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله".

(٣١٥-٣٨٦م) على الارتداد إلى اليهوديَّة، محرِّضاً على الامتناع نهائياً عن كل ممارسة للسُّبوت.

ولكن في المقابل نجد في الكتاب الثَّامن من المراسيم الرَّسوليَّة والذي يشرح التَّقليد السُّرياني، الاهتمام بإقامة القدَّاس الإلهي في السُّبوت كما في الآحاد أيضاً. وذلك طبقاً للنَّص الذي يقول: "ليعمل العبيد خمسة أيام، وليتفرَّغوا للكنيسة يومي السَّبت والأحد لتعليم التَّقوى. لأننا قُلنا إنَّ السَّبت يختص بالخليقة، أمَّا يوم الرَّب فللقيامة" (٢:٣٣:٨).

ولقد احتفظت كنيسة الإسكندريَّة بتقليد إقامة الإفخارستيَّا في أيام السُّبوت إلى جوار الآحاد، وهو ما نعرفه في زمن البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) الذي صار يقول: "إننا نجتمع يوم السَّبت لا كأنَّنا متأثِّرون بالسَّبت اليهودي، ولكن لكي نعبد يسوع رب السَّبت"[٥]. وأيضاً في زمن البابا تيموثاوس الأوَّل (٣٨٠-٣٨٥م) الذي يجيب عن سؤال بقوله: "يتم التَّناول من الأسرار يومي السَّبت والأحد". وتؤكِّد أيضاً تلك الحقيقة قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة التي وُضعت في أواخر القرن الخامس الميلادي، والتي تقول: "لا يكسل أحدٌ من المسيحيِّين عن القدَّاسات في السَّبت والأحد"[٦].

وجدير بالذِّكر أنه في زمن القدِّيس أنبا مقار الكبير (٣٠٠-٣٩٠م) كانت ذبيحة قدَّاس السَّبت تُقام عند الغروب، ويعقبها سهر بطول اللَّيل، يُختم بإقامة القدَّاس في فجر يوم الأحد. وهو ما عُرف باسم "قانون

٥- يذكر القانون رقم (٢٩) من قوانين مجمع اللاذقيَّة (٣٤١-٣٨١م): "لا ينقطع المسيحي عن العمل يوم السَّبت، بل باخري في يوم الرَّب إذا استطاع، تكريماً ليوم الرَّب".

٦- القانون رقم (٩٣).

مقاريوس". وبعد توقُّف عادة إقامة القدّاس في غروب يوم السَّبت، ظلّ هذا اليوم يحتفظ في مسائه بصلاة رفع بخور عشيَّة، في حين لم يكن يُقام في صباح هذا اليوم أي قدّاسات.

كما يتحدَّث أنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين في القرن العاشر عن عادة إقامة القدّاسات يوم السَّبت طيلة أيام السَّنة لاسيَّما في الصَّوم المقدَّس الكبير. فيقول: "السَّبت شبه يوم الأحد في البركة والتَّقديس. والواجب على الإنسان أن يجتهد في تناول القُربان فيه كل الأزمان مثل يوم الأحد، ولاسيَّما في الصَّوم الكبير الذي صامه ربُّنا عنَّا، وذلك أنّ الله باركه وقدَّسه قبل يوم الأحد ... فيوم السَّبت يوم بركة وتقديس مع الزَّمان، فيلزم جميع المؤمنين الرِّجال والنِّساء أن يجتهدوا على تناول القربان فيه، وأن يحفظوا نفوسهم فيه مثل يوم الأحد"(٧).

ولكن منذ القرن الثَّالث عشر فصاعداً بدأ التَّركيز ينصب على قدّاس يوم الأحد أكثر من يوم السَّبت الذي بدأ يأخذ مكانه كيوم عادي من أيام الأسبوع. أي الاحتفال بيوم الأحد كيوم الرَّب، بدون إهمال يوم السَّبت، ولكن بدون التَّركيز عليه كيوم يساوي في الأهميَّة يوم الأحد.

ولقد ظلّت قطمارسات الكنيسة القبطيَّة تشهد على هذا التَّقليد الشَّرقي القديم الذي يُعطي لقُدّاسات السُّبوت والآحاد في الصَّوم الكبير الأهميَّة الأولى، إذ لا زالت كثيرٌ من مخطوطات القطمارسات القبطيَّة تحوي فصول قراءات سبوت وآحاد الصَّوم المقدَّس الكبير فقط. أي أنّ القطمارس يُسمَّى "قطمارس سبوت وآحاد الصَّوم المقدَّس الكبير".

٧- أنبا ساويرس ابن المقفع، الدُّر الثَّمين في إيضاح الدِّين، مدارس التربية الكنسيَّة بكنيسة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل بطوسون — شبرا، بدون تاريخ، ص ١٨٠

أمَّا الممارسة الفعليَّة التي سادت طويلاً حتى إلى وقت قريب في الكنيسة القبطيَّة – بعد أن أصبحت القدَّاسات تُقام في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير – هي اتِّجاه كثيرٌ من الكنائس إلى عدم إقامة القدَّاس يوم السَّبت، ليس في فترة الصَّوم المقدَّس الكبير فحسب، بل وعلى مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة أيضاً، برغم ما ليوم السَّبت من قراءات تختص به سواء في الصَّوم المقدَّس الكبير، أو على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة.

هذا هو التَّقليد الشَّرقي القديم، أمَّا التَّقليد الغربي فكان لا يعتني مطلقاً بيوم السَّبت كيوم راحة قديم. ويقول القدِّيس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) في ذلك:

[إمَّا أن نكون مسيحيِّين فنحفظ يوم الأحد، أو أن نكون يهوداً فنحفظ السَّبت. فالسَّبت مثل الختان وغيره من العوائد والطُّقوس اليهوديَّة التي انتهت، قد بطُل].

وهذا هو الدَّافع وراء قانون الرُّسل رقم (٦٤) الذي يقول[٨]: "أي إكليريكي وُجد صائماً في يوم الرَّب، أو يوم السَّبت عدا السَّبت الواحد، فليُجرَّد. وإن كان علمانياً فليُحرم"[٩].

وتكرَّر نفس الأمر في القانون رقم (٥٥) من قوانين مجموع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م، والذي يقول: "إذ قد فهمنا أنهم في مدينة روما يصومون في الصَّوم الكبير أيام السُّبوت خلافاً للتَّرتيب الكنسي التَّقليدي فقد لاح للمجمع أنه يجب أن يُراعى هذا القانون في روما، وهو أنَّ كل من وُجد صائماً يوم أحد أو يوم سبت (ما عدا السَّبت الواحد الكبير)

٨- وهو من مدوَّنات أواخر القرن الرَّابع الميلادي. وقد وردت هذه القوانين في الفصل السَّابع والأربعين من الكتاب الثَّامن من المراسيم الرسوليَّة.

٩- وهو يقابل القانون رقم (٤٥:٢) من قوانين الرُّسل القبطيَّة.

فليسقط إن كان إكليريكياً وليُقطع إن كان علمانياً".

ولكن الغربيّين لم يبالوا بالقوانين القديمة التي منعت الصّوم في السُّبوت، عدا السَّبت الكبير كما يقول زونارس.

وهذا التّباين في الاحتفال بالسَّبت بين الشّرق والغرب هو تباين قديم. فيقول القدّيس أمبروسيوس (٣٣٩-٣٩٧م) أسقف ميلان في عظة له عن الصّوم المقدّس الكبير (عظة ٩):

[... إني أحذّركم، بل أتوسّل إليكم في الرّب، ألاّ يأكل أحدٌ أو يشرب - ما عدا المريض والطّفل منكم - قبل ساعة العصر ما عدا أيام الآحاد].

وهنا لا يذكر القدّيس أمبروسيوس يوم السَّبت إلى جوار يوم الأحد، ومن ثمّ يظهر لنا كيف احتلّ يوم السَّبت في الكنيسة المسيحيَّة تباينـاً واضحاً منذ البداية، فلا عجب أن يتأرجح طقس السُّبوت بالذّات في الصّوم المقدّس الكبير بين كنيسة وأخرى، بل في ذات الكنيسة الواحدة. فالتّأثيرات اليهوديَّة على الكنيسة المسيحيَّة ظلّت تؤرقها منذ عصر الآباء الرُّسُل أنفسهم. وإنّ مجمع أورشليم الذي عُقد سنة ٥١ ميلاديَّة، لم يكن سوى محاولة أولى من الكنيسة لفض هذا الاشتباك بين العوائد اليهوديَّة والممارسات المسيحيَّة.

ويوضّح القدّيس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م) أسقف قبرص هذا التّباين في تكريم يوم السَّبت بين كنيسة وأخرى، فيقول:

[تُقام احتفالات في بعض الأماكن في السُّبوت، ولكن ليس

في كل مكان][١٠].

أمَّا القدِّيس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) فيحكي لنا قصَّة لطيفة بخصوص ذلك الاختلاف بين الكنائس، فيقول:

[سأعلنُ لك ما أحابني عنه الجليل أمبروسيوس حين سألتُه (بخصوص الصَّوم يوم السبت) وهو الذي عمَّدني وهو أسقف ميلانو. ولمَّا كانت أمي معي في تلك المدينة عينها، وكنَّا بعد موعوظين، لا نهتم إلاَّ قليلاً بتلك الأمور. فقد تساءلَت والدتي هل كان يجب عليها الصِّيام في السَّبت بحسب عادة مدينتنا، أم تتناول الطَّعام بحسب عادة كنيسة ميلانو؟ فلكي أخلِّصها من هذا الهم، سألتُ رجل الله المذكور أعلاه فأجاب: ماذا يمكنني أن ألقِّنك بهذا الموضوع أكثر ممَّا أعملُ أنا بنفسي؟ وكنتُ أظنُّ أنه بجوابه لم يوصِ إلاَّ بتناول الطَّعام يوم السَّبت، لأني كنتُ أعلم أنه يفعل هذا. ولكنَّه عطف قائلاً: عندما أكون هنا، لا أصوم في السَّبت، وعندما أكون في روما أصوم في السَّبت. وفي أيَّة كنيسة أتيتموها فاحفظوا عادتها إن أردتم ألاَّ تعثروا، ولا تكونوا سبب عثرة. نقلتُ هذا الجواب إلى أمِّي فأرضاها، ولم تشك في أنه يجب أن نطيع، وهذا ما عملناه. وبما أنه يحدث غالباً في أفريقيا أن يكون لكنيسة أو لكنائس منطقة واحدة، عادة أن يأكل بعضهم في السَّبت، والبعض أن يصوموا، فلقد تبيَّن لي أن أتبع عادة أولئك الذين عُهد إليهم بتدبير الجماعة بين تلك الشُّعوب][١١].

١٠- في الإيمان: ٧، ٢٤

١١- رسالة ٣٦ إلى كازولانوس: ٣٢

وفي القرن السّابع الميلادي يكتب البابا غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤م) فيقول: "بلغني أنّ بعض الرّحال ذوي الرُّوح الفاسدة قد زرعوا بينكم أموراً سيّئة ومضادة للإيمان المقدّس، بحيث أنهم حرموا عمل أي شئ يوم السَّبت. فلا أسمّيهم إلاّ واعظي المسيح الدَّجال، لأنّ المسيح الدَّجال عندما يأتي سيفرض الامتناع عن كل عمل يوم السَّبت ويوم الرَّب. إذاً نحن نقبل روحياً ما كُتب في السَّبت ونحفظه روحياً. فالسَّبت يُدعى الرَّاحة، أمّا سبتنا الحقيقي فهو مخلّصنا الرَّب يسوع المسيح"[١٢].

ثانياً: مراحل إقامة القدّاسات في أيام الصّوم المقدّس الكبير

إنّ القوانين الكنسيّة الشّرقيّة التي حدّدت إقامة القدّاسات في سبوت وآحاد الصّوم المقدّس الكبير، لم تمنع إقامة القُدسات السّابق تقديسها – بحسب التّقليد البيزنطي – في أيام الصّوم المقدّس الكبير، وهو ما يطلعنا عليه القانون رقم (٥٢) من قوانين مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م، والذي يقول: "يُقام قدّاس القُدسات السّابق تقديسها في كل أيام الصّوم الكبير ما عدا السُّبوت والآحاد، ويوم عيد البشارة المقدّس". أي أنّ سبوت وآحاد الصّوم المقدّس الكبير فقط يُقام فيها قدّاساً إفخارستياً كاملاً دون أيامه.

والقُدسات السّابق تقديسها هو طقس تعرفه الكنائس البيزنطيّة والسّريانيّة، وكنيسة روما أيضاً، وهو يُدعى "التّقدمة التي سبق تقديمها، والذّبيحة التّامة"، ولكنّه ليس قُدّاساً إفخارستياً كاملاً.

وخدمة القُدسات السّابق تقديسها معروفة قبل زمن القدّيس غريغوريوس الثيولوغوس (٣٢٩- ٣٨٩م)، ولكنها نُسبت إليه لأنه هو الذي

١٢- غريغوريوس الكبير: رسالة ١٣:٣

جمعها ونظّمها كما هي في ترتيبها الآن. وهي الخدمة التي بموجبها يسهل على المؤمنين تناول الأسرار المقدّسة في الأيام التي لا تُقام فيها قدّاسات.

وإنّ عادة حفظ الخبز والخمر اللّذان يُكرّسان في القدّاس الإلهي صباح الأحد، ويُحفظان في الكنيسة ليوزّعا على المؤمنين خلال الأسبوع، بحسب طقس الكنيسة البيزنطيّة، هي الجذور الأولى للقدّسات المسبقة تقديسها، والتي يتناولها المؤمنون حالياً في الكنيسة البيزنطيّة خلال قدّاس البروجيازمينا[١٣] مساء يومي الأربعاء والجمعة طيلة الصّوم المقدّس الكبير[١٤].

وهذه الخدمة اللّيتورجيّة تُقام عادة في الكنائس الأرثوذكسيّة البيزنطيّة في أيام الأربعاء والجمعة من الأسابيع السّتة الأولى من الصّوم الأربعيني الكبير، ويوم الخميس من الأسبوع الخامس، وأيام الاثنين والثّلاثاء والأربعاء من أسبوع الآلام المقدّسة. ويمكن أن تُقام في كل يوم من أيام الصّوم الكبير فيما عدا السّبوت والآحاد وعيد البشارة، وفي كل يوم يقع فيه تذكار قدّيس أو تكريس كنيسة[١٥]. ولقد تضايق القدّيس سمعان التّسالونيكي (+ ١٤٢٩م) من إهمال الكنيسة البيزنطيّة إقامة هذا القدّاس يوم الجمعة العظيمة في أيامه. ويقول في ذلك: إنّ كنيسته هي الوحيدة التي حافظت عليه في تلك الأكسرخوسيّة. ويظن أنّ سبب هذا الإهمال هو التّشبّه بكنيسة أورشليم.

١٣- انظر للمؤلّف شرحاً تفصيلياً لكلمة "بروجيازمينا" في الجزء الأوّل من كتاب: "معجم المصطلحات الكنسيّة".

١٤- فريد حداد، ذبيحة المسيح، بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٢٠

١٥- هذه الخدمة بحسب تقليد الكنيسة البيزنطيّة تُقام في المساء. ففي الإمكان إقامة هذه الخدمة في أي وقت بعد الظّهر من السّاعة الثّانية إلى السّاعة الخامسة، ولكن لا يجوز إقامتها في الصّباح.

انظر: حنانيا كساب، مجموعة الشّرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٥٨٠-٥٨٢

ويقول العالم جون ماسون نيل في مؤلّفه "مقالات في اللّيتورجيّات": "إنه من الغرابة أن نجد أنه في اليوم الوحيد الذي تُقام فيه في الغرب خدمة القدّسات السّابق تقديسها[١٦] وهو يوم الجمعة العظيم، قد أُلغي فيه استعمالها في الشّرق في مثل هذا اليوم".

ولقد شاع استعمال هذه الخدمة في الشّرق بحسب شهادة القدّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) في رسالته إلى باتريسية قيصريّة. كما شاعت في الغرب بحسب شهادة القدّيس إيرونيموس في رسالته إلى باماخيوس.

وإنّ ما يهمُّنا معرفته هنا هو أنّ القدّاسات التي أُقيمت في أيام الأسبوع من الصّوم المقدّس الكبير قد دخلت تدريجيًا على أيام الصّوم، وليس دُفعة واحدة. ولقد تباينت هذه الأيام بين كنيسة وأخرى. أمّا يومي الأربعاء والجمعة فربما كانا هما اليومان الأوليان اللّذان أقيم فيهما القدّاس الإلهي في الصّوم المقدّس الكبير إلى جوار قدّاسي السّبت والأحد. ويورد ابن كبر في الباب الأخير من موسوعته "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" دلائل قراءات فصول بخور باكر والقدّاس لأيام الصّوم المقدّس الكبير، من الاثنين إلى الأحد من كل أسبوع[١٧].

أمّا إقامة خدمة القدّاس الإلهي في أيام الخميس من الصّوم المقدّس الكبير، فقد أدخلها البابا غريغوريوس الثّاني (٧١٥-٧٣١م) إلى طقس كنيسة روما، إلاّ أنها لم تكن هي البادرة الأولى في إقامة القدّاس في واحد من أيام الصّوم المقدّس الكبير.

١٦- وهي القدّسات التي تمّ تقديسها في قدّاس يوم الخميس الكبير.

١٧- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ٢٤

وطبقاً لمخطوطات رومانيَّة قديمة، فإنَّ طقس روما لم يكن يعرف إقامة قدَّاسات في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير إلاَّ في ثلاثة أيام فقط، هي الاثنين والأربعاء والجمعة. أمَّا يوم السَّبت فلم يكن يُقام فيه قدَّاسات بحسب طقس كنيسة روما[١٨]. وهذا الطَّقس عينه نجده أيضاً في الطَّقس الأنجلوساكسوني القديم بشهادة كتاب فصول الأناجيل التي تُقرأ في هذه القدَّاسات، والمعروف باسم Book of Lindis Farne .

فمن الشَّواهد المتتابعة، والملاحظات الدَّقيقة على مدى تاريخ الصَّوم الكبير، يتَّضح لنا منها أنَّ اللِّيتورجيَّات كانت تُقام في أيام الأربعاء والجمعة فقط من الصَّوم المقدَّس الكبير، وهما اليومان ذات الاعتبار القديم. ونجد هذا النِّظام عينه كان معمولاً به في كنيسة أورشليم في خدمة المساء التي كان يُحتفل بها في كنيسة صهيون في مساء يومي الأربعاء والجمعة. وهي أيضاً نفس الحالة التي نجدها في مواكب الصَّوم الاحتفاليَّة Litany Processions في الطَّقس الأميروزي، حيث كان يتبع موكب يوم الأربعاء من أيام الصَّوم الكبير الاحتفال بإقامة الإفخارستيَّا. وفي يوم الجمعة من أيام الصَّوم، كانت هناك مجموعة من القراءات الكتابيَّة من العهد القديم.

وإن كان الشَّيء بالشَّيء يُذكَر، فالذي يدرس بعمق فصول قراءات الصَّوم المقدَّس الكبير في الكنيسة القبطيَّة، يلاحظ أنَّ قراءات يومي الأربعاء والجمعة على مدى الصَّوم تحمل سمة مميَّزة ورائحة خاصة ومنهجاً كتابياً محدَّداً يختلف عن باقي قراءات أيام الصَّوم الأخرى. حتى لقد صار متيقَّناً لدينا بعد سنوات عديدة من دراسة جماعيَّة لهذه القراءات في

١٨- ظلَّ الشَّرقيُّون يعضِّلون عدم الصَّوم يوم السَّبت، تذكاراً لراحة الله، ومن ثمَّ فإنه يمكن إقامة القدَّاس فيه. أمَّا في الغرب فقد فضَّلوا الصَّوم فيه تذكاراً لموت المسيح وراحته في القبر، ومن ثمَّ فلم تكن تُقام القدَّاسات فيه.

Cf. A. Baumstark, *op. cit.*, p. 191.

اجتماعات روحيَّة مصحوبة بالصَّلاة والإصغاء القلبي لكلمة الله، أنّ واضع فصول قراءات هذين اليومين من أيام الصَّوم المقدَّس الكبير ذو إلهام روحي فائق.

ونلاحظ أيضاً أنه في الطَّقس الآشوري (النَّسطوري) ومن مصادره الطَّقسيَّة القديمة، أنه كان ليوم الجمعة بمفرده فصولٌ كتابيَّة تختص به بدءاً من الأسبوع الثَّاني من الصَّوم وحتى نهايته.

الخلاصة

إذا قارنَّا هذه المعطيات السَّابق ذكرها بعضها ببعض، نخلص إلى نتيجة هي أنه في البدايات المبكّرة، كان الاحتفال بإقامة الإفخارستيَّا في الصَّوم المقدَّس الكبير محصورٌ في يومي السَّبت والأحد، ثمّ أُلحق عليهما في زمن مبكر أيضاً اليومين المعروفين في قوانين الكنيسة القديمة وهما الأربعاء والجمعة. أمَّا نظام الاحتفال بإقامة الإفخارستيَّا في ثلاثة أيام الأسبوع من الصَّوم الكبير وهي أيام الاثنين والأربعاء والجمعة فقد كان في الحقيقة هو مرحلة أخرى من مراحل التَّطوُّر اللّيتورجي التي عبر عليها الاحتفال بإقامة اللّيتورجيَّا في أيام الصَّوم. ولقد كان لاعتبار التَّجانس شأناً كبيراً في إضافة يوم الاثنين من أيام الأسبوع. ثمّ في مستهل القرن الثَّامن الميلادي أُضيف قدَّاس يوم الخميس ضمن الأيام التي يُحتفل فيها بإقامة الإفخارستيَّا في الصَّوم الكبير في كنيسة روما[١٩].

ويتَّضح ممَّا سبق أنّ الكنيسة الشَّرقيَّة لم تستغن منذ البداية عن مداومة التَّناول من الأسرار المقدَّسة طيلة الصَّوم المقدَّس الكبير، سواء في

19- *Ibid.*, p. 193.

أيامه أو في سبوته وآحاده. ومن ثمَّ ففي الكنيسة القبطيَّة التي ليس لديها طقس القدَّسات السَّابق تقديسها كما عند الكنيستين السِّريانيَّة والبيزنطيَّة، فقد أُقيمت - في مرحلة تالية - القدَّاسات الإلهيَّة في أيام الصَّوم الكبير، إلى جوار سبوته وآحاده.

هذا من جهة طقس إقامة القدَّاسات في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير شرقاً وغرباً. أمَّا عن نظام الصَّوم نفسه فقد تباين هو الآخر بين كنيسة وأخرى، ففي حين تسمح بعض الكنائس الشَّرقيَّة بأكل الأسماك الصَّدفيَّة في سبوت وآحاد الصَّوم الكبير كما يشهد بذلك ملاتيوس الصَّائم، تبيح الكنيسة الأرمينيَّة أكل البيض والجبن فيهما، وهو ما نعرفه من القانون رقم (٥٦) من قوانين مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م، والذي يقول: "علمنا أيضاً أنه في مقاطعات أرمينيا وفي أماكن أخرى يأكل بعض النَّاس بيضاً وجبناً في سبوت الصَّوم المقدَّس وآحاده. فيلوح لنا أنه يحسن أن يسود نظام واحد في كنيسة الله في كل أنحاء العالم، وأن يُحفظ الصَّوم حفظاً دقيقاً. وكما يمتنع النَّاس عن أكل ما ذُبح، هكذا يجب أن يمتنعوا عن أكل البيض والجبن، وهما من نتاج الحيوانات الممنوع أكل لحمها. وكل من لا يحفظ هذه الشَّريعة فليسقط إن كان إكليريكياً وإن كان عامياً فليُقطع".

عودة الابن الضَّال إلى أبيه

البَاب الثّالث

الصَّلوات الطَّقسيَّة لأحد الرِّفاع وأيام الصَّـــوم المقـــدَّس الكبـــير

الفَصل الأوَّل

طقوس صَّلوات أحد الرِّفاع

ورفع بخور باكر أيام الصَّوم المقدَّس الكبير

أولاً: طقس يوم أحد رفاع الصوم المقدس الكبير

وهو الأحد الذي يسبق بدء الصوم المقدس الكبير مباشرة. وأما طقسه فهو الطقس السنوي المعتاد. ولكن جرت عادة بعض الكنائس في هذا اليوم – كما سبق أن أشرتُ في طقس صوم نينوى بحسب ما تذكر المخطوطات القبطية – أن يكون مرد إنجيل القداس بلحن الصوم، كما تكون القسمة في القداس هي قسمة الصوم المقدس الكبير. أما التوزيع فهو باللحن السنوي، حيث يُختم بلحن ⲧⲉⲥⲙⲁⲣⲡⲟⲩⲧ ⲉⲓⲉⲙⲁⲣⲡⲟⲩⲧ ⲭⲉ (حي إفسماروؤت) الصيامي، ومديح يناسب الصوم المقدس الكبير. أما ختام الصلوات فيكون ختام صلوات الصوم المقدس الكبير.

ويطلعنا "مخطوط البطريركية بالإسكندرية لسنة ١٧١٦م" على طقس يوم أحد الرفاع[1]، حيث يورد مردات لأناجيل عشية وباكر والقداس لهذا اليوم، وهي كما يلي:

مرد إنجيل عشية أحد الرفاع

اغفر لنا آثامنا، وأعطنا ميراثاً، و... ذكرتنا، أمام أبيك الذي في السموات.

ⲭⲱ ⲛⲁⲛ ⲉⲃⲟⲗ ⲛⲛⲉⲛⲁⲙⲟⲩⲓⲁ ⸗ ⲛⲁⲛ ⲟⲩⲕⲁⲛⲟⲛⲟⲙⲓⲁ ⸗ ⲛⲉⲓⲥ ⲇⲉⲛ ⲡⲉⲕⲁⲅⲅⲉⲗⲓⲟⲛ ⲁⲕⲉⲣⲡⲉⲛⲙⲉⲧⲛⲓ ⸗ ⲛⲁⲥⲣⲡⲉⲛ ⲡⲉⲕⲛⲓⲱⲧ ⲉⲧ ⲇⲉⲛ ⲛⲓⲫⲏⲟⲩⲓ.

١- وهو ما يذكره أيضاً مخطوط السريان لسنة ١٦٩٨م.

مرد إنجيل باكر أحد الرّفاع

وإن كنّا أخطأنا إليك يارب مرّات كثيرة، اغفر لنا بحسب رحمتك، كما يغفر الأخ لأخيه[٢].

Ϣⲱⲡ ⲁⲛⲛⲁⲛⲉⲣⲛⲟⲃⲓ ⲉⲣⲟⲕ ⲛ̀ⲑⲉ ⲛⲁⲃⲟⲓⲥ ⲛ̀ⲕⲉⲙⲏⲛⲓ ⲛ̀ⲥⲟⲛ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲕⲁⲧⲁ ⲡⲉⲕⲛⲁⲓ ⲛ̀ⲥ ⲕⲁⲧⲁ ⲫⲣⲏⲛⲓ ⲛ̀ⲛⲓⲥⲟⲛ ⲉⲭⲱⲧⲉⲃⲟⲗ ⲛ̀ⲛⲉⲥⲥⲟⲛ.

مرد إنجيل قدّاس أحد الرّفاع

أبانا الذي في السّموات ..

Ⲡⲉ ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲧ ⲃⲉⲛ ⲛⲓⲫⲏⲟⲩⲓ..

ثانياً: طقس رفع بخور باكر أيام الصّوم المقدّس الكبير

بحثٌ في أصول نغمة أيام الصّوم المقدس الكبير، والتي تدعوها مخطوطات ترتيب البيعة "لحن الحُزن"

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

نهار الاثنين من الجمعة الأولى. طريقة نصف اللّيل وباكر والقدّاس جميع ذلك بطريقة الحُزن، لحن التّحنيز. وأمّا أكثر البيع فنهار الاثنين أوّل الجمعة الأولى ويوم جمعة ختام الصّوم، يقرأون طريقة السّبت والأحد، وهو الأصوب[٣].

وهو نفس ما يذكره "مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م". ولكن هذا المخطوط الأخير يقول بعد ذلك مباشرة: "بطول الصّوم صلاة

٢- وذلك بحسب تعليم الرّب نفسه. انظر: مت ١٨:١٥

٣- وهو نفس ما يذكره "مخطوط دير البراموس لسنة ١٥١٤م".

نصف اللَّيل كالعادة المعروفة، وكذلك صلاة باكر كالعادة إلى أن يدور الكاهن بالبُخور، فيقال Χερε νε ϣ ϯπαρθενος .. "[٤].

وبقراءة متأنية لهذين المخطوطين السَّابق ذكرهما نعرف أنَّ المقصود بطريقة الحُزن أو لحن التَّجنيز في تسبحة نصف اللَّيل وباكر والقدَّاس، هو نغمة الصَّوم الكبير في الأيام، والتي يُقال بها حالياً بجمع التَّسبحة، أو الذُكصولوجيَّات، أو مردَّات الإنجيل. ويشرح "مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م" ذلك الأمر بقوله:

"صلاة نصف اللَّيل كالعادة من غير زيادة ولا نقصان. وعندما تُقال Τενοτεβ ναιωκ [٥] تُقال بطريقة Πιπαιρεωι [٦] وإذا كانت التَّذاكيَّة واطس يُقرأ لبشها مثل ذلك (أي بطريقة Πιπαιρεωι).

وصلاة باكر كالعادة، ولكن في تسبحة الملائكة في تطويق الكاهن البيعة بالبُخور، إذا وصلوا إلى عند Χερε νε ϣ ϯπαρθενος [٧] يقولونها بطريقة Πιπαιρεωι ..."[٨].

إنَّ ما تعنيه المخطوطات باللَّحن الحزين أو الجنائزي، هو تلك النَّغمة التي تُقال بها الذُكصولوجيَّات أو مردَّات الإنجيل - على سبيل المثال - في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير. وهو ما يؤكِّده "مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م"، حيث يقول ما نصُّه: "وبعده (أي الإنجيل)

٤- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١٣

٥- (تين أوويه إنسوك)، أي: "نتمسك بكل قلوبنا ..."

٦- (بي مايرومي) أي: ذكصولوجيَّة الصَّوم التي أوَّلها "يا محب البشر الصَّالح ..."، وكانت هي الذكصولوجيَّة الأولى في الصَّوم، كما يشهد بذلك ابن كبر (+ ١٣٢٤م).

٧- أي: السلام لك أيتها العذراء.

٨- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٢١

الموعظة، وبعدها مرد الإنجيل بلحن الحُزن ⲙⲛ̀ⲉⲓⲣⲏⲛⲏ "[٩].

وإنه من المستغرب أن تشير مخطوطاتنا إلى أنّ جانباً من تسبحة نصف اللّيل، أو صلاة القدّاس الإلهي في أيام الصّوم المقدّس الكبير يكون بعضها بلحن الحُزن أو التّحنيز، لأنّه تعبير من ابتداع العصور الوسطى، وتناقله النّاسخون واحدٌ تلو الآخر. إذ كيف نسبّح الرّب بلحن حزين؟. فالقدّاس الإلهي مع ألحانه ومردّاته في أي وقت من السّنة اللّيتورجيّة هو صلاة شُكر وتسبيح وتهليل بالخلاص الذي أكمله المسيح لنا بموته وقيامته. القدّاس الإلهي هو باختصار حضور المسيح وسط شعبه في الكنيسة. «هللّوا للرّب يا كل الأرض، اعبدوا الرّب بالفرح. ادخلوا أمامه بالتّهليل ... ادخلوا أبوابه بالاعتراف، وديارِه بالتّسابيح ...» (مزمور ٩٩ سبعينيّة). فكيف نصلّي بلحن الحُزن أو التّحنيز في حضرة الرّب. ومن المعروف أنّ كلّ قدّاس إلهي قبطي يُستهل بلحن طويل لكلمة "هلليلويا"، وينتهي بألحان متنوّعة بديعة لنفس الكلمة على مدار السّنة اللّيتورجيّة.

وحتى إن كان المقصود بتعبير "لحن الحزن أو التّحنيز" في القدّاس الإلهي هو ما يختص بقدّاس الموعوظين وليس الأنافورا نفسها، فألحان الصّوم المقدّس الكبير كلّها ألحان خشوعيّة، تبعث في النّفس سكينة وسلاماً، ولكنّها ليست ألحاناً حزينة أو حتى جنائزيّة.

كما نلاحظ أيضاً - وطبقاً لتعبير المخطوطات السّابق ذكرها - أنّ ألحان الصّوم الكبير في السّبوت والآحاد لا تنتمي إلى الألحان التي تدعوها المخطوطات بالحزينة أو الجنائزيّة. ممّا يعني أنّ لحن الصّوم الكبير نفسه والذي نُصلّي به الذّكصولوجيّات أو مردّات الإنجيل في السّبوت والآحاد ليس لحناً حزيناً أو جنائزياً. أمّا إن نظرنا إلى لحن ⲙⲉⲅⲁⲗⲟⲩ (ميغالو)

٩- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٢٢

الذي يُقال في آحاد الصَّوم الكبير، فلماذا لم ندعوه لحناً حزيناً برغم أنّ جانباً من نغماته يتكرَّر بعينه في ألحان أسبوع البَصخة المقدَّسة، ولاسيَّما في يوم الجمعة العظيمة؟، ثمَّا يؤكّد مجدَّداً أنّ تعبير المخطوطات "لحن الحزن أو التَّحنيز" هو تعبير خاطئ، لا يجب تداوله.

إنّ اللَّحن الذي تعنيه المخطوطات بالحزين أو الجنائزي هو وليد عصور متأخِّرة نوعاً، بدءاً من القرون الوسطى، وكان الدَّافع لـه هو السُّرعة في الانتهاء من الصَّلوات ليس إلاّ. وقد سبق أن عرفنا أنّ قدَّاسات الصَّوم المقدَّس الكبير ظلّت تُقام في سبوت وآحاد الصَّوم فقط، قبل أن تدخل القدَّاسات في أيام الصَّوم، وعلى مراحل متعدِّدة، وببطء شديد.

ولقد حاولتُ مراراً كثيرة، وعلى مدى سنين طويلة، أن أتتبَّع نغمة الصَّوم الكبير التي نُصلّي بها في الأيام، لأعرف من أين جاءت؟، فاتضَّح لي بكل يقين أنها ليست إلاّ محاولة لاختصار نغمة الصَّوم الكبير التي تُقال في السُّبوت والآحاد، وذلك بدافع سرعة الانتهاء من الصَّلوات كما سبق أن أشرتُ.

فتجد أنّ نغمة أيام الصَّوم تأخذ فقط الهزَّات أو الهنكات القليلة الأولى والأخيرة من نغمة آحاد الصَّوم التي يحويها كل إستيخون من الأربعة إستيخونات التي يشملها كل ربع، تاركة باقي النَّغمة بهزَّاتها الأخرى. ومن ثمّ فقد جاءت هذه النَّغمة المختصرة مبتورة فاقدة لأصول الموسيقى القبطيَّة البديعة، فدعوها بالحزينة أو الجنائزيَّة. وكم كان فرحي عظيماً حين تيقَّنت من هذه الحقيقة بعد سنين طويلة أخرى، إذ وجدتُ أنّ "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)"، وفي أثناء حديثه عن صلاة مساء الأحد، يقول عن هذه النَّغمة المختصرة ما يلي:

"... وتقال Μεγαλυνάριον Ἁγίου [١٠] بلحن الأحد ملخّص".

إذاً فهذه النّغمة التي نسمعها في قدّاسات أيام الصّوم هي ملخّص أو اختصار نغمة الصّوم الكبير في السّبوت والآحاد. أي أنّ نغمة الصّوم الكبير في السّبوت والآحاد هي النّغمة الوحيدة الأصيلة المعروفة للصّوم الكبير، ولا توجد نغمة غيرها. وإن كانت هذه النّغمة الأصيلة لم تصفها المخطوطات بالحزينة أو الجنائزيّة، فهل يكون اختصارها أو إيجاز هزّاتها باعثاً على وصفها بتلك الصّفات؟ لا أظن.

ومن كلّ ما سبق ذكره نخلُص إلى القول بأنّ الفرق بين قدّاسات أيام الصّوم الكبير، وقدّاسات سبوته وآحاده، هو الفرق بين قدّاسات أيام السّنة اللّيتورجيّة وقدّاسات آحادها، فالقدّاس هو القدّاس، في أي زمان وفي أي مكان. ولكنّ الفرق الذي نستشعره في قدّاس الأحد، يكمن في بهجة يوم الأحد نفسه الذي هو يوم الرّب، ويوم القيامة، مع الألحان الكنسيّة اللائقة بهذا اليوم المبارك العظيم.

(أ) طقس رفع بخور باكر أيام الصّوم الكبير عند ابن كبر

يطلعنا ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في كتابه "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" على طقس مختلف نوعاً لرفع بخور باكر في الصّوم الكبير، وهو طقس قريب الشّبه في بعض عناصره من طقس رفع بخور باكر سبت النّور كما نمارسه حتى اليوم، وإليك ما يذكره ابن كبر في هذا الشّأن.

فبعد أن يتحدّث ابن كبر في الفصل الثّامن عشر من كتابه المذكور

---

١٠ - أي: "مراحمك يارب ..." وهي ذُكصولوجيّة الصّوم المقدّس الكبير.

عن الصَّوم المقدَّس الكبير[١١]، يبدأ في شرح طقوس صلواته فيقول[١٢]:

"والذي يجب اعتماده فيه أن يجتمع الشَّعب سَحَراً إلى الكنيسة كلّ يوم، ويُقرأ أولاً خمسة مزامير قبطياً من سفر داود النَّبي قدّام باب الهيكل مكشوفاً رأس قارئها[١٣].

ثمّ يقدِّمون الصَّلاة بالأحبية[١٤]، ويُقال الشبهمات، ويُرفع البُخور، ويُعتمد ما تقدَّم ذكرُه في باب الصَّلاة[١٥]، وتُزاد على ثيؤطوكيَّة[١٦] أيام الواطس هاتان[١٧] الإبصاليَّتان[١٨]:

١١- وهو ما سبق ذكره في الفصلين الثّاني والثّالث من البَاب الثّاني من الكتـــاب الذي بين يديك.

١٢- مع إضافة الهمزة والشَّدَّة.

١٣- هذه الفقرة تشرح طقساً غير معروف لدينا اليوم. ولكن الملفت للنَّظر هنا أنّ ابن كبر لا يتحدَّث عن تسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر في الصَّوم الكبير قبل حديثه عن رفع بخور باكر. فهل هذه الفقرة تفيدنا بشيء عن ذلك الأمر؟!.

١٤- وهي صلاة مزامير باكر النَّهار، قبل بدء رفع البُخور. ويذكر ابن كبر نفسه في البَاب السَّادس عشر من كتابه "مصباح الظُّلمة" أنّ قوماً يرون أن تُقال مـــزامير باكر قبل بدء رفع البُخور، وقوماً يرون أن تكون من داخل رفع البُخور.

١٥- وهو البَاب السَّادس عشر من كتابه "مصباح الطُّلمة وإيضاح الخدمة". وقد أوردتُ - مع الشَّرح - ما يذكره ابن كبر في هذا البَاب عن طقس رفع بخور باكر وعشيَّة، وذلك في الطبعة الثّانية من كتاب "صلوات رفع البُخور في باكر وعشية"، فأرجو لمن يرغب المزيد، الرُّجوع إليه منعاً للتَّكرار.

١٦- حرفيا: ثاوضوكية

١٧- حرفيا: هذه.

١٨- يشرح ابن كبر في البَاب السَّادس عشر طقس رفع بخور باكر علـــى مـــدار السَّنة اللِّيتورجيَّة، فيقول ما ملخَّصه، أنَّه بعد الذكصولوجيَّات تُقال تسبحة الملائكة. ثم ذُكصولوجيَّة العذراء "السَّلام لك نسألك أيتها القدِّيسة الممتلئة مجداً العذراء كـــل حين ... الخ". وبعدها إبصاليَّة اليوم وثيوطوكيَّته.

ويقول ابن كبر: إن كانت الإبصاليَّة والثيوطوكيَّة قد قيلت في تسبحة نصف اللَّيل فلا تُكرَّر مرَّة أخرى في رفع بخور باكر. ولكن بعض الكنائس كانت تقول الثّمانيـــة أرباع الأخيرة من الإبصاليَّة، ولا تقول الثيوطوكيَّة. ثم تكتفي بأرباع يسيره من ختام

Пиаіршні ναναθος

Мекнаіш Паѡ̄ тнаѳос ѧннноу

Ннютіа неш пі҃ѧ҃ѧ҃ѧ҃ يُقال[١٩] وفي أيام الأربعاء والجمعة والأحاد وتقرأ النُبوّات المختصّة بذلك النّهار قبطياً وعربياً. وعند فراغها يقول الكاهن Пресвоунгнт ويقول الشمّاس هذه الإبروسات[٢٠]:

Ѧzanton - апоѧіпон - ѧнроп ѧгаѳѡп

Кѧіноніен νоноу

الثيوطوكيّات الآدام "مراحمك يا إلهي ...".

مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٦

وهنا في رفع بخور باكر الصّوم الكبير، يقول ابن كبر أنّه تُقال إبعاسيّتين على الثيوطوكيّة الواطس تختصان بمناسبة الصّوم، الأولى هي "يا محب البشر الصّالح ..."، والثانية هي: "مراحمك يارب آسبّحها ..."

١٩- هذه الدكصولوجيّة التي يذكر ابن كبر أنها تُقال في الأربعاء والجمعة والآحاد وهي ذُكصولوجيّة "الصّوم والصّلاة ..."، تثبت لنا أنّه لم يكن هناك فرق واضح يقسم صلوات الصّوم المقدّس الكبير إلى سبوت وآحاد من جهة، وإلى أيام من جهة أخرى.

٢٠- ويلاحظ القارئ العزيز أنها إبروسات باليونانيّة، مكتوبة بحروف قبطيّة.

وهي على أربعة مجموعات، كل مجموعة ثلاث طلبات، وبعد كل مجموعة ثلاث ركعات، وذلك عند نداء الشمّاس Кѧіноніен νоноу أي: "نحني الرُكَب" فيكون عدد السّجدات هو اثنتي عشرة سجدة.

المجموعة الأولى من أجل: الأحياء، المسافرين، الهواء الصّالح.

المجموعة الثّانية من أجل: صعود مياه الأنهار، خلاص النّاس، خلاص العالم.

المجموعة الثّالثة من أجل: الملوك محبّي المسيح، المسيحيّين، المتنيّحين.

المجموعة الرّابعة من أجل: الصّحائد والقرابين، المتصايفين، الموعوظين.

ويلاحظ القارئ العزيز أن الطّقس الحالي لهذه الحزنيّة يشمل خمس مجموعات، وليس أربع فقط. حيث يضيف طلبات من أجل: المرضى، الأمطار الصّالحة ومزروعات الأرض، وفي النّهاية طلبة "صلوا جميعاً يارب ارحم".

انظر: كتاب خدمة الشمّاس والألحان، مرجع سابق، ص ١٥

Семистрот - сωτηρία νεφρον - сωτηρία τοτ κοсμοτ[21]

Καινομεν γονοτ

Φιλοχριστον - Χαλαντον - Κοτυλεδοντον

Καινομεν γονοτ

Θτсια ηιωαν - ελαιοτμεν - κατιχοτμενοτ

Καινομεν γονοτ

ويتلو ذلك صلاة الإنجيل، ويكمل الصّلاة على العادة. وكان بعض أهل مصر يجلسون وقت قراءة النُبوّات، فأشار البطريرك أنبا يوانس باستمرار الوقوف فيهم بحكم أنهم في وسط الصّلاة".

(ب) طقس رفع بخور باكر أيام الصّوم الكبير بحسب المخطوطات[22]

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)"[23]:

في صلاة باكر يقولون Χερε νε ϊω †παρθενος[24] وبعدها Τενβϊсι ηιμο ..βεν[25] وما يتلوها. وبعدها Νεκναϊω Παϊс[26]. ثمّ يرفع الكاهن الصّليب ويقول οτμεεθηπι[27] Φ† ναιναν فيجاوبونه كيرياليصون.

٢١- هذه الكلمة ساقطة من المخطوط.

٢٢- عن طقس تسبحة نصف الليل والسَحَر، انظر الفصل الرّابع، وهو عن "طقوس صلوات السُبوت والآحاد".

٢٣- مع تصحيح الأخطاء اللُغويّة والنّحويّة فقط.

٢٤- أي: "السّلام لك يا مريم ..."، وهي بداية الذكصولوجيّات.

٢٥- أي: "ارحمك يا ربي ..."، وهي ذكصولوجيّة الصّوم المقدّس الكبير.

٢٦- أي: "نعظمك ... بالحقيقة ..."، وهي قانون الإيمان ومقدّمته.

٢٧- أي: "اللّهم ارحمنا ...".

وبعدها يطفئون شمع المذبح، ويجرُّون الستر ويجلسون ينصتون إلى ما يُقرأ عليهم من نبوَّات الأنبياء. ثمَّ يبتدئ القارئ يقرأ النُّبوَّات قبطياً وعربياً. وبعد ذلك يُفتح باب الهيكل وتوقد الشُّموع. ويقول الكاهن Πρεσβυτερος [٢٨] والشمامس يجاوبه بالإبروسات، والشَّعب يجاوبونه كالعادة بالخشوع والخضوع والسُّجود.

ثمَّ بعد ذلك يقول الكاهن أوشيَّة الإنجيل. ويُطرح المزمور، ويُقرأ الإنجيل قبطياً وعربياً، وبعده الموعظة. ثمَّ يرد الإنجيل هنا وما يتلوها[٢٩]:

سلام الله ...	Ⲙⲡⲉⲓⲣⲏⲛⲏ ⲛⲧⲉ Ⲫ̅ⲛ̅ⲟ̅

ويُكمَّل كالعادة. ويقولون هذا القانون عند تقبيل الإنجيل والصَّليب، وهو قانون يوم الاثنين بطول الصَّوم:

بالصَّلاة والصوم، استحق النَّبي، موسى المفسِّر، أن يأخذ النَّاموس من الرَّب السيِّد.	Ⲥⲓⲧⲉⲛ ⲡⲣⲱⲙⲏ ⲛⲉⲓⲱ ⲧⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲁⲫⲉⲣⲡⲉⲛⲡⲟⲩⲁ ⲙ̀ⲡⲉ ⲙ̀ⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ⲡⲓⲙⲱⲩⲥⲏⲥ ⲡⲓⲡⲉⲣⲟⲫⲁⲛⲧⲏⲥ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲙ̀ⲙⲏⲛⲟⲛⲟⲥ ⲥⲓⲧⲉⲛ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲡⲓⲇⲉⲥⲡⲟⲧⲏⲥ.
بالصَّلاة والصوم، رُفع إيليا النَّبي إلى	Ⲥⲓⲧⲉⲛ ⲡⲣⲱⲙⲏ ⲛⲉⲓⲱ ⲧⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲁⲧⲟⲗⲥ ⲉ̀ⲡⲱⲙ ⲉⲟⲩⲣⲁⲛⲟⲥ ⲉ ⲙ̀ⲡⲉ

٢٨- أي: "أيها الطَّويل الأناة ..."

٢٩- يورد مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م مرداً آخر للإنجيل هو:
Ⲁⲣⲓⲉⲧⲉⲛ ⲟⲩⲟⲩ ⲉⲩⲉⲓ ⲛⲱⲧⲉⲛ ⲉⲩⲕⲱⲧ ⲟⲩⲟⲩ ⲉⲣⲉⲧⲉⲛⲉⲩⲕⲓⲛⲉⲓ ⲛⲁⲩ ⲟⲩⲟⲩ ⲧⲛⲁⲃⲱⲗ ⲙ̀ⲡⲉ ⲥⲉⲛⲁⲟⲩⲱⲙ ⲙⲙⲟⲓ.
أي: "اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا، وأنا أؤمن أنه سيُفتح لي".

السَّماء، مثل أخنوخ البار.	ⲛⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ Ⲏⲗⲓⲁⲥ ⲛ̀ⲁⲓⲣⲱⲧ Ⲉⲛⲱⲭ ⲛ̀ⲇⲓⲕⲉⲟⲥ.
بالصَّلاة والصَّوم، دانيال بأعماله تبع طرقه، فأنقذه من جُب الأسود.	Ⲉⲓⲧⲉⲛ ⲡ̀ⲯⲩⲭⲏ ⲛⲉⲙ ⲧⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲛ̀ Ⲇⲁⲛⲓⲏⲗ ⲉⲓⲧⲉⲛ ⲛⲉϥⲉⲃⲏⲟⲩⲓ ⲛ̀ⲧⲁϥⲱⲟⲩⲓ ⲛ̀ⲥⲁ ⲛⲉϥⲙⲉⲧⲙⲟⲩⲓ ⲙ̀ⲙⲟϥ ⲛ̀ ⲁϥⲛⲁⲃⲱⲕ ⲉⲃⲟⲗⲃⲉⲛ ⲫⲗⲁⲕⲕⲟⲥ ⲛ̀ⲛⲓⲙⲟⲩⲓ.
بالصَّلاة والصَّوم، أُنقذ أهل نينوى، من خطاياهم وأدناسهم، وغفر الله لهم سريعاً.	Ⲉⲓⲧⲉⲛ ⲡ̀ⲯⲩⲭⲏ ⲛⲉⲙ ⲧⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲙ̀ⲡⲣⲉⲙ Ⲛⲓⲛⲉⲩⲏ ⲁⲧⲛⲟⲃⲉⲙ ⲙ̀ⲙⲁⲛ ⲛⲟⲩⲛⲟⲃⲓ ⲛⲉⲙ ⲛⲟⲩⲃⲱⲇⲉⲙ ⲁ̀ⲛⲥⲱ ⲙⲙⲟⲧ ⲛ̀ⲥⲁⲉ Ⲫⲏ̀ ⲛ̀ⲭⲱⲗⲉⲙ.
صارخين قائلين ...	Ⲉⲛⲱⲩ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲛⲉⲭⲱ ⲙ̀ⲙⲟⲥ..

ثمّ تختم الصَّلاة بالبركة وينصرفون بسلام.

(إلى هنا نص المخطوط).

(ج) شرح طقس صلوات رفع بخور باكر أيام الصَّوم الكبير

يبتدئ "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" بشرح طقس صلوات رفع البُخور في أيام الصَّوم الكبير بدءاً من الذكصولوجيَّات، ممَّا يعني أنَّ ما يسبق الذكصولوجيَّات من صلوات، هو الطَّقس المعتاد في أي رفع بخور باكر على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة. وهذا هو ما يذكره "مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م"، حيث يقول: "بطول الصَّوم صلاة نصف اللَّيل كالعادة المعروفة، وكذلك صلاة باكر كالعادة إلى أن يدور الكاهن بالبُخور، فيقال Ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲱ ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ... ".

ومن ثمّ فإنّ مرد "كيرياليسون" بلحنه المعروف، والذي يعقب صلاة الشُكر في بداية رفع بخور باكر هو مردٌ يُقال على مدار السَّنة اللّيتورجيَّة، وليس مرداً يختص بصلوات باكر أيام الصَّوم المقدَّس الكبير فحسب. وقد سبق أن ذكرتُ غير مرَّة أنّ هذا المرد هو الأقدم والأسبق قبل أن تُعرف أرباع النَّاقوس. وحتى بعد أن دخلت أرباع النَّاقوس كواحدة من الممارسات الطَّقسيَّة في إحدى الجهات، والتي شاعت في كل الكنيسة بدءاً من القرن الخامس عشر، وحلّت تدريجياً محل مرد "كيرياليسون"، ظلّ هذا المرد يحتفظ بمكانه الطَّقسي القديم سابقاً على أرباع النَّاقوس، وذلك حين تبدأ هذه الأرباع بكلمة "كيرياليسون". فليس من قبيل الدِّقة إذاً أن ندعو هذا المرد باسم "كيرياليسون الصَّيامي".

ولأنّ هذا المرد – كما في مردّات القدّاس الإلهي أيضاً كما سنرى فيما بعد – لا يوافقه استخدام النَّاقوس، فقد حدا هذا ببعض لأن يقولوا بعدم جواز استخدام النَّاقوس في أيام الصَّوم الكبير[٣٠]. وهو ما لم تذكره أيٌّ من الكُتُب الطَّقسيَّة الأُمَّهات. فالنَّاقوس ليس آلة طرب في الكنيسة، بل آلة لضبط الإيقاع ليس إلاّ. أمّا القول بعدم استخدام النَّاقوس في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير – دون سبوته وآحاده – فهو بسبب عدم استيعاب الفرق بين طقس القدّاس في أيام الصَّوم الكبير، وطقسه في سبوته وآحاده، وهو ما سيرد ذكره بالتَّتابع فيما بعد. فضلاً عن أنّ القدّاس الإلهي في أي وقت يُقام فيه، هو صلاة شُكر وتهليل وفرح بحضور المسيح في كنيسته بين شعبه. فهل نلغي مثلاً استخدام النَّاقوس في ألحان تسبحة نصف اللّيل والسَّحَر في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير؟. ولا ينبغي أن نغفل أنّنا نستخدم النَّاقوس في ألحان يوم الجمعة العظيمة نفسه،

٣٠- انظر: رابطة مرتّلي الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، منتهى النُّفوس في ترتيب القُدّاس، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٨٠

بل وفي السّاعة السّادسة ذاتها، أي ساعة صلب المخلّص، وهي السّاعة التي تتركّز فيها معظم ألحان هذا اليوم المقدّس العظيم.

كما نلاحظ أيضاً أنّ مخطوطات ترتيب البيعة حين تشير إلى أنّ الكاهن يرفع الصّليب ليقول طلبة "اللّهم ارحمنا. قرّر لنا رحمة ..."، لا تذكر أنّ الكاهن يضع شمعة أو ثلاث شمعات على الصّليب. فقد كان رفع الصّليب بدون شموع عليه هو الطّقس الأقدم. وقد سبق أن شرحتُ ذلك تفصيلاً في كتاب "صلوات رفع البخور في عشيّة وباكر".

الأصول الأولى لقراءة فصول من النّبوّات، وطقس قراءتها

مع انتهاء طلبة "اللّهم ارحمنا ..." ومع بداية قراءة النّبوّات، تُطفأ شمعتا المذبح ويُقفل باب الهيكل، أو يُحر سترُه. وهو ما يذكره أيضاً خولاجي سنة ١٩٠٢م، حيث يقول: "يُطفأ شمع المذبح". ولا ذكر لغير ذلك في كتبنا الطّقسيّة، فشمعدان المنحليّة لا يُطفأ، ولا يُطفأ كذلك نور الكنيسة كما يفعل البعض. وإطفاء شمعتا المذبح هو تعبير رمزي أو طقسي عن أنّ النّبوّات التي تُقرأ علينا الآن كانت تشير إلى السيّد المسيح الذي لم يكن قد جاء إلينا على الأرض بعد. لذلك حين تُطفأ شمعتا المذبح ويُسدل ستر الهيكل، يظل أمامنا منظر خيمة الاجتماع، أو هيكل أورشليم، بالحجاب الفاصل الذي كان يفصل قُدس الأقداس عن الشّعب، قبل أن يأتي المسيح له المجد ليشق هذا الحجاب الحاجز بموته المحيي على الصّليب، إذ نقض حجاب العداوة الذي كان قائماً بين السّماء والأرض. هذه السّماء التي هي هيكل كنيسة العهد الجديد بمذبحها المقدّس النّاطق السّماني، كقولنا كلّ يوم: "إذا ما وقفنا في هيكلك المقدّس نُحسب أنّنا قائمون في السّماء".

فشموع الكنيسة المضاءة هي رمزٌ لحضور المسيح الذي هو نور

العالم. وعندما نجلس لنستمع إلى النُبوءات في هذا الجو الطقسي، أمام هيكل مغلق، ونوره المطفأ، يظل فمُنا يلهج بالشُكر والتسبيح على أننا قد حُسبنا أبناء العهد الجديد، الذين صارت لهم كل المواعيد العظمى والثمينة بمجئ المسيح إلينا، وسكناه في وسطنا، بل فينا، وهو ما اشتهى الأنبياء والأبرار أن يروه أو يسمعوه، فلم يروا و لم يسمعوا.

وتذكر مخطوطات ترتيب البيعة السابق ذكرها في بداية هذا الفصل، أنهم "يجلسون ينصتون إلى ما يُقرأ عليهم من نبوءات الأنبياء". وهو ما ينقله إلينا أيضاً خولاجي سنة ١٩٠٢م. أمّا القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، فيطلعنا على ما حدث في أيام البابا يؤانس (ربّما الثامن) (١٣٠٠- ١٣٢٠م)، حيث يقول ابن كبر: "وكان بعض أهل مصر يجلسون وقت قراءة النُبوءات، فأشار البطريرك أنبا يؤانس باستمرار الوقوف فيهم (أي في أثنائها) بحُكم أنهم (أي النُبوات) وسط الصَلاة"[٣١].

ويشير "مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م" إلى طقس قراءة النُبوءات في يوم الاثنين الأوّل من الصَوم الكبير فيقول: "... ويبتدئون بقراءة النُبوءات قبطياً وعربياً. والنُبوات (القبطيّة) في هذا اليوم لمقدّمي الكهنة، وتفسيرها (عربياً) لمقدّمي الشمامسة".

إنّ قراءة فصول من النُبوءات في صلوات رفع بخور باكر أيام الصَوم المقدّس الكبير - وأيضاً قراءة فصول منها في أسبوع الفصح (أسبوع البَصخة) - هو طقس قديم، لدينا وثائق قديمة بخصوصه، ويمكننا بواسطتها أن نتعرّف على شكل وأسلوب وتوزيع القراءات الكتابيّة خلال هذا الزّمن الطقسي في الكنيسة المسيحيّة. فمن مذكّرات السائحة

٣١- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨

الأسبانيّة إيجيريا تعرف شكل الخدمات اللّيتورجيّة التي كان يُحتفل بها في كنيسة أورشليم في غضون القرن الرّابع الميلادي، ولاسيّما في أيام الأربعاء والجمعة على مدى الصّوم المقدّس الكبير. كما أعطتنا إيجيريا وصفاً كافياً لخدمة يوم الجمعة العظيمة Good Friday Synaxis وهي خدمة صلاة طويلة، تتناوب فيها فصول القراءات مع الصّلوات. كما أنه لدينا أيضاً وثائق عن الفترة المقدّسة من السّنة اللّيتورجيّة تعود إلى ما بين القرنين الخامس والسّابع للميلاد. أمّا أقدم هذه الوثائق فهو "كتاب القراءات الأرمني" Armenian Lectionary والذي نشره العالم كونيبير M.F.C. Conybeare في مؤلّف له بعنوان: "الطّقس الأرمني" Rituale Armenorum . وهناك وثائق أخرى باللغة الأهميّة تختص بقانون أو بنظام كنيسة جورجيا A Georgian Kanonarion وهي الوثيقة التي نشرها العالم C. Kékélidzé والتي تشرح لنا نظام القراءات في هذه الكنيسة حتى إلى ما بعد القرن السّابع الميلادي. وهناك أيضاً وثيقة عبارة عن "كتاب قراءات كنسيّة" Lectionary وهي واحدة ضمن مجموعة وثائق مدوّنة باللّهجة السّريانيّة الفلسطينيّة Syro-Palestinian dialect . إلاّ أنّ كثيراً من هذه الوثائق السّابق ذكرها، ظلّت محفوظة في شكل قصاصات أو شذرات متناثرة، إلى أن قامت مسز لويس Ms. Lewis بتجميعها ونشرها في لندن سنة ١٨٩٧م، في الجزء السّادس من مؤلّفها، وهو بعنوان: "دراسات سيناتيّة" Studia Sinaitica [٣٢].

وهذه الوثائق القديمة تضع أمامنا صورة حيّة لنظام اختيار فصول القراءات Pericopes والتي كانت تُستخدم في فترة الصّوم الكبير واحتفالات الفصح أيضاً.

32- Cf. also, F.C. Burkitt, *The Old Lectionary of Jerusalem, in Journal of Theological Studies*, XXIV (1923), p. 415-424.

ويتّضح لنا من هذه الوثائق أيضاً أنّ هناك فصولاً كتابيّة تُقرأ في صلاة رفع بخور باكر في الكنيسة القبطيّة Coptic Matines في فترة الصّوم الكبير، وكذا في أسبوع الفصح (أسبوع البَصخة). وإن دراسة الطّقس المقارن تمكّننا من إعادة صياغة فصول هذه القراءات المختارة Pericopes كما يمكننا أن نعرف عدد هذه القراءات كل يوم، والأسفار التي أُخذت عنها، والمحور الذي تخدمه، أو تدور حوله.

وفي الكنيسة البيزنطيّة هناك قراءة واحدة لفصل كتابي في خدمة الصّباح من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة على مدى أسابيع الصّوم الكبير، وفصلان كتابيان في صلاة الغروب في ليتورجيّة القدسات السّابق تقديسها. وهذه الثلاث قراءات مأخوذة من أسفار العهد القديم[٣٣].

ويذكر القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) أنّ سفر التّكوين كان يُقرأ كلّه في فترة الصّوم الكبير[٣٤]. وهو نفس النّظام الذي كانت تتبعه كنيسة ميلان في زمن القدّيس أمبروسيوس (٣٣٩-٣٩٧م)[٣٥].

ويمارس الطّقس البيزنطي قراءة سفر التّكوين مع سفر الأمثال في صلاة الغروب في فترة الصّوم الكبير، وهو نفس النّظام الذي كان يتبعه القدّيس أمبروسيوس في القرن الرّابع الميلادي. فهناك قراءتان، واحدة من سفر التّكوين، والأخرى من سفر الأمثال، على مدى مرّتين في اليوم، مرّة في الصّباح Matins وأخرى في القدّاس Mass[٣٦]. وهو نفس الطّقس الذي

33- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 120.

34- PG 49, CC. 92f.

35- De mysteriis I, (PL 16, CC 405f).

٣٦- ونعرف أيضاً من الوثائق المبكّرة لطقس كنيسة ميلان في زمن القدّيس أمبروسيوس، أنه لا وجود لقراءات من الأناجيل المقدّسة في فترة الصّوم المقدّس الكبير في القدّاسات.

مازال يمارَس في الطَّقس الكلداني بالإضافة إلى قراءات من سفر يشوع، وجزء من رسالة بولس الرَّسول إلى أهل رومية.

ومِمَّا سبق ذكره، نلاحظ أنَّ القراءات الكتابيَّة في الصَّوم المقدَّس الكبير قد أُخذت من الأسفار الأولى للتَّوراة Pentateuch ومن الأسفار الأولى لأسفار الأنبياء طبقاً للتَّقسيم اليهودي، وأوَّل رسائل العهد الجديد. وهذه الحقيقة تؤكِّد لنا أنَّ بداية الصَّوم المقدَّس الكبير، قد اعتُبرت أنها هي بداية السَّنة اللِّيتورجيَّة كلِّها، ومنبعها، حيث تبدأ من عندها الدَّورة اللِّيتورجيَّة للقراءات الكنسيَّة[٣٧].

إنَّ هناك تداخلات كبيرة في نظام القراءات الكتابيَّة قد حدثت بين الكنائس وبعضها البعض، حتى صارت هناك تقاليد مختلفة من هذه الوجهة. فقراءة سفر أيوب في فترة الصَّوم المقدَّس الكبير، يؤكِّد الأدب المسيحي القديم، أنها صارت عادة تختص بكنيسة مصر دون غيرها من الكنائس. ومن جهة أخرى نجد أنَّ فصولاً للقراءة من سفر إشعياء في الكنيسة القبطيَّة هي استيراد من التَّقليد البيزنطي، حيث وُجدت هذه القراءات في السَّاعتين الثَّالثة والسَّادسة Τριθέκτη وفصول أخرى من سفري التَّكوين والأمثال، وهي تختص أيضاً بصلاة الغروب في الطَّقس البيزنطي في الصَّوم الكبير.

ونجد أيضاً أنه في أيام الأربعاء توجد قراءتان، واحدة من سفر الخروج، والأخرى من الأنبياء الصِّغار. وفي أيام الجمع قراءتان أيضاً، واحدة من سفر التَّثنية، والأخرى من سفر إشعياء. وكل هذه الفصول الكتابيَّة كانت هي الفصول التي تُقرأ في هذين اليَومين — الأربعاء والجمعة — على مدى الصَّوم المقدَّس الكبير في المدينة المقدَّسة

37- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 124.

أورشليم، كما تؤكّد لنا المصادر الفلسطينيّة القديمة.

وعلى ذلك يمكننا القول بكل يقين إنّ نظام القراءات الكنسيّة في الكنيسة القبطيّة في فترة الصّوم المقدّس الكبير هو امتداد حي لطقس عرفته كنيسة أورشليم في عصورها المبكّرة، ولكنه بات تاريخاً فيها[٣٨].

طلبة "أيها الطّويل الأناة" بعد انتهاء قراءة النُّبوّات

بانتهاء النُّبوّات، يُفتح باب الهيكل، وتوقد شمعتا المذبح، حيث تبدأ طلبة Прекоторнеит أي: "أيها الطّويل الأناة ..." التي يصلّيها الكاهن عند باب الهيكل وهو يحمل الشُّورية[٣٩].

وهذه الطّلبة التي نحن بصددها الآن، هي طلبة سحيقة في القدم، تحتفظ بها الكنيسة القبطيّة دون غيرها من الكنائس الشّرقيّة الأخرى، حيث تُمارس بكامل طقسها عند الأقباط في رفع بخور باكر أيام الصّوم المقدّس الكبير فقط، أمّا في باقي أيام السّنة، فأصبحت تُقال سراً أثناء قراءة فصل إنجيل القدّاس، ومن ثمّ تحوّل اسمها إلى "سرّ الإنجيل"[٤٠].

38- *Ibid.*, p. 126.

٣٩- ذكرتُ هنا عبارة "وهو يحمل الشُّورية" إقتداء بما يمارسه الكاهن فعلياً وحتى اليوم عند ممارسته لهذه الطّلبة على مدار السّنة الليتورجيّة، أثناء قراءة فصل الإنجيل المقدّس، وهي الطّلبة التي تُسمّى حالياً: "سرّ الإنجيل".

٤٠- هذه الطّلبة المعروفة باسم "أيها الطّويل الأناة ..."، تُقال في أيام الصّوم المقدّس الكبير قبل قراءة فصل الإنجيل المقدّس في صلوات رفع بخور باكر، وهي نفسها تحوّلت إلى صلاة سريّة تُقال أثناء قراءة فصل إنجيل القدّاس، برغم أنها لازالت مدوّنة حتى اليوم في خولاجي سنة ١٩٠٢م، حاوية فيها مردّات الشّمّاس — باستثناء المرد الأوّل: صلوا من أجل الأحياء — وهي المردّات التي يعقبها حتماً مرد الشّعب: "كيرياليسون". ممّا يعني أنها كانت طلبة تُقال جهراً قبل قراءة فصل الإنجيل المقدّس على مدار السّنة الليتورجيّة، ولكن بدون ركوع على الرّكبتين باستثناء زمن الصّوم

وهذه الطّلبة نظيرٌ مشابه في طقس روما أيضاً، حيث تأتي الطّلبة هكذا Flectamus genua أي: "نحني الرُّكَب"، ثمّ Levate أي: "نقف"، وذلك في الصّلاة التّوسليّة Litany الكُبرى التي تُقال يوم الجمعة العظيمة. ويفيدنا هنا الطّقس المقارَن في معرفة قِدَم هذه الطّلبة في الكنيسة الشّرقيّة، عندما نعرف أنّ هذه الصّلاة التّوسليّة Litany في طقس روما تعود إلى زمن القدّيس كبريانوس الشّهيد (+ ٢٥٨م) أسقف قرطاجنّة، وأنّ هذه الطّلبة قد انتقلت من الشّرق إلى الغرب، أي أنها كانت معروفة في الشّرق المسيحي قبل منتصف القرن الثّالث الميلادي على الأقل[٤١].

وهي طلبة مصحوبة بالرُّكوع على الأرض، طبقاً لنداء الشمّاس باليونانيّة Κλίνομεν τὰ γόνατα (كلينومين تاغوناطا)[٤٢]، أي: "نحني الرُّكب". وهو نداء مكوّن من مقطعين: Κλίνω (كلينو) أي: "ينحني أو يميل أو ينحدر". أمّا الكلمة γόνατα (غوناطا) فهي صيغة الجمع من الكلمة γόνυ (غوني) أي "رُكبة". ويمكن أن تكون هذه الكلمة في صيغة الجمع γοῦνα (غونا) أي: رُكَب، من الكلمة γοῦνος (غونوس) أي: رُكبة. ولقد جاء هذا التّعبير في معظم مخطوطات ترتيب البيعة، كما عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أيضاً Κλίνομεν γόνοτ (كلينومين غونو).

والرُّكوع هنا ليس هو السُّجود الكامل إلى الأرض حتى ملامسة الجبهة للأرض، وذلك من منطوق الطّلبة نفسها: "نحني رُكبنا"، أو "نحني الرُّكَب". فالرُّكوع على الرُّكبتين هو من أجل التّوسُّل والطّلبة، وهو ما لا يتّفق مع السُّجود الكامل إلى الأرض الذي يعني في المصطلح

المقدّس الكبير.

41- Cf. A. Baumstark, *op. cit.*, p. 79.

٤٢- في نُطق هذه الكلمة اليونانيّة التي تتكرّر كثيراً في الصّوم الكبير، يكون التّشديد على حرف الغين، وليس حرف النّون، في كلمة "غوناطا".

اللّيتورجي تسليم المشيئة الكاملة لله، في حضور خاشع بين يديه.

وهذه الصّلاة التي يقولها الكاهن - بحسب خولاجي سنة ١٩٠٢م - تحوي ١٣ طلبة، ومن ثمّ ١٣ مرداً للشمّاس على هذه الطّلبات. ولكن كتاب خدمة الشمّاس والألحان قسّم مردّات الشمّاس على هذه الصّلاة إلى خمس مجموعات، كلّ مجموعة تحوي ثلاث طلبات، أي أنّه أضاف طلبتين، وهما الأولى والأخيرة من هذه الطّلبات، فيقول في الأولى: "صلّوا من أجل الأحياء"، وأمّا الطّلبة الثّانية أو الأخيرة فهي: "صلّوا جميعاً يارب ارحم".

وهنا يلزم الإشارة إلى أنّ هذه الطّلبات عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) هي اثنتي عشرة طلبة فقط، مقسّمة إلى أربع مجموعات، وحاوية فيها الطّلبة من أجل الأحياء. وهو ما سأذكره فيما بعد.

وهذه المجموعات الخمس الحاليّة هي:

المجموعة الأولى: من أجل الأحياء، والمرضى، والمسافرين.

المجموعة الثّانية: من أجل الهواء وثمار الأرض، وصعود مياه الأنهار، والأمطار الصّالحة ومزروعات الأرض.

المجموعة الثّالثة: من أجل نجاة النّاس والدّواب، وخلاص العالم، ومن أجل الملوك محبّي المسيح.

المجموعة الرّابعة: من أجل المسبّين، والمتنيّحين، والصّعائد والقرايين.

المجموعة الخامسة: من أجل المتضايقين، والموعوظين، وأخيراً من أجل أن يرحمنا الرّب جميعاً.

ويعقب[٤٣] كل مجموعة من هذه المجموعات الخمس، ثلاث مرّات

---

٤٣ - أقول هنا: "ويعقب"، وذلك طبقاً لمخطوطات ترتيب البيعة، وطبقاً لما يذكره ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أيضاً. ولقد أربك كتاب خدمة الشمّاس والألحان هذه

ركوع على الرُكبتين.

فيقول الشمّاس: Kainomen ta sonata (كلينومين تاغوناطا)، أي: "نحني رُكبنا".

فيركع كل واحد من الشَعب على ركبتيه، وهو يقول[٤٤]: Nai nan Φ† ϕiωt nmantopatwp (ناي نان إفتوني إفيوت بي بانطوكراتور)، أي: "ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل".

يقول الشمّاس: Dnactwmen (أناستومين)، أي: "نقف".

فيقف الشَعب.

فيقول الشمّاس كما في الأوّل: "نحني الرُكَب".

فيركع الشَعب وهو يقول: Nai nan Φ† nencwthp (ناي نان إفتوني بنسوتير)، أي: "ارحمنا يا الله مخلّصنا".

يقول الشمّاس: Kai Dnactwmen (كي أناستومين)، أي: "نقف أيضاً".

فيقف الشَعب.

الجزئيّة من الطّقس حين أورد مرد الشمّاس "نحني رُكبنا" سابقاً على هذه المجموعات، فضلاً عن أنّه لم يذكر أنّ هذا المرد هو خاص بالشمّاس وليس الكاهن.
انظر: كتاب خدمة الشمّاس والألحان، مرجع سابق، ص ١٥

٤٤- لا يذكر ابن كبر – طبقاً لمخطوط باريس – هذه المردّات التي يقولها الشَعب، ولا عدد مرّات الرُكوع.
انظر: مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨
ولكن هذه المردّات التي يقولها الشَعب وردت في مخطوط أوبسالا الذي يعود إلى سنة ١٥٤٦م. أمّا نداء أو قول الشمّاس Dnactwmen أي "نقف" فلم يرد في مخطوط أوبسالا في هذه الجزئيّة من الطّقس، ولكنّه ورد فيه في طقس أسبوع البصخة المقدّسة. وهذا ربّما يريك التّطوّر الطقسي الذي لحق هذه الجزئيّة من الطّقس.

فيقول الشمّاس كما في الأوّل: "نحني الرُّكَب".

فيركع الشّعب وهو يقول: Ναι ναν ⲡⲉⲛ ⲟⲩⲟⲉ ναι ναν (ناي نان إفنوتي أووه ناي نان)، أي: "ارحمنا يا الله ثمّ ارحمنا"(٤٥).

فبانتهاء قراءة النُّبوّات، يُفتح باب الهيكل وتوقد الشُّموع، ويقول الكاهن: أيها الطّويل الأناة، الكثير الرّحمة، الحقيقي، اقبل سؤالاتنا وطلباتنا منّا. اقبل ابتهالنا منّا وتوبتنا واعترافنا على مذبحك المقدّس غير الدّنس السّماني. فلنستحق سماع أناجيلك المقدّسة، ونحفظ وصاياك وأوامرك، ونثمر فيها بمائة وستّين وثلاثين، بالمسيح يسوع ربّنا(٤٦).

يقول الشمّاس: صلّوا من أجل الأحياء(٤٧).

يقول الشّعب: يارب ارحم(٤٨).

يقول الكاهن: اذكر يارب مرضى شعبك، افتقدهم بالمراحم

الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٥٤، ٢٦٢

٤٥ - وهذه الثلاث ميطانيات التي تعقب كل مجموعة كانت تُكرَّر ثلاث مرّات بحسب طقس الكاتدرائيّة المرقسيّة القديمة بالأزبكيّة. ولكنّها بحسب مخطوط مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة، المحفوظ في جامعة أوبسالا Upsala بالسّويد برقم (Vet. 12 والذي يعود إلى سنة ١٥٤٦م هي ثلاث سجدات (ركعات) فقط بعد كل مجموعة.

انظر: الرّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مجموعة ٣٤ مرجع سابق، ص ٢٥٤

٤٦ - هذا النّص يؤكد بجلاء أن هذه الطّلبة تسبق قراءة فصل الإنجيل المقدّس.

٤٧ - هذا المرد لم يرد في خولاجي سنة ١٩٠٢م، ولكنّني ذكرته هنا، لأنّ ابن كبر أشار إليه في الباب الثامن عشر من كتابه "مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة". كما ذكره أيضاً كتاب خدمة الشمّاس والأحاد.

انظر: مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨

٤٨ - أو "كيرياليسون"، وليس صحيحاً ما يقوله البعض في هذا المرد "آمين كيرياليسون"، إذ لم تذكر ذلك أيٌّ من كُتُب الطّقس، سواء المخطوطة أو المطبوعة. ويذكر مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م عن هذا المرد ما نصّه: "يجاوبونه في كل واحدة كيرياليسون". (الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١٣).

والرأفات أشفهم.

يقول الشمَّاس: صلُّوا من أجل المرضى.

يقول الشَّعب: يارب ارحم.

يقول الكاهن: اذكر يارب آباءنا وإخوتنا المسافرين. ردَّهم إلى أوطانهم بسلامة وعافية.

يقول الشمَّاس: صلُّوا من أجل المسافرين.

يقول الشَّعب: يارب ارحم.

وهكذا في باقي المجموعات الأخرى السَّابق ذكرها. وممَّا سبق ذكره يتَّضح لنا أنه في كل مجموعة يردِّد الشَّعب طلبة "يارب ارحم" ثلاث مرَّات وهو راكع على الرُّكَب.

وهذا الطَّقس نجد له نظيراً في الكنيسة السُّريانيَّة الأنطاكيَّة، حيث تُقام كل يوم من أيام الصَّوم الكبير أربعون سجدة (ميطانية) في ختام صلاة المساء الفرضيَّة، ولكن بعد أن أصبح القدَّاس في نهاية كل يوم من أيام الصَّوم، فقد أصبحت صلاة الفرض مع السَّجدات الأربعين تتم مباشرة قبل القدَّاس. وأثناء الرُّكوع والسُّجود[٤٩] تُرتَّل الابتهالات الآتية بالتَّناوب بين الجوقتين، خمس لكل جوق، على أربع دفعات. وهذه الابتهالات هي: "كيرياليسون"، "يا ربَّنا ارحمنا"، "يا ربَّنا تعطَّف علينا وارحمنا"، "يا ربَّنا استجبنا وارحمنا".

وبعد هذه الطِّلبة تُقال أوشيَّة الإنجيل، وبعد قراءة الإنجيل تُقال الموعظة[٥٠]، ويُكمَّل رفع البُخور كالعادة.

٤٩- يُستعاض عن هذه السَّجدات الآن بانحناء عميق بسبب وجود المقاعد في الكنائس. حياتنا اللتورجيَّة، العدد ١٥ سنة ١٩٩١م، السَّنة الثانية، ص ٢٨٦، ٢٨٧

٥٠- وهو نفس ما يذكره خولاجي سنة ١٩٠٢م، ص ١٠٦

الفَصل الثّاني

طقوس صَلوات قدّاسات الأيام
في الصَّوم المقدَّس الكبير

ما يذكره ابن كبر عن قدّاسات الأيام في الصّوم الكبير

"تُصلّى صلاة السّواعي على العادة، ويقدّم القُدّاس آخر السّاعة التّاسعة، ليكون فراغه آخر السّاعة الحادية عشرة. والإفطار قُرَيب غروب الشّمس كما تقدّم القول آنفاً".

ما تذكره مخطوطات ترتيب البيعة عن قدّاسات أيام الصّوم الكبير

توضّح لنا مخطوطات ترتيب البيعة طقسان لصلوات القدّاس في أيام الصّوم المقدّس الكبير، الأوّل هو طقس قدّاس الأيام في حالة عدم حضور الأب البطريرك أو الأسقف، والثّاني هو طقس قدّاس الأيام في حالة حضوره.

(أ) طقس قدّاسات الأيام في حالة عدم حضور رئيس الكهنة

أمّا عن الحالة الأولى، أي طقس قدّاس أيام الصّوم في حالة عدم وجود الأب البطريرك أو الأسقف.

فيقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

يعودون إلى البيعة وقت التّاسعة[1] من النّهار، ويعملون صلاة الغروب والنّوم. ثمّ بعد ذلك يبتدئون بخدمة القدّاس. ويُقال الليلويا

اذكر يارب داود وكل | Ⲁⲣⲓⲫⲓⲙⲉⲓ Ⲛⲟⲉ ⲛⲇⲁⲩⲓⲇ ⲙⲉⲙ

١- تتّفق كل المخطوطات على ذلك باستثناء مخطوط السّريان لسنة ١٦٩٨م، الذي يقول: "يحضرون إلى البيعة السّاعة العاشرة".

دعته، مثلما أقسم للرَّب ونذر لإله يعقوب، إني أدخل إلى مسكن بيتي، أمام الملائكة أرتِّل لك، وأسجد أمام هيكلك. هلليلويا.

тецнетрепаттц тнрс : нефнт ётаqфорк нПос : отос аqтомбе нqфт нlакωв : ецацценні ёбоүн ёфна ннωоүі нте пані : нпеіюо ннаггелос тнаерфалін ёрок : отос тнаотωцт наврен пекерфеі ёот . Δλ .[2]

أو يُقال:

اللليلويا، أمَّا أنا فبكثرة رحمتك، أدخل إلى بيتك، وأسجد أمام هيكلك المقدَّس. اللليلويا[3].

Δλ Δноқ де қата нαqαі нте пекмаі еіеі ёбоүн ёпекні : отос еіеотωцт наврен пекерфеі ёот Δλ.

وعند انتهاء قراءة الشبهموت، لا تُقال Сωσнс (سوتيس) بلحنها السَّنوي، لكن بالمختصر المعروف بالصَّوم، ويتلوها المزمور[4]

أساساته في الجبال المقدَّسة، أحب الرَّب أبواب صهيون، أكثر من جميع مساكن يعقوب، تكلَّموا من

Мецсент δен нітωоү ёот ѧ Пос меі ннішλн нте сіωн ёботе ннаңωоні тнроү нте lакωв : атсаді ёвнт

٢- وهو نفس ما يذكره مخطوط البرامسوس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م. أمَّا مخطوط السُّريان لسنة ١٦٩٨م، فيورد مردا يختلف عن المذكور في الجملتين الأخيرتين.

٣- وهو نفس الرد الذي يذكره مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م.

٤- هنا خطأ شائع سأشرحه بعد قليل.

ⲛⲥⲁⲛⲍⲏⲟⲧⲉ ⲉⲧⲧⲁⲓⲟⲩⲧ ϯⲃⲁⲕⲓ ⲛⲧⲉ ⲫⲛ̅ⲧ̅ⲁ̅ⲁ̅.	أجلك بأمور مكرَّمة، يـا مدينة الله. هلليلويا.

وفي ضمن ذلك يقول الكاهن أوشيَّة التَّقدمة. ويعطـي الذَّبيحـة بالإبروسفارين. ثمّ يقول الشمَّاس الخـادم: Καινωμεν τα τονατα ثلاث مرَّات، وكل مرَّة يرد عليه الشَّعب ويسجدون. ثمّ ينـزل الكاهن من على المذبح ويقف أمامه، ويقرأ التَّحليل على الخدَّام وهم سـكوت. وبعد ذلك يصعد الكاهن إلى الهيكل ويرفع البخور كالعادة لأجل البولس وهم يرتِّلون Τενογωωϯ ثمّ يُقرأ البولس والفصول كالعادة، إلى آخر تفسير الإنجيل يُرد بما يوافقه أو ⲧⲉⲩⲭⲁⲣⲓⲥ̀ⲧⲓⲁ .. ⲇⲓⲉⲣⲙⲏⲛⲉⲩⲉ .. إلى آخرها. ثمّ يُخدم القدَّاس، إلى الآخر تُقال ⲁⲛ̅ ⲫⲛⲟⲩⲧ ⲉⲫⲣⲏ بلحن الصَّوم المعروفة به. وبعده ⲭⲉ ⲡⲓⲉⲩⲁⲅⲅⲉⲗⲓⲟⲛ بطريقة الصَّوم. ويتلـوه ⲡⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ ويتلوها ⲛⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲟ̅ⲥ إلى أن ينتهي التَّوزيع، تُقـال ⲡⲓⲁⲛⲁⲅⲛⲱⲥⲙⲁ ⲧⲟⲥ وتُقال الليلويا بلحن التَّجنيز، ويسرح الشَّعب. ويختم بقراءة البركة. هذا ترتيب أيام الصَّوم من أوَّله إلى آخره، خارجاً عن السُّبوت والحدود وعيد الصَّليب وعيد الأربعين شهيداً رزقنا الله بركة صـلواتهم معنا، آمين.

(إلى هنا نص مخطوط ترتيب البيعة).

(ب) طقس قدَّاسات الأيام في حالة حضور رئيس الكهنة

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

وإن كان رئيس الكهنة، الأب البطريرك أو الأسقف، يحضر القدَّاس في يوم من أيام الصَّوم بطول الجمعة، تُقال الليلويا ⲭⲉ ⲫⲁⲓⲉⲧⲓ (حسـى إفسيتي). وبعد فروغ صلاة الشُّكر لا تُقال ⲛⲉⲩⲭⲉⲛⲧ (نيفسنتي) بـل ⲥⲱⲧⲉⲓⲥ (سوتيس) سـوي إن كان ما يخدم. وإن كان يخدم القدَّاس، تُقال

بعد Cwore كالعادة Nicabey (نيسافيف). وعند قراءة الإنجيل Hapordaeq (ماروتشاسف). ويُرد الإنجيل بلحن الأحد. ووقت التّوزيع تُقال الليلويا ⲉⲫⲧ Cuor سنوي. وبعدها ما يلائم بلحن الأحد. ولا تُقال Cwmatoc (سوماتوس)، لكن كالعادة السّنويّة Anor ebol (أنتشي إيفول). ويعطى الشّعب التّسريح، وتُقرأ البَرَكة، وهكذا ترتيب أيام صوم الأربعين المقدّسة إلى آخر يوم الجمعة.

(إلى هنا نص مخطوط ترتيب البيعة).

وهكذا – وطبقاً لمخطوط ترتيب البيعة السّابق ذكره – ففي حالة حضور الأب البطريرك أو الأسقف لصلاة القدّاس، يتحوّل طقس القدّاس الإلهي في أيام الصّوم الكبير من طقس الصّوم إلى الطّقس السّنوي، باستثناء فصول القراءات الكتابيّة، ولحن الصّوم الكبير "ميغالو"، ومرد إنجيل القدّاس الذي يُرد بلحن الأحد. أمّا في التّوزيع فبعد المزمور المائة والخمسين الذي يُقال باللّحن السّنوي، يُقال ما يلائم بلحن الأحد. أي أنه يمكن أن يُقال في التّوزيع تلك القطع التي تُقال في توزيع قدّاس يوم الأحد أثناء التّناول، والتي بدايتها: "سرٌّ عظيم يفوق عقول البشر، هو سعي مخلّصنا الذي أتى وصار ابن بشر"، بلحن الأحد، أي بلحن الصّوم الكبير المعروف في السّبوت والآحاد.

وهنا يتّضح لنا مرّة أخرى أنه كان يُصلّى بلحن السّبوت والآحاد في قدّاسات أيام الصّوم الكبير، لاسيّما في مرد الإنجيل والتّوزيع الذي يعقب المزمور الخمسين، وذلك عندما كانت هذه القدّاسات تستمرّ باللّحن السّنوي. أمّا اليوم فبعد أن بطُلَ هذا الطّقس السّنوي للقدّاس في حالة حضور الأب البطريرك أو الأسقف، حيث يصير تكميل القدّاس حالياً بطقس الصّوم، فإنه يتّضح لنا مما سبق ذكره أنّ استخدام لحن "الحزن أو التّحنيز" في قدّاسات الأيام كان الدّافع الأساسي وراءه هو

السُرعة في تكميل الصَلوات، وليس لحناً مختصاً بأيام الصَوم الكبير دون سبوته وآحاده، برغم أنّ الفارق الزّمني بين ترديد المردّات بلحن السُبوت والآحاد، وهو اللّحن الأصيل للصَوم الكبير، وبين ترديدها باللّحن الذي تدعوه المخطوطات "الحزين أو الجنائزي" هو في الحقيقة فارق زمني ضئيل، لم يكن مبرراً على الإطلاق للخروج عن اللّحن الوحيد للصَوم المقدّس الكبير سواء في سبوته وآحاده أو في أيّامه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إن كان حضور الأب البطريرك أو الأسقف في الكنيسة في قدّاسات الأيام لم يعد يغيّر طقسها اليوم إلى الطّقس السّنوي، فإنه ليس من مانع إذاً أن يُرتّل المزمور المائة والخمسون في قدّاسات الأيام بلحن الصَوم الكبير الذي يُقال في السُبوت والآحاد، على أن يُستهل أيضاً بلحن اللِيلويا الصّيامي، والذي يمكن أن يُقال سواء في قدّاسات الأيام أو قدّاسات الآحاد على حد سواء.

شرح طقس القدّاس في أيام الصَوم الكبير

صلوات السّواعي قبل بدء القدّاس

تتّفق كل مخطوطات ترتيب البيعة على أنّ القدّاس في أيام الصَوم المقدّس الكبير يبدأ السّاعة التّاسعة من النّهار (الثّالثة بعد الظّهر)، حيث ينتهي مع غروب اليوم، أي الخامسة بعد الظُهر. وهو ما يشرحه لنا ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في الباب الثّامن عشر من كتابه: "مصباح الظُلمة وإيضاح الخدمة"، بقوله: "... تُصلّى صلاة السّواعي كالعادة، ويقدّم القدّاس آخر السّاعة التّاسعة ليكون فراغه آخر السّاعة الحادية عشرة، والإفطار قرب غروب الشّمس ... ".

كما تتّفق كل مخطوطات ترتيب البيعة على أنه يسبق خدمة القدّاس

صلاة ساعتي الغروب والنّوم من الأجبية، وليس سواعي الثّالثة والسّادسة والتّاسعة والغروب والنّوم، كما نمارس اليوم[٥].

مرد دورة الحَمَل في قدّاسات أيام الصّوم الكبير

بعد دورة الحَمَل تورد مخطوطات ترتيب البيعة مردّات مختلفة، ممّا يعني أنّ مرد دورة الحَمَل في أيام الصّوم المقدّس الكبير كان يختلف بين جهة وأخرى من جهات مصر الواسعة. ولكنّها – أي هذه المردّات – هي بالتّحديد ثلاثة مردّات: الأوّل والثّاني منها ذكرهما "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)"، كما ذكرته باقي المخطوطات أيضاً، وهما المردان السّابق ذكرهما. أمّا المرد الثّالث فيورده فقط "مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م"[٦]، بعد أن يورد أولاً المردّين الأوّل والثّاني السّابق ذكرهما، فيقول ما نصّه:

"وعندما يدورون بالحمل يقولون ⲁⲡⲓⲫⲱⲛⲓ ⲛⲟⲩ ⲛⲁⲓⲁ أو يقال عوضها ⲁⲛⲟⲕ ⲇⲉ ⲕⲁⲧⲁ ⲡⲁⲣⲁⲓ وإن كانوا ما يحسنون قراءة هؤلاء، يقولون الليلويا ⲉⲓⲉⲓ ⲉⲃⲟⲩⲛ ⲫⲁ ⲡⲓⲡⲁⲗⲉⲛⲉⲣⲭⲱⲛ"[٧].

ويذكر البابا غبريال الخامس (١٤٠٩– ١٤٢٧م) مردّين فقط من هذه الثّلاثة مردّات السّابق ذكرها، فيقول: "وأمّا أيام الصّوم الأربعين المقدّسة وثلاثة أيام يونان فيقولون الليلويا ⲉⲓⲉⲓ ⲉⲃⲟⲩⲛ والليلويا ⲁⲡⲓⲫⲱⲛⲓ"[٨].

٥– لشرح هذه الجزئيّة انظر للمؤلّف: كتاب "القدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله".

٦– سبق أن أشرتُ إلى أهمّيّة هذا المخطوط الذي يشرح لنا طقس صلوات كنيسة العذراء المعلّقة بمصر القديمة، وكذا كنائس مصر القديمة في القرون الوسطى وما قبلها.

٧– الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٢٢

٨– الأنبا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، حقّقه ونشره الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، ضمن مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدّراسات المسيحيّة الشّرقيّة، سلسلة

أمّا المرد "الليلويا Ⲁⲗⲗⲏⲗⲟⲩⲓⲁ"، فهو الذي شاع في عموم الكنائس اليوم. ونصّه بالعربيّة هو: "الليلويا، أدخل إلى مذبح الله أمام الله الذي يبهج شبابي. أعترف لك يا إلهي بالقيثارة. اذكر يارب داود وكل دعته. الليلويا". في حين توقّف تماماً استخدام المردّان الآخران، وليتنا نحيي استخدامهما من جديد.

ويذكر "مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م" ما يلي: "وإذا كان الأب البطريرك يحضر القدّاس في يوم من أيام الصّوم بطول الجمعة (أي بطول الأسبوع) يُقال Ⲁⲛⲁ ⲡⲉ ⲫⲁⲓⲉⲣⲓ". وهو المرد الذي يُقال في كل الأصوام على مدار السّنة اللّيتورجيّة ما عدا السّبوت والآحاد[٩]، ونصّه هو: "الليلويا، إن فكر الإنسان يعترف لك يارب، وبقيّة الفكر تعيّد لك. الذّبائح والتّقدمات اقبلها إليك. الليلويا". وهو نفسه المرد الذي يُقال في سبوت وآحاد الصّوم المقدّس الكبير[١٠].

الموقع الطّقسي الصّحيح لمرد "سوتيس" (خلصت):

تذكر كل مخطوطات ترتيب البيعة السّابق الإشارة إليها أنه بعد انتهاء الكاهن من صلاة الشّكر، تُقال Ⲥⲱⲥⲟⲛ (سوتيس) أي: "خلصت" بالمختصر، ثمّ يعقبها آيات من المزمور: "أساساته في الجبال المقدّسة ...".

وهو في الحقيقة خطأ طقسي شائع، تناقله النُّسّاخ من بعضهم البعض، ليس في المخطوطات فحسب، بل وفي الكُتُب الطّقسيّة المطبوعة

دراسات شرقيّة مسيحيّة، القاهرة ١٩٦٤م ص ٦٣

٩- لاحظ هنا تعبير "السّبوت والآحاد"، وهو تعبير قديم كما سبق أن شرحتُ في الفصول السّابقة من هذا الكتاب.

١٠- مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م. وأيضاً: البابا غريغوريال الخامس، التّرتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ٦٣

أيضاً. ذلك لأنّ مرد Слѡнс (سوتيس) يُقال دائماً كجواب على صلاة التّحليل، أي تالياً لصلاة التّحليل وليس سابقاً عليها، لأنّ النّص الكامل لهذا المرد هو: "خلصتَ حقاً، ومع روحك أيضاً"[١١]، وهذا النّص اللّيتورجي موجّه من الشّعب إلى الكاهن عقب صلاة تحليل الخدّام، أو من الشمّاس إلى الكاهن عقب تحليل الآب قرب نهاية القدّاس.

وهذا هو السّبب الأساسي الذي لأجله وُضع لحن Слѡнс (سوتيس) في أي قدّاس إلهي بعد الانتهاء من صلاة الشّكر، وذلك حتى يتوفّر للكاهن الوقت اللاّزم لتكميل أوشيّة التّقدمة وتغطية القرابين بالإبروسفارين، ثمّ النّزول من الهيكل. وبعد تحليل الخدّام يردّد الشّعب هذا المرد بكلماته المذكورة من قبل.

وعلى ذلك فإنّه في قدّاسات أيام الصّوم المقدّس الكبير، وبعد انتهاء الكاهن من صلاة الشّكر، يردّد الشّعب آيات المزمور: "أساساته في الجبال المقدّسة ..." أولاً، وبعدها ثلاث ركعات مع نداء الشمّاس: "كلينومين طاغوناطا" كما مرّ ذكره في رفع بخور باكر، ثمّ مرد "كيرياليسون" بلحنه المعروف به في الصّوم المقدّس الكبير، وذلك لحين بدء صلاة التّحليل. وبعد التّحليل يُقال المرد Слѡнс (سوتيس).

وإذا كان الأب البطريرك حاضراً القدّاس في يوم من أيام الصّوم، وغير قائم بالخدمة، فلا تُقال †Μερεντ "أساساته في الجبال المقدّسة ..."، بل يقال Слѡнс (سوتيس) بلحنها السّنوي المعتاد[١٢]. أمّا إن كان يخدم

١١- لشرح معنى هذا المرد انظر للمؤلّف: كتاب "القدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله".

١٢- في حالة حضور الأب البطريرك القدّاس في أيام الصّوم، يُصلّى بالّلحن السّنوي بدلاً من لحن الصّوم، فلا تقال آيات المزمور "أساساته في الجبال المقدّسة"، ولا توجد ميطانيات بعدها. ويكون مرد الإنجيل بلحن الآحاد، ووقت التّوزيع يُقال

القدَّاس فبعد مرد Cwonc (سوتيس)، يُقال لحن Mcabet thpnt (ني سافيف تيرو ...)، أي: "يا كلّ حُكماء إسرائيل ...". والسَّبب في ذلك هو أنّ هذا اللّحن الأخير يُقال في هذا الوقت بالذّات، أثناء ارتداء البابا البطريرك الحُلّة الكهنوتيَّة لخدمة القدَّاس[١٣].

لحن العذراء "المجمرة الذّهب"

وبعد مرد Cwonc (سوتيس) يُقال لحن Neo te tgwotpn (إنتو تي تيشوري)، أمّا كلماته فهي: "أنت هي المجمرة الذّهب، الحاملة جمر النّار المبارك". ولعل القارئ العزيز يندهش حين يعلم أنّ هذا المرد لم يرد ذكره في أيٍّ من مخطوطات ترتيب البيعة السّابق ذكرها، حين تحدَّثت عن ترتيب القدَّاس في الصَّوم المقدَّس الكبير، والسَّبب في ذلك هو أنّ هذا اللّحن كان يُقال على مدار السَّنة اللّيتورجيَّة في أي قدَّاس. ولم يكن لحناً مختصاً بأيام الصَّوم المقدَّس الكبير فحسب. ومن ثمّ فإنّ المخطوطات لم تشر إليه، لأنها تذكر ما يُقال في الصَّوم الكبير خلافاً للأيام السَّنويَّة العاديَّة. وهذا اللّحن المذكور يُقال بالتّناوب مع لحن Tamotpn (تاي شوري)[١٤]. ويطلعنا البابا غبريال الخامس (١٤٠٩- ١٤٢٧م) على ذلك الأمر بكل وضوح في شرحه للقدَّاس الإلهي على مدار السَّنة اللّيتورجيَّة فيقول: "وبعد Cwonc amhn (سوتيس آمين) يرتّلون إمّا لحن Neo te tgwotpn (إنتو تي تيشوري) أو يقولون Tamotpn (تاي شوري)

المزمور المائة والخمسون باللّحن السَّنوي، وختام الصَّلوات أيضاً يكون سنوياً.
انظر: مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م. (الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١٩).

١٣- يلبس الكهنة ملابس الخدمة قبل تقديم الحَمَل، أمّا الأساقف أو البطاركة فيرتدي ملابس الخدمة بعد صلاة الشُّكر، وقبل صلاة التّحليل. ولشرح أوفر لهذه الجزئيَّة، انظر للمؤلّف: كتاب "القدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله".

١٤- أي: "هذه المجمرة". أمّا كلمات اللّحن فهي: "هذه المجمرة الذّهب النّقي، الحاملة العنبر، التي في يدي هرون الكاهن، يرفع بخوراً على المذبح".

للعذراء إن كان ثمّ مهل. وبعدها ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ (تين أوأوشت)"[١٥].

وهو نفس ما يذكره "مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م"، حيث يقول عن طقس آحاد الصّوم الكبير: "وقت بخور البولس يقولون ⲁⲛⲱⲟⲩⲧⲣⲏ ⲙ̀ (تاي شوري) إن اختاروا، وبعدها ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ (تين أوأوشت)"[١٦].

وهنا يلاحظ القارئ العزيز أنّ الكنيسة في هذا الوقت من القدّاس تُرتّل لحناً يختص بالعذراء باعتبارها المجمرة الذّهبيّة النّقيّة التي حملت في أحشائها جمر اللاّهوت، الذي هو ربُّنا يسوع المسيح. أي تخصيص هذا المعنى بالذّات دون غيره من معاني التّجسُّد الأخرى. لأنّ ما تُردّده في هذه اللّحظة خارج الهيكل، هو نفس ما يمارسه الكاهن عملياً داخل الهيكل، حينما يطوف بالمجمرة حول المذبح في دورة البُخور.

انظر أي إبداع ليتورجي حينما يصبح اللّحن بكلماته ونغماته تجسيدٌ وشرحٌ لمضمون إيمان الكنيسة ولاهوتها المرتّم. وانظر أيضاً مدى التّلاحم الذي يربط دائماً بين ما يمارسه الكاهن في لحظة ما، وما يردّده الشّعب من مردّات وألحان في تلك اللّحظة عينها. وهو ما تراه على مدى الليتورجيّة كلّها. وهنا لا فرق بين قدّاس الأيام وقدّاس الآحاد في هذه الجزئيّة من الطّقس، لأنّ كلمات اللّحن في أي منهما تحمل نفس المضمون الإيماني، ولكن بكلمات ولحن مختلفين، يصلح النّاقوس في ضبط إيقاع أيهما، أو لا يستخدم لكليهما، لا بهم.

أمّا الملاحظة الأخرى والتي تؤكّد مجدّداً نقاط الالتقاء بين قدّاسات

---

١٥ - الأنبا غريال الخامس، التّرتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ٧١
١٦ - الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر، مرجع سابق، ص ٢٩

الأيام وقدّاسات الآحاد في الصّوم المقدّس الكبير، فهي "الهيتنيّات". فحتى زمن قريب جداً لم تكن هناك هيتنيّات تعقب لحن العنصراء، بل يكون الختام مباشرة: "نسجد لك أيها المسيح ... الخ"، وذلك سواء في الأيام أو الآحاد[١٧].

مرد الإبركسيس

أمّا مرد الإبركسيس، فهو أيضاً ما لم يشر إليه أي مخطوط من المخطوطات السّابق ذكرها، سواء في قدّاسات الأيام أو قدّاسات الآحاد، ذلك لأنّ مرد الإبركسيس الذي يُقال حالياً في أيام الصّوم المقدّس الكبير، وهو لحن ⲓⲱⲁⲣⲉ ⲫⲏ (شارى إفنوتي)، هو مرد الإبركسيس على مدار السّنة اللّيتورجيّة كلّها سواء في الأيام أو الآحاد أو الأصوام أو غيرها.

ويورد البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧م) مرد الإبركسيس السّنوي الذي يُقال على مدار السّنة اللّيتورجيّة، فيقول في ذلك ما نصّه: "وعند انتهاء تفسير القتاليقون يرتلون ⲓⲱⲁⲣⲉ ⲫⲏ ⲱⲁⲓ ⲛⲙⲁⲩ وبعدها ⲕⲩⲣⲓⲉ ⲉⲗⲉⲏⲥⲟⲛ وإلا يقولوا كسماروت لا غير"[١٨]. وهو نفس ما يذكره خولاجي سنة ١٩٠٢م عن هذا المرد، نقلاً عن كتاب "التّرتيب الطّقسي" للبابا غبريال الخامس[١٩].

١٧- لشرح هذه الجزئيّة، يمكن الرّجوع إلى كتاب: "القدّاس الالهي سرّ ملكوت الله" للمؤلف.

١٨- الأنبا غبريال الخامس، التّرتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ٧٢

١٩- هنا يضيف القمّص عبد المسيح المسعودي بخصوص مردّات الإبركسيس قائلاً: "... أو يقولون هذا: حينئذ بالحقيقة لا أغلط في شيء إذا ما دعوتك المحمرة الذّهب. أو يقولون أي ربع آخر من مردّات الإبركسيس كما يوافق اليوم. ومردّات الإبركسيس موجودة في القسم السّادس من كتاب الإبروسات الذي صحّحناه عن بعض كُتُب، وصار طبعه في مصر بمطبعة الوطن سنة ١٦١٦ش/ ١٩٠٠م. ثمّ أخذنا

ويؤكّد ذلك أيضاً "مخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م" الذي يقول عن مرد الإبركسيس السنوي المعتاد: "وعند قراءة الكاثوليكون يرتّلون ⲱⲁⲣⲉ ⲫⲣⲏ"[٢٠].

وهذا المرد هو الرُّبع الثّامن من القطعة السّادسة من ثيوطوكيّة الأحد ونصُّه هو: "يرفع الله هناك خطايا الشّعب من قِبَل المحرَقات والبخور". فهذا هو مرد الإبركسيس على مدار السّنة اللّيتورجيّة، وفي قدّاسات أيام الصّوم، كما في قدّاسات آحاده على حد سواء. وفي ذلك الأمر أيضاً لا تختلف قدّاسات الأيام عن قدّاسات الآحاد في الصّوم المقدّس الكبير، بحسب الطّقس القبطي الأصيل.

وهنا نلاحظ أنّ مرد الإبركسيس بحسب التّقليد القديم لا يخرج في معانيه عن البُخور والمجمرة الذّهب، أي عن المسيح الذي رُفع عنّا بخوراً طيّباً إلى الآب من قِبَل تجسُّده من العذراء القدّيسة مريم التي هي المجمرة الحاملة جمر النّار، والبُخور الصّاعد منها. ذلك لأنّ مرد الإبركسيس يُترجم ما يمارسه الكاهن في هذه اللّحظة عينها وهو يرفع البُخور على المذبح قائلاً: "اقبل منّا نحن أيضاً يا سيّدنا محرَقة هذا البُخور، وأرسل لنا عوضه رحمتك ذات الغنى ...". وثيوطوكيّة الأحد مليئة بأرباع مبدعة تدور حول هذا المعنى، وهو ما كان يعنيه ابن كبر بقوله إنّ مرد الإبركسيس هو أحد أرباع ثيوطوكيّة الأحد.

عنه كل الإبروسات ومردّات الشّعب التي تجدها في هذا الخولاجي، إذ كنّا قد صحّحناها قبلاً في ذاك الكتاب كما ذكرنا. أو أيضاً لا يقولون شيئاً من الأرباع المشار إليها ما عدا Κύριε ἐλέησον (كيرياليسون) الذي يقال قبل الإبركسيس دائماً إن قبل قبله رُبع آخر أو لم يُقل، فيقولونه ... وهو هذا: "مباركٌ أنت".

٢٠- الأنبا صموئيل، الجزء الأوّل، مرجع سابق، ص ٢٢

إن كماً ضخماً من مردَّات الإبركسيس قد أُضيف لكل مناسبة من المناسبات الكنسيَّة المختلفة، ولكن مع الأسف لم تلتزم في نصوصها اللّيتورجيَّة بالتَّقليد القديم السَّابق الإشارة إليه، وكان من بينها مرد الإبركسيس السَّنوي "السَّلام لك يا مريم الحمامة الحسنة، التي ولدت لنا الله الكلمة". ويشير كتاب "خدمة الشمَّاس والألحان" إلى أنَّ القُمُّص عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) هو الذي أضاف مردَّات الإبركسيس في الطَّبعة الثَّالثة للكتاب المذكور والتي تمَّت سنة ١٦١٦ للشُّهداء/ ١٩٠٠ ميلاديَّة [٢١].

وهكذا تحتفظ لنا قدَّاسات أيام الصَّوم المقدَّس الكبير – في هذه الجزئيَّة من القدَّاس الإلهي – بالطَّقس القديم الذي كانت تجري عليه قدَّاسات الكنيسة على مدار السَّنة اللّيتورجيَّة، أي حفظت لنا هذا الرِّباط الرُّوحي الجميل الذي يربط بين ما يقوله الشَّعب عن البُخور والعذراء وسر التَّجسُّد، وبين ما يمارسه الكاهن وهو يحمل المجمرة، ويطوف بها الهيكل والكنيسة. ويظل ختام مرد الإبركسيس مطابقاً غاية التَّطابق لما يمارسه الكاهن أمام عيوننا في الكنيسة، إذ أنَّ نزول الكاهن من الهيكل إلى صحن الكنيسة، في اللَّحظة التي نقول فيها: "مباركٌ أنت بالحقيقة ... لأنك أتيت وخلَّصتنا"، هو تعبير يشرح نزول المسيح من السَّماء إلينا على الأرض.

وهو نفس ما نردِّده عند نزول الكاهن من الهيكل في سرّ بخور البولس، إذ يردِّد الشَّعب: "نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصَّالح، والرُّوح القُدُس، لأنَّك أتيت وخلَّصتنا". وهذا هو مفهوم الكنيسة حين يتلاحم دور الإكليروس فيها مع دور الشَّعب، مشاركين معاً في صلاة

٢١- كتاب خدمة الشمَّاس والألحان، ملتزم طبعه ونشره جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة المركزية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م، ص ٦

واحدة ملتحمة لتقديس القرابين، ولكن كل واحد في رتبته كما أعطى الله لكل واحد موهبة يخدم بها الآخرين. فلا كنيسة بدون شعب، ولا شعب بدون كاهن.

مرد الإنجيل

أمّا عن مرد إنجيل القدّاس، فهو كما تذكر المخطوطات السّابق الإشارة إليها، وهو: "سلام الله الذي يفوق كل عقل، يحفظ قلوبكم في المسيح يسوع ربّنا. أخطأتُ أخطأتُ ياربي يسوع اغفر لي، لأنه ليس عبد بلا خطيئة، ولا سيّد بلا غفران". أو بما يوافق.

ولقد جرت عادة معظم الكنائس الآن على اقتباس أرباع أسبسموس ميغالو التي تُقال في الآحاد، لتُقال في قدّاسات الأيام قبل الثّلاثة تقديسات. وهي تُقال حتماً بالنّاقوس بطبيعة الحال لضبط الإيقاع. وهنا أيضاً لا نجد فرقاً بين قدّاسات الأيام وقدّاسات الآحاد في الصّوم المقدّس الكبير. وفي حين لم تذكر أيٌّ من المخطوطات السّابق ذكرها هذا الأمر، إلاّ أنّه شاع حالياً شيوعاً كاملاً في كنائسنا.

التّوزيع

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)": تُقال ⲁⲛ ⲭⲉ ⲡⲓⲥⲁⲣⲝⲟⲥ ⲛⲟⲩⲧ بلحن الصّوم المعروفة به. وبعده ⲭⲉ ⲡⲓⲥⲁⲣⲝⲟⲥ بطريقة الصّوم. ويتلوه ⲡⲓⲁⲛⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ ⲙⲉⲛ ⲛⲁⲓ ⲙⲡⲁⲟⲩ ويتلوها ⲡⲓⲁⲛⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ إلى أن ينتهي التّوزيع، تُقال ⲥⲙⲁ ⲧⲟⲥ وتُقال الليلويا بلحن التّحنيزا، ويسرّح الشّعب. ويختم بقراءة البركة[٢٢].

٢٢- وهو نفس ما يذكره مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م.

وهنا يتَّضح لنا بحدَّةٍ أنَّ "اللِّي الصَّوم الكبير" الذي يُقال في التَّوزيع حالياً في قدَّاسات السُّبوت والآحاد فقط، وليس في قدَّاسات الأيام أيضاً، هو ما تنفيه كل مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا، فهل من عودة إلى الأصول؟. وهنا يتَّضح لنا من جديد أنَّه لا فرق بين قدَّاسات الأيام في الصَّوم الكبير وقدَّاسات السُّبوت والآحاد فيه. وإن كنَّا قد اخترنا اللَّحن المختصر للصَّوم الكبير لنصلِّي به في الأيام، فما هو الدَّاعي لاختصار نغمة المزمور المائة والخمسين مع لحن اللِّيلويا الذي يسبقه في أثناء التَّناول من الأسرار المقدَّسة؟. إنَّ "اللِّي الصَّوم الكبير" بما يعقبه من أرباع المزمور المائة والخمسين له لحنٌ واحدٌ فقط على مدار الصَّوم المقدَّس الكبير سواء في سبوته وآحاده أو في أيامه. هذا هو ما تذكره مخطوطات ترتيب البيعة التي ظلَّت تدوَّن من جيل إلى جيل حتى أوائل القرن العشرين.

وتذكر مخطوطات ترتيب البيعة أنَّه بعد المزمور المائة والخمسين يُقال Пиаіроиш ثمَّ يعقبها Мекнаі ѳе Наѳс ، أو العكس[٢٣]. وكلٌّ واحدة منهما هي في أصولها الأولى إبصاليَّة كما يذكر ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، وقد كان من عدم الحذق اللِّيتورجي أن تحوَّلت كلٌّ منهما إلى ذُكصولوجيَّة، في حين تمَّ تأليف إبصاليَّات حديثة للصَّوم الكبير تحمل سمات الذُّكصولوجيَّة وليس الإبصاليَّة، وسوف أعود إلى هذه الجزئيَّة مرَّة أخرى.

أمَّا بخصوص ترديد Пиаіроиш (بي مايرومي) في أثناء توزيع الأسرار المقدَّسة في قدَّاسات الأيام بعد Хе ѳіпаіроотт التي تُقال هي أيضاً بطريقة الصَّوم، فلي تعقيب على ذلك.

فهذه هي الذُّكصولوجيَّة الرَّابعة للصَّوم الكبير كما تذكر أبصلموديَّة

٢٣- انظر: "مخطوط ترتيب البيعة رقم (٧٣ طقس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م". (الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١٣).

أقلاديوس بك لبيب لسنة ١٩٠٨م، بدون أن تشير إلى أنّها تُقال في التّوزيع. وحسناً فعلت، ونص الذّكصولوجيّة يشرح ما أعنيه، إذ تقول كلمات هذه الذّكصولوجيّة – التي كانت أصلاً إبصاليّة للصّوم الكبير:

- يا محب البشر الصّالح، سيّدي يسوع. أسألك لا تطرحني على يسارك مع الجداء الخطاة.
- لا تقل لي أيضاً إني لا أعرفك. اذهب عني أيها المعد للنّار الأبديّة.
- لأني أعلم بالحقيقة، إني خاطئ، وأعمالي الرّديئة كلّها ظاهرة أمامك.
- أقول بصوت العشّار صارخاً قائلاً: اللّهم اغفر لي أنا الخاطئ.
- أخطأتُ أخطأتُ يارب يسوع اغفر لي، لأنه ليس عبد بلا خطيئة، ولا سيّد بلا غفران.
- أعطني يارب توبة، لكي أتوب قبل أن يسد الموت فمي في أبواب الجحيم.
- وأعطني أيضاً جواباً عن كل ما فعلته يا يسوع، القاضي العادل هو يديني.
- رءوفٌ هو مخلّصي، يترأف علي شعبه، كصالح ومحب البشر. ارحمنا كعظيم رحمتك.

فهذه المعاني السّابق ذكرها تصلح لتُقال في أي وقت في الصّوم الكبير، ولكن في غير وقت التّناول من الأسرار المقدّسة، لأنّ كلماتها لا توافق أبداً هذه اللّحظات المقدّسة.

وحين ذكر ابن كبر (+ ١٣٢٤م) هذه الإبصاليّة – التي جعلوها حالياً ذُكصولوجيّة – لم يشر أبداً إلى أنها تُقال في التّوزيع. وخيرُ ما يؤكّد ذلك هو أنّ عنوانها في كثير من الأبصلموديّات: "ذُكصولوجيّة للصّوم الكبير وتُقال على الأموات أيضاً". وهو ما يذكره مثلاً كتاب خدمة الشمّاس والألحان نقلاً عن بعض الأبصلموديّات.

وفي مخطوطات الأبصلموديّات السّنويّة في مكتبة دير القدّيس أنبا مقار، وجدتُ أنّ هذه الذّكصولوجيّة تُقال في الصّوم الكبير، بدون

الإشارة إلى أنها تُقال في التّوزيع. في حين تنص هذه المخطوطات على قطع تأتي بعد الذّكصولوجيّات، تحمل عنوان: "قطع تُقال في توزيع السّبوت والآحاد في الصّوم المقدّس الكبير". وهي القطع المعروفة باسم Отпуст Антидорон وهي قطع ذات معاني بديعة تناسب تمامًا لحظات التّناول من الأسرار المقدّسة، حيث نقول فيها: "... الآن تناولنا من جسدك ودمك الحقيقي، تجديدًا لقلوبنا، وغفرانًا لخطايانا ...".

إذ كيف يمكن أن نقول بعد تناولنا من الأسرار المقدّسة: "فمنا امتلأ فرحًا ولساننا تهليلاً، لأننا تناولنا من أسرارك غير المائتة يارب. لأنّ ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر قد أعلنته لنا في سرّ جسدك ودمك الأقدسين، إذ تناولناهما فلنحيا بهما إلى الأبد"، ونقول في نفس الوقت: أسألك ياربي لا تطرحني على شمالك، ولا تقُل أني ما أعرفك، اذهب أيُّها المعد للنّار الأبديّة. أعطني يارب توبة، لكي أتوب قبل أن يسد الموت فمي في أبواب الجحيم!!.

كما يتّضح أن الطّريقة التي يُقال بها Никарими حالياً، لا تشير إليها أيٌّ من مخطوطات ترتيب البيعة، لأنها عندهم هي طريقة الصّوم المقدّس الكبير[٢٤].

وفي ختام التّوزيع يُقال هذا القانون:

جسدُ ودمُ الإله الوحيد، اللّذان تناولنا منهما. فلنشكره.
المجد للآب والابن والرُّوح القُدُس.
جسدُ ودمُ الإله الوحيد، اللّذان تناولنا منهما. فلنشكره.
الآن وكل أوان وإلى دهر الدُّهور آمين.

---

٢٤ – انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١٣، ٢١

هذا هو جسدُ ودمُ الإله الوحيد، هذان اللّذان تناولنا منهما، فلنشكره، ولنسبّح مع الملائكة وطغمات العلاء وصفوف الأبرار صارخين قائلين: يا من صام عنّا، أربعين يوماً وأربعين ليلة، اقبل إليك الصّوم، واغفر لي آثامي بطلبات وشفاعات سيّدتي القدّيسة مريم.

خلّصنا وارحمنا. يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك. آمين. باركوني، أسأل اغفروا لي. قُل البَرَكة.

وفيما يلي مديح يصلحُ أن يُقال في ختام القدّاسات ليملأ وقت التّناول من الأسرار المقدّسة، بعد انتهاء المزمور المائة والخمسين.

مديح يُقال في التّوزيع في الصّوم المقدّس الكبير[٢٥]

الصّوم الصّوم للنّفس ثبات — طوبى لمن صام عن الزّلات
ذاك يخلّص من الضّربات — ويرث ملكوت السّموات
صوموا صوماً روحانياً — من كل الأدناس نقياً
ولا تفعلوا أمراً دنياً — ولا تهتموا بالأرضيّات
بعد ثلاثين من السّنوات — لميلاد يسوع ربّ القوّات
انفرد في صوم مع صلوات — أربعين يوماً متواليات
خرج يسوع للبريّة — بعد أن نالَ المعموديّة
ليصوم من أجل البشريّة — ويفتح لها باب الهبات
فوق الجبال العاليات — انفرد للتخلّص في صلوات
كي نسلك مثله في خطيات — في أيام غربتنا العابرات
جاء إبليس ليجرّبه — ففضح بالكلمة خديعته
وجاءت الملائكة لتخدمه — إذ قد أعيا في الجهادات
يا من بصومه آحيانا — وأنقذنا من أسر أعدائنا
ثبّتنا في صدق الأمانة — وألهمنا الفضائل والصّالحات

٢٥- مأخوذ من كتاب المدائح في الكنيسة بتصرّف.

ربي الإله قال في الإنجيل ... قولاً صادقاً ما فيه تأويل
تعالى إليَّ يا من حمله ثقيل ... وأنا أعطيك كل الراحات
اتضعوا واسألوا تعطَوا ... اطلبوا اقرعوا بابه تجدوا
صوموا وصلُّوا واجتهدوا ... وأعطوا ممَّا لكم صدقات
حبُّوا الأعداء بمودتكم ... وأحسنوا إلى من يبغضكم
وصلُّوا لأجل من يطردكم ... وقابلوا بالرحمة السيئات
اسمعوا قول الإله ... كما علَّمنا في وصاياه
من يبذل نفسه عن أحباه ... ليس حبٌّ يساويه في الكرامات
اطلبوا السر والملكوت ... ولا تفكَّروا في الكسوة والقوت
فهذا محيله منبوت ... والله عنده كل الخيرات
تأمَّلوا الابن الشاطر ... وكيف عاش في المعاثر
وبتوبة من قلب طاهر ... نال عند أبيه وافر البركات
والسامريَّة التي هداها ... وغفر لها خطاياها
ومن ماء الحياة رواها ... فأقرَّت بما فعلت في خفيات
والمفلوج الذي طال شقاه ... لمرضه الذي قد أضناه
عبر عليه يسوع بن الله ... وبكلمة زالت كل الآلام
والأعمى الذي قد شفاه ... قال له أنوس بابن الله
فقال من هو سيِّدي لأراه ... أجابه أنا الناطق الكلمات
جئنا إليك بالكليَّة ... نريد نبصر العطيَّة
فضع يديك العنيَّة ... يصير لنا نور الحياة
هلُموا بنا قبل الظلمة ... لنبتاع لنا زيت الرحمة
لأنها مصباح النعمة ... تضيء لصاحبها في الظلمات
سلامك فليثبت معنا ... وصوتك المفرح أسمعنا
بارك وقدِّس مجمعنا ... يا كنزاً يفيض سائر البركات
يا من بجوده يحيينا ... يتناولنا سرٌّ فادينا
حتى به نصل إلى المبنا ... ونرث ملكوت السموات

البَاب الرَّابع

الصَّلوات الطَّقسيَّة لسبوت وآحاد الصَّـــوم المقـــدَّس الكبـــير

الفصل الأوَّل

طقس رفع بخور باكر وقدَّاسات السُّبوت
ورفع بخور عشيَّة الآحاد
في الصَّوم المقدَّس الكبير

يشرح "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" طقس رفع بخور باكر وقدَّاسات سبوت الصَّوم الكبير، ثم طقس الآحاد كما يلي.

أولاً: ترتيب بخور باكر وقدَّاسات سبوت الصَّوم المقدَّس

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

ترتيب يوم السَّبت. صلاة باكر كالعادة السَّنويَّة من غير نبوَّات. ويُسرد إنجيل باكر والقدَّاس بلحن الأحد. ووقت التَّوزيع الليلويا ⲡⲓⲁⲗⲗⲏⲗⲟⲩⲓⲁ وبعده ⲧⲉ ⲉⲓϫⲁⲣⲡⲟⲩ بلحنها الكبير المعروف بحدود الصَّوم. وبعده لا تُقال ⲥⲙⲁ ⲧⲟⲥ بل يكملوا كالعادة السَّنويَّة ⲁⲛⲟⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲛⲥⲉⲛⲁ. (إلى هنا نص مخطوط ترتيب البيعة).

والمقصود هنا بمرد إنجيل باكر والقدَّاس أن يكون بلحن الأحد، أي بالنَّغمة التي تدعوها المخطوطات باسم: "لحن الصَّوم المشهور بيوم الأحد".

وإن كان ختام الصَّلوات في قدَّاسات السُّبوت كان يجري قبلاً بالطَّقس السَّنوي كما تذكر مخطوطاتنا، فليس إذاً ما يمنع أن يكون الختام هو بترديد المرد ⲥⲙⲁ ⲧⲟⲥ أي: "جسد ودم الإله الوحيد، اللَّذان تناولنا منهما. فلنشكره ..."، وذلك بعد أن صار ختام الصَّلوات يتمَّم بالطَّقس الصِّيامي في كل كنائسنا بلا استثناء. أو بتعبير آخر، فإنَّه بعد أن صار ختام الصَّلوات في قدَّاسات السُّبوت يجري بالطَّقس الصِّيامي وليس السَّنوي، فماذا يمنع أن يكون هذا الختام هو المرد ⲥⲙⲁ ⲧⲟⲥ عينه؟، لأنَّ هذا المرد المذكور كان يختص بختام قدَّاسات أيام الصَّوم فقط – وليس

السُّبوت والآحاد – حين كان ختام صلوات قداسات السُّبوت والآحاد في الصَّوم الكبير يتم بالطَّقس السَّنوي.

وهنا نجد مجدَّداً أنه لا فرق بين قدَّاسات الأيام وقدَّاسات السُّبوت والآحاد في الصَّوم المقدَّس الكبير، إلاَّ في الميطانيات في الأيام، وفي قراءة السِّنكسار الذي يعقبه لحن ميغالو في السُّبوت والآحاد.

ثانياً: طقس عشيَّة آحاد الصَّوم الكبير

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

الأحد الأوَّل يبتدئ بصلاة عشيَّة كالعادة. وتُقال الإبصالية الواطس، ثمَّ تُقرأ التَّذاكيَّة والشَّارات بلحن الصَّوم المشهور بيوم الأحد. ويُطرح الطَّرح. وتقال ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲓⲁ وبعدها ⲱ ⲡⲉⲛⲃⲟⲓⲥ ⲓⲏⲥ ⲡⲭⲥ ويُرفع البخور كالعادة السَّنويَّة. ويُقال ⲇⲓⲁⲕⲁⲧⲁⲝⲓⲟⲛ و(بعدها يُقال) ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲓⲱ ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ وما يتلوها. و ⲛⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙ̀ ⲡⲁⲟⲩ وبعد ذلك ⲫⲏ ⲛⲁⲓ ⲙⲁⲛ والأمانة. ويرفع الكاهن الصَّليب ويقول ⲡⲉⲛⲃⲟⲓⲥ ⲛ̀ⲓⲙ̀ⲙⲟ فيجاوبونه بالنَّاقوس كيريالیصون. ثمَّ تُقرأ أوشيَّة الإنجيل، ويُطرح المزمور، ويُقرأ الإنجيل قبطياً وعربياً. وبعده يُرد بهذا

ⲥⲁⲛⲭⲣⲏⲙⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲁⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ	ممتلكات هذا العالم ...

وفي نسخة أخرى

ⲁⲣⲓⲉⲧⲉⲛ ⲟⲩⲟⲉ ⲉⲩⲉⲓ ⲛⲟⲩⲧⲉⲛ ⲉ ⲕⲱⲧ ⲟⲩⲟⲉ ⲉⲣⲉⲧⲉⲛⲉⲝⲓⲛⲓ ⲉ ⲕⲱⲗⲉ ⲟⲩⲟⲉ ⲧⲛⲁⲓⲧ ⲉ ⲭⲉ ⲥⲉⲛⲁⲟⲩⲱⲛ ⲛⲟⲩⲧⲉⲛ ⲛⲉⲓⲙⲓ.	اسألوا يُعطى لكم، اطلبوا تجدوا، اقرعوا، وأنا أؤمن أنه سيُفتح لكم معي.

وتُكمَّل الصَّلاة كالعادة. ويُقال القانون الذي قرئ عشيَّة. ثمَّ تُختم الصَّلاة بالبَرَكة.

(إلى هنا نص مخطوط ترتيب البيعة).

الإبصاليَّة الواطس في تسبحة عشيَّة آحاد الصَّوم الكبير

يقول مخطوط ترتيب البيعة أنَّه تُقال الإبصاليَّة الواطس، بدون أن يحدِّدها. وتذكر الأبصلموديَّات أنها الإبصاليَّة التي بدايتها: ⲁⲛⲁⲅⲛⲱⲥⲓⲥ ⲛⲧⲉⲛⲉⲣⲛⲉⲥⲧⲉⲩⲓⲛ . وأرباعها مرتَّبة على الحروف الهجائيَّة القبطيَّة، ممَّا يشير إلى أنها حديثة نوعاً، أي أنها لا تعود إلى ما قبل القرن الرَّابع عشر الميلادي. وفيما يلي نصُّ كلماتها:

- تعالوا لنصوم أصواماً كاملة، لأنَّ بالصَّلاة والصَّوم يغفر لنا الرَّب.
- دنس قلوبنا فلنطهِّره بالمحبَّة، بواسطة الصَّلاة والصَّوم والأعمال اللائقة.
- لأنَّ الرَّب علَّمنا في إنجيله، أنه بالصَّلاة والصَّوم نطرد الشياطين.
- مدح السيِّد الذين صاموا له بالصَّلاة والصَّوم بفكر غير نجس.
- تاب آباؤنا بر وطهارة، وبالصَّلاة والصَّوم استحقُّوا الملكوت.
- بكى أبونا آدم وحواء لأجل الفردوس، وبالصَّلاة والصَّوم ردَّهما محب البشر.
- إيليا أغلق السَّماء ثلاث سنين وستَّة أشهر، بالصَّلاة والصَّوم، فلم تمطر السُّحُب.
- ذبيحة أبينا إبراهيم قبلها الإله السيِّد، بالصَّلاة والصَّوم، وجعله رئيس آباء.
- اسحق ربطه أبوه لكي يقدِّمه ذبيحة مقبولة، وبالصَّلاة والصَّوم عُوِّض بالكبش.
- وأيضاً يعقوب إسرائيل من أجل نواياه الصَّادقة بالصَّوم والصَّلاة نال بركة من أبيه.
- لوط البار استحق أن يأتي إليه الملاكان، وبالصَّلاة والصَّوم خلص من النَّار.
- موسى أخذ اللَّوحين، ووضعهما في القُبَّة، وبالصَّلاة والصَّوم ضرب البحر فصار شطرين.

- نوح البار أشار إليه الله بالفُلك، وبالصَّلاة والصَّوم خلُص من الطُّوفان.
- ردَّ الله غضبه بغتة عن أهل نينوى، بالصَّلاة والصَّوم ترك لهم أعمالهم الشِّريرة.
- حقاً يونان كان في بطن الحوت ثلاثة أيام. وبالصَّلاة والصَّوم قذفه إلى اليابسة.
- الثَّلاثة فتية القدِّيسون رفضوا كلام الملك. وبالصَّلاة والصَّوم أطفأوا لهيب الأتون.
- أفواه الأسود في الجُب لحست قدمي دانيال. وبالصَّلاة والصَّوم صار عظيماً في إسرائيل.
- صموئيل الماسح الملوك قدَّمه أبواه إلى بيت الرَّب، وبالصَّلاة والصَّوم دُعي الماسح.
- حقاً يوسف العفيف خلُص من الزَّانية، وبالصَّلاة والصَّوم جُعل رئيساً على مصر.
- ها الاثنا عشر رسولاً كرزوا بالاسم المبارك. وبالصَّلاة والصَّوم أقاموا الأموات.
- داود ذو القيثارة، أُعطيَت له النُّبوَّة. وبالصَّلاة والصَّوم صارت له المملكة.
- كل النِّعم العالية أدركت النُّسَّاك، بالصَّلاة والصَّوم والتَّقوى.
- كل النُّفوس التي أرضت الرَّب الإله بالأعمال، بالصَّلاة والصَّوم فازت بملكوت السَّموات.
- لهذا فلنسبِّحه ونمجِّده بالصَّلاة والصَّوم والسُّجود أمامه.

وهكذا تنضم كلُّ النُّفوس التي أرضت الرَّب بالتَّوبة والصَّلاة والصَّوم، إلى الملكوت، في أحضان آبائنا القدِّيسين، هناك تتغذى كلَّ حين بوجه يسوع الحبيب، في لجَّة من السَّعادة في حضرته السَّعيدة.

وكما لمحت هذه الإبصاليَّة القبطيَّة التي سبق ذكرها، تنهج أيضاً الكنائس الأخرى، عندما تعدِّد فعل الصَّوم في الأبرار والصِّدِّيقين. فالكنيسة السُّريانيَّة الأنطاكيَّة تقول في الصَّوم ألحاناً وصلوات غنيَّة، فتقول مثلاً: "بالصَّوم نجت نينوى من الغضب الذي أنذر به يونان.

وبالصّوم في الجب سُدَّت أفواه الأسود. وبالصّوم نسمو نحن أيضاً إلى العُلى، ونصير رفقاء الملائكة ... تعالوا يا إخوتي نلجأ إلى صوم طاهر كما لجأ إليه قبلاً الأبرار والصدّيقون. لجأ إليه موسى الوديع، فشعَّ وجهه وكأنه منظر برق. لجأ إليه إيليا فصعد في مركبة. وكذلك فعل فتيان آل حننيا، فلم تحرقهم النّار. هلليلويا. أشفق علينا يارب كما أشفقت عليهم".

وهنا تلزم الإشارة إلى أنّ هذه الإبصالّية تحمل سمات الذُكصولوجيَّة وليس الإبصالّية، أي أنها تصلح ذُكصولوجيَّة للصّوم الكبير، أكثر من كونها إبصالّية له. لأنّه من أهم سمات الإبصالّية أنها مناجاة مباشرة لاسم يسوع وترديد اسمه القدّوس بتواتر على مدى أرباعها. وهو ما نجده في ذكصولوجيَّتين من ذكصولوجيَّات الصّوم الكبير التي نعرفها اليَوم، كانتا في الأصل إبصالّيتين حتى القرن الرّابع عشر الميلادي. وسوف أعود مرّة أخرى إلى هذه الجزئيَّة.

قطع مدائح عربي على ثيوطوكيَّة يوم السَّبت

هناك تسع قطع مدائح عربي تُقال على ثيوطوكيَّة السَّبت في عشيَّة آحاد الصّوم الكبير، أولها: "الصّوم والصَّلاة يُخرجان الشّيطان، والزُّهد يهزم طغيانه ..."[1]. وقد رُتِّبت هذه القطع على الثّيوطوكيَّة إقتداء بما يجري في طقس عشيَّة آحاد شهر كيهك. ويُظن أنّ هذه القطع التّسع من نظم أنبا يوانس بن شنوده (١٤٣٠- ١٤٦٠م) أسقف أسيوط ومنفلوط وأبوتيج وشرق الخصوص وما أضيف إليهم. ويُنسب له أيضاً مديح الأحد الخامس من الصّوم الكبير والذي أوّله: "الصّوم نوره مشرق دائم، والملائكة تفرح بالصّائم ..." ويذكر العالم الألماني جراف G. Graf ذلك

١- كتاب المدائح الرُّوحيَّة حسب طقوس الكنيسة القبطيَّة، جمع وتنقيح وهذيب وترتيب المعلّم فرج عبد المسيح مرقّل كنيسة السيّدة العذراء بروض الفرج، وآخرون، ١٩٥٩م، ص ٣١١-٣١٧

تحت اسم "الأنبا يوحنا الأسقف" بدون تحديد زمان ولا مكان رئاسته[٢].

طروحات تسبحة عشيّة آحاد الصّوم الكبير

بعد ثيوطوكيّة السّبت، يُقال لحن الشّيرات الصّيامي. وبعد الشّيرات الأوّلى والثّانية، وقبل ختام الثّيوطوكيّات الواطس، يُقال الطّرح الواطس بمقدّمته. ومقدّمة الطّرح الواطس هي لحن طويل كلماته هي: "نسجد للآب الصّالح، وابنه يسوع المسيح، والرّوح القُدُس المعزي، الثّالوث المقدّس المساوي". ويتركّز معظم هذا اللّحن البديع في كلمة ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲥⲓ (تين أوأوشت)، أي: "نسجد".

أمّا الطّرح الآدام فيُقال في تسبحة نصف اللّيل والسّحَر ليوم الأحد، وقبل ختام الثيوطوكيّات الآدام.

وهذه الطّروحات موجودة في كتاب مطبوع سنة ١٩٢١م في عهد البابا كيرلس الخامس البطريرك الـ ١١٢ من باباوات الإسكندريّة، واسم الكتاب هو: "كتاب دورتي الصّليب والشّعانين وطروحات وإبصاليّات الصّوم المقدّس الكبير، وطروحات الخمسين المقدّسة".

٢- ومن الثابت أنّه هو أيضاً الذي ألّف التّفسير البحيري على ثيوطوكيّة السّبت في آحاد شهر كيهك. وهو الذي وضع سبع قطع تفسير على الثّمانية أجزاء الأولى من ثيوطوكيّة يوم الأحد، والتي تُقال في تسبحة نصف اللّيل والسّحَر في شهر كيهك. وهو أيضاً مؤلف الإبصاليّة الآدام على ثيوطوكيّة يوم الأحد، وهي ⲡⲁⲓⲧⲁⲓⲥⲁⲓ ⲉⲛ ⲟⲩⲧⲱⲟⲩ . وذلك طبقاً لما تذكره مخطوطات مكتبة البطريركيّة للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة، وغيرها من المخطوطات. وقد أوردتُ شرحاً أوفر عن هذا الأسقف في كتاب "صوم الميلاد وتسابيح آحاد شهر كيهك".

انظر: دكتور ماجد صبحي رزق، شخصيّات من تاريخنا (٣)، الأنبا يوانس بن شنوده والأنبا يوانس بن الأسقف، مجلة الكرمة الجديدة ٢٠٠٦م، ص ٢١٩- ٢٢٦

ويورد هذا الكتاب سبعة طروحات واطس وسبعة طروحات آدام لسبعة آحاد الصّوم المقدّس الكبير. ومن المعروف أنّ محور قراءات وطروحات آحاد الصّوم المقدّس الكبير تتمحور حول فصل إنجيل القدّاس. بل إنّ قراءات باقي أيام الأسبوع تتبع فصل إنجيل قدّاس الأحد.

ولكنّ الحقيقة التي تفاجئنا في هذه الطُّروحات، أنها ليست كلّها وفقاً لفصول أناجيل آحاد الصّوم، وهو ما سأشرحهُ في السُّطور التّالية.

طروحات الأحد الأوّل من الصّوم الكبير

وهي مرتّبة على إنجيل (متى ٦:١٩-٣٢)، وهو فصل العظة على الجبل عن الصّوم والصّلاة والصّدقة.

طرح واطس الأحد الأوّل يقول: "ما هو فرح العالم، وما هي الأموال والكنوز التي لا نفع فيها ولا فائدة منها ... اسمعوا أيها الأخباء قول السيّد المسيح وتعاليمه المحيية. لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ... انظروا إلى طيور السّماء وكيف أنّ الله يقوتها. الق همّك عليه وهو يعتني بك مثلها ... اللّهم أعطنا نعمتك، وأفض علينا سلامك، وارفع آثامنا، وارحمنا كعظيم رحمتك. والسُّبح لله".

أمّا طرح آدام الأحد الأوّل فيقول: "يا مالكي الأموال والأمتعة، والمتوكّلين على الغنى، اسمعوا الكلام المحيي، والتّعاليم المقدّسة السّماويّة التي للمعلّم الصّالح يسوع المخلّص الذي لا يزول أبداً، القائل: لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث اللُّصوص والسُّرّاق ... لنرفض الأموال ومحبّة الذّهب ولنترك الزّائلات ولنتمسّك بالباقيات إلى آخر الدُّهور ... تأمّلوا طيور السّماء، ومن هو الذي يعولها غير إلهنا ... اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه، وهذا كلّه تزدادونه. والسُّبح لله".

طروحات الأحد الثاني من الصّوم الكبير

وهي مرتّبة على إنجيل (متى ٤:١-١١)، وهو إنجيل التّجربة على الجبل.

الطّرح الواطس يقول: "سيّدنا يسوع المسيح صام عنّا، وهو الصّالح محب البشر، غير الخاطئ وحده ... تعالوا انظروا مخلّصنا الصّالح محب البشر، صنع أفعال الصّوم بعظم تواضعه، بانفراده في البريّة فوق الجبال العالية. وعرّفنا السّلوك لكي نقتفي أثره. وأبطل قوّة العدو وحيله ومكائده، والمجرّب افتُضح أمامه ... عظيمةٌ وكثيرةٌ هي فوائد الصّوم، فإنّها تحمي الخطايا وتُطهّر الذّنوب ... اقصدوا محبّة الإخوة، وسارعوا نحو المودّة، وكمّلوا التّواضع، واعلموا أنه بالصّوم تُغفر الزّلات ... باب التّوبة فتحه الصّوم، ودخل الخطاة منه ومُحيت آثامهم. قدوسٌ الرّب غير المدرَك. قدوسٌ غير المائت. قدوسٌ في جميع أعمالك لأنّك عرّفتنا الغلبة". والمجد لله دائماً أبدياً آمين.

الطّرح الآدام يقول: "ناموسك يارب هو مصباحٌ لقدمي، ووصاياك هي نور لطريقي ... إنّ ربّنا معطي الحياة، وسيّد الأعمال المبهرة للعقول، بعدما صعد من ماء الأردن، صعد إلى الجبل كواضع النّاموس، وأسرع وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة كاملة بغير أكل ... فلمّا انتهت الأربعون يوماً جاع أخيراً، فدنا منه المجرّب ليجرّبه ... من هو الذي يُشبهك يا يسوع مخلّصنا الشّافي، وسيّد كل أحد، لأنّ بمحبّتك للبشر دبّرت لنا هذا الخلاص العظيم، وعرفنا نحن أن نغلب المجرّب بقوّتك العزيزة ... نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصّالح والرّوح القُدُس لأنك أتيت وخلّصتنا".

طروحات الأحد الثّالث من الصّوم الكبير

وكان من المفروض أن تكون مرتّبة على إنجيل القدّيس لوقا (لوقا ١٥:١١-٣٢)، وهو فصل الابن الشّاطر. إلاّ أننا نجد أنّ طروحات هذا الأحد الثّالث مرتّبة على فصل آخر من إنجيل لوقا (لوقا ٦:٣٤-٣٨)[٣]، وهو جزءٌ من العظة على الجبل، حيث يبتدئ هذا الفصل بقول الرّب: «ولكن ويلٌ لكم أيها الأغنياء، لأنكم قد نلتم عزاءكم»، وينتهي بقوله: "لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكال لكم".

فالطّرح الواطس يقول: "مباركٌ وجليلٌ في السّماء وعلى الأرض إلهنا الحقيقي، ربُّنا يسوع المسيح ... اسمعوا تعاليمه المقدّسة معلّنة ظاهرة، كيف يبكّت المخالفين مالكي الأموال في هذا العالم قائلاً: إنّ أغنياء هذا العالم قد أخذوا عزاءهم، وهم المتكبّرون بقلوبهم، والمشرهون بنفوسهم ... قائل أحبُّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، صلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ... وقال لا تدينوا لئلا تدانوا ... اغفروا يُغفر لكم، أعطوا تعطوا، ارحموا تُرحموا، فلنبسط أيدينا نحو أحباء الرّب بكيل مملوء رحمة فائضة، لكي ننال الكيل الحقيقي من يد الدّيان الحق. وعوض الأرضيّات يجازينا بالسّمائيّات". ولربّنا الشّكر دائماً.

أمّا الطّرح الآدام فيقول: "ما بال أعين الأغنياء مغمّضة لا تنظر النّور، وما بال آذانهم صُمّت عن السّماع؟ ... افتحوا آذانكم وافهموا واعلموا، فإنه ليس نبيٌّ ولا رسولٌ لكن هو الله كلمة الآب الذي قال: الويل لكم أيها الأغنياء، فإنكم قد أخذتم عزاءكم ... احذروا أن تدينوا

٣- هذا الفصل ورد جزءٌ منه (لوقا ٦:٢٤-٣٤) في إنجيل باكر يوم الأربعاء من الأسبوع الأوّل. أمّا الجزء الثّاني منه (لوقا ٦:٣٤-٣٨) فورد في إنجيل مساء الأحد الأوّل من الصّوم الكبير.

فتدانوا، ولا تحكموا على أحد فيُصنع بكم كما تصنعون ...".

طروحات الأحد الرّابع من الصّوم الكبير

وكان من المفروض أن تكون مرتّبة على إنجيل القدّيس يوحنا (يوحنا ٤:١-٤٢) وهو عن المرأة السّامريّة. إلاّ أننا نجد أنّ طروحات هذا الأحد الرّابع مرتّبة على إنجيل متى (متى ٢٠:١-١٦)[٤]، وهو مثل الرّبّ عن الكرم والكرّامين.

فالطّرح الواطس يقول: "إنّ الكسالى قد أكملوا زمانهم بغير أجر. اسمعوا صوت الرّاعي يسوع ربّ الكرم الحقيقي يصرخ بأمثال لإخوته الخاصين، لكي يعلموا هم أيضاً عظم مراحمه. وبغير مثل لم يكن يكلّمهم، لكن على قدر قوّتهم كان يشبّه لهم الملكوت. ولكي يعلم أيضاً الذين لم يتعبوا أن ليس لهم حظّ في بحيثه. ويعلم التّائبين أيضاً أن يصيروا متساوين بالصّدّيقين في مجئ المسيح ... أمّا الأوّلون فهم البطاركة إبراهيم واسحق ويعقوب، الذين صار لهم الوعد والميثاق، ثمّ بعدهم الأنبياء ... ويتلوهم الأبرار والصّدّيقون، ومن بعدهم الرّسُل. ومن بعدهم العذارى الحكيمات ... والشّهداء الذين احتملوا الأتعاب والعذابات ... ولمّا جاء الأئمة وعملوا في الكرم، أخذوا الأجرة كما أخذ الفعلة الأوّلين ... فافرحوا وتهلّلوا وسرّوا وابتهجوا بإلهنا، يا من تمسّكتم برجاء التّوبة، لأنكم بتوبتكم نلتم جزءاً صالحاً في ملكوت السّموات برحمة إلهنا الذي له المجد إلى الأبد. آمين".

أمّا **الطّرح الآدام** فيقول: "انهضوا بسرعة أيها الخطاة، وتعالوا لكي

٤- هذا الفصل لا وجود له في فصول أناجيل الصّوم الكبير، في القطمارسات التي بين أيدينا. وإنّما هو فصل إنجيل ليوم الثلاثاء من النّسخة المقدّسة.

تتأمّلوا أقوال الرّب، فإنه قد أبطل كل حيل الشيطان، وجميع قوّاتـه ... قال السيّد المسيح له المجد في الإنجيل قولاً مقدّساً محيياً، وشبّه ملكـوت السّموات بالكرم والفعلة. إنّ الفاعل مستحقٌّ أجرته. وبأمثـال كـان يخاطب خواصه هكذا، ويخبرهم عن ملكوت الله والدّهر العتيـد، لكـي يفهموا أنه هو الذي يرد الخاطئ، ويقبل به إلى مواضع النّياح ... وهـو يقبلنا كعظيم رحمته التي لا حد لها، فله المجد والإكرام إلى الأبد. آمين".

طروحات الأحد الخامس من الصّوم الكبير

وكان من المفروض أن تكون مرتّبة على إنجيـل القـدّيس يوحنـا (٥:١-١٨) وهو فصل شفاء المفلوج. إلاّ أننا نجد أنّ طروحـات هـذا الأحد الخامس مرتّبة على إنجيل متى (متى ٢٤:١-٥١)[٥]، وهو حـديث الرّب عن خراب الهيكل ونهاية العالم.

فالطّرح الواطس يقول: "لك الأوقات والأزمان، وأنت سيّد كل الأحيال، لأنّ كل شيء يتعبّد لك يا مخلّص جميع العالم ... إنّ الرّب كان يمشي مع رُسُله القدّيسين في الهيكل، فأعلموه ببناتـه وكرامتـه وزينـة الأحجار التي فيه، وترتيبها. فقال انظروا إلى هذه جميعها، فلا يُترك ههنا حجرٌ على حجر إلاّ ويُنقض ... فطوبى لمن يصبر إلى المنتهى".

والطّرح الآدام يقول: "يا جميع سكان أورشليم، تعالوا لنمضي إلى جبل الزّيتون، لكي ننظر يسوع النّاصري ابن داود كلمـة الآب، وهـو جالس هناك وتلاميذه محيطون به، يسـألونه أولاً علـى بنـاء الهيكـل وحجارته العظيمة، وكمال زينته، أمّا هو فأظهر لهم كمال الجميع والسّر

٥- لا وجود لهذا الفصل من الإنجيل في قطمارس الصّوم الكبير، ولكنّه فصل إنجيل يوم الثّلاثاء من البصخة المقدّسة.

المختفي عنهم قائلاً: أرأيتم هذا كلّه؟ أقول لكم إنه لا يُترك ههنا حجر إلاّ ويُنقض ... واعلموا أنّ الأمم يقتلونكم، ويبغضونكم، وهذا يفعلونه بكم من أجل اسمي، ومن يصبر إلى المنتهى يخلُص ...".

طروحات الأحد السّادس من الصّوم الكبير

وكان من المفروض أن تكون مرتّبة على إنجيل القدّيس يوحنا (الأصحاح التّاسع)، وهو عن شفاء المولود أعمى. إلاّ أنّنا نجد أن طروحات هذا الأحد السّادس مرتّبة على إنجيل لوقا (لوقا ١٣:٣١ - الخ)، وهو فصل الإنجيل الذي يُقال في جمعة ختام الصّوم. وهو الفصل الذي يقول الرّب في نهايته: "الحق أقول لكم، إنكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه مباركٌ الآتي باسم الرّب". وهو ما قيل بالفعل في الأحد الذي يليه، وهو أحد الشّعانين.

فالطّرح الواطس يقول: "ربُّنا يسوع المسيح الإله الوحيد صار إنساناً مثلنا ما خلا الخطيئة وحدها. الرّاعي الصّالح السّاهر على قطيعه يحرسهم كلّ يوم من الثّعلب الذي هو الشيطان المحتال ... فلمّا كان في ذلك الزّمان، جاء إليه قومٌ وأخبروه عن هيرودس رئيس رُبع الجليل قائلين: قم وامض من ههنا، فإنّ هيرودس يطردك، وبفكر شرير يريد قتلك ... الحق أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مباركٌ الآتي باسم الرّب الذي له المجد إلى الأبد آمين".

أمّا الطّرح الآدام فيقول: "إلهنا ماسيًا ملك السّلام صنع خلاصاً في وسط الأرض. أقام الأموات بقوّة مجده، وشفى المرضى بروح فيه ... ومن تلك الأيام جاء إليه قومٌ وأخبروه عن هيرودس الملك قائلين: اخرج من ههنا يا معلّم، فإنّ هيرودس الملك يريد قتلك ... مباركٌ الرّب يسوع

وأبيه الصَّالح والرُّوح القُدُس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدَّاهرين آمين".

خلاصة القول في طروحات آحاد الصَّوم الكبير

ممَّا سبق نخلُص إلى القول، بأنَّ آحاد الصَّوم الكبير السِّتة التي تسبق أحد الشَّعانين، تتَّفق طروحات الأحدين الأوَّل والثَّاني منها مع فصول أناجيل قدَّاسات هذين الأحدين، بينما تختلف مع فصول أناجيل الأربعة آحاد الأخرى الباقية، من الثَّالث إلى السَّادس.

وإن عرفنا أنَّ العالم الطَّقسي ابن كبر (+ ١٣٦٤م) يورد نفس فصول أناجيل آحاد الصَّوم الكبير كما في وردت في قطمارس الصَّوم الذي بين أيدينا، بل يورد معظم فصول قراءات الصَّوم الكبير المعروفة لدينا اليوم باستثناء بعض فصول الأناجيل القليلة[٦]، وباستثناء بعض فصول من رسائل البولس والكاثوليكون والإبركسيس والتي لا تتعدَّى عشرين فصلاً، فليس أمامنا سوى واحدٌ من احتمالين؛ الاحتمال الأوَّل هو وجود ترتيب آخر لفصول قراءات آحاد الصَّوم الكبير كان معمولاً بها في جهة من الجهات. والاحتمال الثَّاني - وهو الأقوى - أنَّ طروحات الآحاد تطلعنا على التَّرتيب القديم لفصول أناجيل الآحاد في الصَّوم الكبير في الكنيسة القبطيَّة قبل القرن الثَّالث عشر الميلادي، وذلك قبل التَّرتيب المعروف لدينا اليوم، ولاسيَّما أنَّ هذه الطُّروحات تتَّفق مع فصول أناجيل الأحدين الأوَّل والثَّاني من الصَّوم، وكذلك الطَّرح الواطس الذي يقال في أحد الشَّعانين، والذي بدايته: "اصعد على الجبال

٦- مثل فصل إنجيل باكر والقدَّاس ليوم السَّبت من الأسبوع الثَّاني. وإنجيل باكر الأحد الثَّاني، وإنجيل قدَّاس الخميس من الأسبوع الرَّابع، وإنجيل باكر يوم الجمعة من الأسبوع الخامس. وإنجيل باكر يوم الجمعة من الأسبوع السَّادس، وإنجيل باكر والقدَّاس ليوم السَّبت من الأسبوع السَّادس.

العالية يا مبشّر صهيون"، وأيضاً الطّرح الواطس الذي يُقال في عيد القيامة: "نوّر نوّر يا حبل الزّيتون". ممّا يعني أنّ هذه الطّروحات هي نصوص ليتورجيّة قديمة، بل قديمة جداً، سابقة على العصور الوسطى في الكنيسة القبطيّة.

وبرغم أنّ هذه الطّروحات قد طُبعت في أوائل القرن العشرين، إلاّ أنها ظلّت نصوصاً ليتورجيّة قديمة، لا يمكن استخدامها اليوم بعد أن تبدّلت فصول أناجيل آحاد الصّوم الكبير منذ أكثر من ستّة قرون أو نحو ذلك.

فهل معنى ذلك أنه ظلّت تسبحة عشيّة الأحد وتسبحة نصف اللّيل والسّحَر ليوم الأحد تُقام كل هذه القرون بدون طروحات تناسب آحاد الصّوم من الأحد الثّالث إلى الأحد السّادس منه؟. ومعروفٌ أنّ الطّرح بمقدّمته هو عنصر أساسي من العناصر اللّيتورجيّة للتّسبحة، سواء في تسبحة عشيّة أو تسبحة نصف اللّيل والسّحَر. وإنه من العجيب حقاً أن ظلّت مخطوطات ترتيب البيعة تذكر عبارة: "بطرح الطّرح".

إذاً فبينما احتفظت تسبحة عشيّة الآحاد، وتسبحة نصف اللّيل والسّحَر لآحاد شهر كيهك بطروحات واطس وآدام تختص بها وحتى اليوم، فقدت تسبحة عشيّة وتسبحة نصف اللّيل والسّحَر لآحاد الصّوم الكبير هذا العنصر اللّيتورجي الهام.

والجدول التّالي هو مقارنة بين هذين التّرتيبين، القديم والجديد.

التّرتيب القديم لأناجيل الآحاد	التّرتيب الجديد لأناجيل الآحاد
جزءٌ من العظة على الجبل	
التّجربة على الجبل	
جزءٌ من العظة على الجبل	الابن الشّاطر
مثل الكرم والكرّامين	المرأة السّامريّة
خراب الهيكل ونهاية العالم	شفاء المفلوج
عن أورشليم قاتلة الأنبياء	شفاء المولود أعمى
دخول السّيّد المسيح إلى أورشليم	

إنّ فصل إنجيل الابن الشّاطر نجده في الكنيسة الأرمينيّة في الأحد الثّالث من الصّوم، وفي الكنيسة المارونيّة في الأحد الرّابع من الصّوم. وفي الكنيسة البيزنطيّة في الأحد الثّاني ضمن الأربعة آحاد التي تسبق الصّوم المقدّس الكبير.

أما فصل إنجيل شفاء المفلوج أو المخلّع، فموجود في الكنيسة السّريانيّة في الأحد الثّالث من الصّوم، وفي الكنيسة المارونيّة في الأحد الخامس من الصّوم.

أمّا فصل إنجيل شفاء المولود أعمى فمعروف في الكنيستين السّريانيّة والمارونيّة في نفس الأحد السّادس من الصّوم.

أمّا الأحد السّابع من الصّوم في جميع الكنائس فهو أحد الشّعانين.

إنّ هذه الجزئيّة من الدّراسة تضعنا في مواجهة مسئوليّة ملقاة على عاتقنا، وهي البحث والتّنقيب والدّراسة الجادة لمخطوطاتنا القديمة المبعثرة والمنتشرة في متاحف ومكتبات العالم، تنتظر من يزيح التّراب عنها، ويفتح صفحاتها لترى النّور من جديد. ولن يفعل هذا سوى أبناء

الكنيسة القبطيَّة أنفسهم، وها أنا أنادي الشَّباب القبطي الغيور على كنيسته أن يتسلَّح بدراسة اللُّغة اليونانيَّة، ودراسة اللُّغة القبطيَّة في لهجتيها الصَّعيديَّة والبحيريَّة إلى جانب واحدة أو اثنتين من اللُّغات الأجنبيَّة الحيَّة. فبدون المعاناة والتَّعب وبذل الجهد في الدِّراسة، ستظل مخطوطاتنا حبيسة الرُّفوف الباردة في مكتبات العالم، تنتظر أيادي أحفاد ناسخيها.

أرباع الثَّاقوس في رفع بخور عشيَّة الآحاد

وهي ثلاثة أرباع في الأبصلموديَّات المطبوعة التي بين أيدينا، ولكن هذه الأرباع لا ذكر لها في الأبصلموديَّات السَّنويَّة المخطوطة والمحفوظة في مكتبة دير القدِّيس أنبا مقار[٧].

وهنا يعود بنا إلى القول بأنَّ المرد "كيريالیسون" الذي كان يعقب صلاة الشُّكر، هو المرد الأسبق والأقدم قبل أن تنتشر أرباع النَّاقوس في الكنائس بدءًا من القرن الخامس عشر الميلادي.

أمَّا الثَّلاثة أرباع المختصَّة بالصَّوم الكبير فهي:

- ربُّنا يسوع المسيح صام عنَّا أربعين يوماً وأربعين ليلة، لكي يخلِّصنا من خطايانا.
- ونحن أيضاً فلنصُم بطهارة وبر، ونصلِّي صارخين قائلين:
- أبانا الذي في السَّموات، ليتقدَّس اسمك، ليأت ملكوتك، لأنَّ لك المجد إلى الأبد.

٧- وهي بأرقام (١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧ طقس).

ذكصولوجيّات الصّوم المقدّس الكبير في رفع البخور

وهي — بحسب الطّقس الحالي — خمس ذُكصولوجيّات بيانها كالتّالي بحسب الأبصلموديّات المطبوعة التي بين أيدينا.

Ⲛⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙ̀Ⲡⲁⲱⲥ ..	(١) أسبّح مراحمك يارب ..
Ⲧ̀ⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲡ̀ⲯⲁⲗⲓⲛ ..	(٢) الصّوم والصّلاة ..[٨]
Ⲇⲉⲩⲣⲟ ⲛⲓⲙⲛⲓ ⲁ̀ⲛⲁⲩ ⲉ̀ⲡⲉⲛⲥⲱⲧⲏⲣ ..	(٣) تعالوا انظروا مخلّصنا ..
Ⲡⲓⲙⲁⲓⲣⲱⲙⲓ ⲛⲁⲅⲁⲑⲟⲥ ..	(٤) يا محب البشر الصّالح ..
Ⲧ̀ⲛⲏⲥⲧⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲡ̀ⲯⲁⲗⲓⲛ ..	(٥) الصّوم والصّلاة ..[٩]

بالإضافة إلى قطع تُقال في توزيع السُّبوت والآحاد، وهي:

Ⲟⲩⲛⲟⲩⲧ̀ ⲙⲩⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ ..	سرٌّ عظيم يفوق عقول البشر

إلاّ أنّ الأبصلموديّات الحديثة المطبوعة وضعت عناوين لهذه الذُكصولوجيّات لتحدّد هويّتها؛ فالذُكصولوجيّة الأولى تُقال في أيام وآحاد الصّوم المقدّس. والثّانية تُقال في الأيام. والثّالثة تُقال في أي وقت يريد القارئ. والرّابعة تُقال في التّوزيع بعد المزمور الـ ١٥٠ في الأيام بلحنها المعروف. والخامسة تُقال في السُّبوت والآحاد.

أمّا أبصلموديّة أفلاديوس بك لبيب والتي طُبعت سنة ١٩٠٨م، وهي أوّل أبصلموديّة مطبوعة في مصر، فقد أوردت عنواناً واحداً لكل هذه الذُكصولوجيّات، فتقول: ذُكصولوجيّة أولى للصّوم الكبير، وأيضاً ذُكصولوجيّة — ثانية أو ثالثة أو رابعة أو خامسة — للصّوم الكبير. فلم

٨- تُسمى ذُكصولوجيّة "ني نيستيا" الصّغيرة.
٩- تُسمى ذُكصولوجيّة "ني نيستيا" الكبيرة.

تحدِّد أي هذه الذُكصولوجيَّات يُقال في الأيام وأيها يُقال في الآحاد.

وقد جاءت ذُكصولوجيَّة **Πιμαρωμι ναγαθοc** "يا محب البشر الصَّالح" في أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب هي الثَّانية في التَّرتيب بين الذُكصولوجيَّات، وبدون تحديد أنها تُقال في التَّوزيع بعد المزمور الـ ١٥٠ في الأيام بلحنها المعروف[١٠].

وهو نفس ما نجده في مخطوطات الأبصلموديَّات[١١] التي أوردت بعضاً من هذه الذُكصولوجيَّات الخمس السَّابق ذكرها، مع قطع توزيع الآحاد، بدون أن تحدِّد أيها يقال في الأيام وأيها يُقال في السُبوت والآحاد. حيث جاءت الذُكصولوجيَّة الرَّابعة السَّابق ذكرها في الأبصلموديَّات المطبوعة **Πιμαρωμι ναγαθοc** هي الثَّانية عند أقلاديوس لبيب، والثَّالثة في مخطوط سنة ١٧٧٤م، والأولى في مخطوط سنة ١٨٠٤م. ممَّا يعني أنها ذُكصولوجيَّة تُقال في الصَّوم الكبير كباقي الذُكصولوجيَّات الأخرى.

ونلاحظ ممَّا سبق ذكره أنَّ الذُكصولوجيَّة الثَّالثة **Δικαιωμα ληλ ενενκωτηρ** في الأبصلموديَّات المطبوعة لم يرد ذكرها في مخطوطات الأبصلموديَّات، وهي في الحقيقة ذُكصولوجيَّة جميلة المبنى بديعة المعنى، أُورد فيما يلي جزءاً منها:

- تعالوا انظروا مخلِّصنا محب البشر الصَّالح، صنع فعل الصَّوم بتواضعه العظيم.
- فوق الجبال العالية بانفراد جسدي، وعلَّمنا المسلك لكي نسلك مثله.

10- Yassa Abd Al-Masih, *Doxologies in the Coptic Church*, dans Bulletin de La Société d'Archéologie Copte (BSAC), t. 6, (1940), p. 38.

١١- مثل مخطوط رقم (١٠٣ طقس)، بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، والذي يعود تاريخه إلى سنة ١٧٧٤م. ومخطوط رقم (١٠٧ طقس) بنفس المكتبة والذي يعود تاريخه إلى سنة ١٨٠٤م.

- أبطل قوَّة العدو وحيله وحججه، وافتضح المخرب أمامه.
- والتَّلاميذ خواصه والرُّسُل الأطهار شهدوا بغلبته على حُجج العدو.
- وربحٌ عظيمٌ كثيرٌ كائنٌ في الصَّوم يمحو الخطايا للذين تدنَّسوا.
- اتركوا الكسل وتنشَّطوا، اطلبوا المحبَّة الأخويَّة، واسعوا نحو المودَّة.
- كمال التَّواضع وبر التَّقوى وغفران الآثام من قبل الصَّوم.
- المتمسِّكون بالصَّوم والصَّلاة دائماً بأيديهم سيوف وأسلحة.
- الذين أرضوا الرَّب الإله بأعمالهم الصَّالحة أحبُّوا نماء الصَّوم واحتمال صبره.

أمَّا عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) فقد رأينا في فصل سابق، أنَّه يذكر ذُكصولوجيَّة واحدة للصَّوم الكبير، وهي ⲑⲙⲛⲧⲥⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲡⲁⲩⲁⲓ وتُقال في أيام الأربعاء والجمعة والآحاد. أمَّا الذُكصولوجيَّتان المعروفتان لنا حالياً، وهما ⲡⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲱ̅ و ⲡⲓⲙⲁⲓⲣⲱⲙⲓ ⲛⲁⲛⲁⲟⲩⲥ فهما عنده إبصاليَّتان واطس على النَّيوطوكيَّة الواطس[١٢]. وإنَّ ابن كبر معه كلُّ الحق حين يذكر أنهما إبصاليَّتان وليس ذُكصولوجيَّتان، لأنهما تحقِّقان كلَّ خصائص الإبصاليَّة كمناجاة وصلاة للرَّب يسوع، وذلك عكس الذُكصولوجيَّة التي هي تمجيد وتطويب، وهو ما ينطبق على الذُكصولوجيَّة الوحيدة التي ذكرها ابن كبر للصَّوم المقدَّس الكبير.

وإنَّ تأليف الإبصاليَّة الواطس الحديثة للصَّوم الكبير، وهي ⲁⲓⲙⲁⲓⲣⲱⲙⲓ ⲛⲧⲉⲛⲉⲣⲛⲏⲥⲧⲉⲩⲉⲓⲛ "تعالوا لنصوم أصواماً كاملة ..." السَّابق ذكرها في بداية هذا الفصل — والتي لا تحمل سمات الإبصاليَّة كصلاة مباشرة للرَّب يسوع - قد زحزحت الإبصاليَّات القديمة الأصيلة للصَّوم، وحلَّت محلَّها، فجعلت منها ذكصولوجيَّات!. فهل من عودة إلى الأصول؟.

فالذُكصولوجيَّة الأولى ⲡⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲱ̅ - والتي ذكر "مخطوط

١٢- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨

ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٩١٠م" أنها ذُكصولوجيَّة للصَّوم، كانت في أصلها إبصاليَّة، تقول:

- أسبِّح مراحمك ياربي إلى أبد الأبد. ومن جيل إلى جيل أخبر بحقّك بفمي.
- آثامي علت على رأسي، وثقلت عليَّ. فيا الله اسمع تنهُّدي واطرحها عنِّي.
- اجعلني مثل العشَّار الذي أخطأ إليك، وترأفت عليه، وغفرت له خطاياه.
- اجعلني مثل الزَّانية التي خلَّصتها وأنقذتها ونجَّيتها لأنها أرضتك أمامك.
- اجعلني مثل اللِّص الذي صُلب عن يمينك واعترف بك هكذا قائلاً:
- اذكرني يا ربي، اذكرني يا إلهي، اذكرني يا ملكي، إذا جئتَ في ملكوتك.
- فأنت يا مخلِّصي قبلت إليك اعترافه، وترأفت عليه وأرسلته إلى الفردوس.
- وأنا أيضاً الخاطئ يا يسوع إلهي وملكي الحقيقي، تحنَّن عليَّ واجعلني كأحد هؤلاء.
- أنا أعرف أنك صالح ورءوف ورحيم. اذكرني برحمتك إلى أبد الأبد[١٣].
- أطلب إليك ياربي يسوع أن لا تبكِّتني بغضبك، ولا برجزك تؤدِّب جهالتي.
- لأنك لا تشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع ويحيا[١٤]. ترائف على ضعفي ولا تنظر إليَّ بغضب.

وتُختم هذه الذُّكصولوجيَّة — التي كانت إبصاليَّة – بختام، ليس هو ختام الذُّكصولوجيَّات المعروف، كما في الذُّكصولوجيَّات الثَّانية والثَّالثة والخامسة، ولكنَّها تُختم هكذا:

- من أجل هذا أطلب إليك أيها الرَّب الإله مخلِّصي، لا تحاكمني أنا الضَّعيف الخاطئ. لكن حل واغفر زلاتي الكثيرة كصالح ومحب البشر، ارحمنا كعظيم رحمتك.

وهذا يرجِّح ما ذكره ابن كبر من قبل على اعتبارها إبصاليَّة وليس ذُكصولوجيَّة. فالإبصاليَّة في طقس الكنيسة القبطيَّة هي صلاة منغَّمة

---

١٣ - هذا الرُّبع هو جزء من أسبَسموس آدام للصَّوم الكبير.
١٤- هذا الرُّبع هو جزء من أسبَسموس واطس للصَّوم الكبير.

موجَّهة إلى الله في أسلوب توسُّلي، وأقدمها يردِّد كثيراً اسم يسوع، الاسم المخلِّص. وجدير بالذِّكر أنّ هذه الذُّكصولوجيَّة لها إبصاليَّة مرتَّبة عليها كما شرحتُ في تسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر للصَّوم الكبير.

وعلى نفس المنوال تنهج الذُّكصولوجيَّة الرَّابعة **Προκαρπιοι Ναταβοσ** والتي هي عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) الإبصاليَّة الواطس الأولى للصَّوم الكبير. وفيما يلي جانبٌ منها:

- يا سيِّدي يسوع، محب البشر الصَّالح، أسألك لا تطرحني على شمالك مع الخدام الخطاة.
- ولا تقل لي أيضاً إني ما أعرفك. اذهب عني أيها المعد للنَّار الأبديَّة.
- لأني أعلم بالحقيقة أني خاطئ، وأعمالي الرَّديئة كلُّها ظاهرة أمامك.
- أقول بصوت العشَّار صارخاً قائلاً: اللَّهم اغفر لي أنا الخاطئ.
- أخطأتُ أخطأتُ يارب يسوع اغفر لي، لأنه ليس عبدٌ بلا خطيئة، ولا سيِّد بلا غفران.
- أعطني يارب توبة لكي أتوب قبل أن يسد الموت فمي في أبواب الجحيم.
- وأعطني أيضاً جواباً عن كل ما فعلته. يسوع القاضي العادل هو يدينني.
- رءوف هو مخلِّصي، يتراءف على شعبه كصالح ومحب البشر، ارحمنا كعظيم رحمتك.

ويتبقَّى لنا من الذُّكصولوجيَّات، الذُّكصولوجيَّة الخامسة **Ηηχτια νεσ πηγαηα** وهي أطولها جميعاً (٣٦ ربعاً)، الخمسة عشر ربعاً الأولى منها تبدأ بعبارة: "الصَّوم والصَّلاة" أو "بالصَّوم والصَّلاة". وسبعة أرباع تبدأ بعبارة: "أبانا الذي في السَّموات". وستَّة أرباع تبدأ بعبارة: "نعم يا سيِّدنا". أمَّا الثَّلاثة أرباع قبل الأخيرة منها فتبدأ بعبارة: "يارب ارحم يارب ارحم". وهي الذُّكصولوجيَّة الوحيدة التي ذكرها ابن كبر (+ ١٣٢٤م).

فتذكر هذه الذُكصولوجيَّة أنَّ الصَّوم والصَّلاة هما سلاح الغلبة، وأنَّ الذي يُرضي المسيح هو الصَّوم والصَّلاة بطهارة وعفاف، ومحبَّة بغير غش، وبغير رياء، وبقلب متواضع، وروح منسحق.

ثمَّ تُعدِّد الذُكصولوجيَّة فعل الصَّوم والصَّلاة، فتقول إنه هما استحق إبراهيم أن يضيف الله مع ملائكته. وهما أُصعد اسحق ذبيحة، معطياً إشارة للمسيح، وخلّص يعقوب من أخيه، وأخذ بركة أبيه. وشُفي أيوب بواسطتهما. وملّك يوسف على مصر، وخلّص من الزَّانية. ورفع الله غضبه عن نينوى، وخلّصهم من خطاياهم. وهما تنبأ الأنبياء والأبرار عن المسيح. وهما كرز الرُّسُل في جميع المسكونة. وهما كشف الله أسراراً عظيمة للصِّدِّيقين ولابسي الصَّليب. وهما نال الشُّهداء الإكليل غير المضمحل، وأُنقذ دانيال من الأسود.

ثمَّ تقول الذُكصولوجيَّة:

- صام مخلّصنا أربعين يوماً وأربعين ليلة، حتى علّمنا الطَّريق التي نخلُص بواسطتها.
- فلنصُم ونصلّي بر وطهارة وضمير ومحبَّة صارخين قائلين:
- أبانا الذي في السَّموات، العارف أفكاري، اذكرني في ملكوت السَّموات كرحمتك.
- أبانا الذي في السَّموات، ليتقدَّس اسمك، ليأت ملكوتك، لأنَّ لك المجد والإكرام.
- أبانا الذي في السَّموات، يا حامل خطيئة العالم، لا تُدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشِّرير.
- أبانا الذي في السَّموات، أسمعنا صوت الفرح، يا حامل الخطيئة، المبارك مع أبيك الصَّالح[١٥].

---

١٥ - هنا يتضح تحوُّل النِّداء من نداء الآب إلى نداء الابن. والطَّقس القبطي لا

– أبانا الذي في السَّموات، ارحمنا كعظيم رحمتك، وأعطنا روح الأنبياء.

ثمّ تستمر الذُّكصولوجيَّة في مناجاة يسوع، والتَّضرُّع إلى اسمه القدُّوس، مبتدئة التَّضرُّع بعبارة: "نعم يا سيِّدنا"، ملقبة إياه بصاحب كنوز التَّحنُّن، أن يقبلنا إليه، ويعطي فرحاً لنفوسنا، وكمالاً مسيحياً يرضيه.

وتُختتم الذُّكصولوجيَّة بعبارة: "فلنسجد لمخلِّصنا الصَّالح محب البشر، لأنه تراءف علينا وأتى وخلَّصنا".

هذا عرض واف لما تضمَّنته ذُكصولوجيَّات الصَّوم الكبير الخمسة من معاني، ويتبعها في عشيَّة الآحاد فقط، ما يوافق من ذُكصولوجيَّات العذراء والقدِّيسين[١٦]، حيث يُكمَّل رفع بخور عشيَّة الآحاد كالعادة. وبعد قراءة الإنجيل يُرد بمرد الإنجيل "أبانا الذي في السَّموات، ليتقدَّس اسمك، ليأت ملكوتك، لأنَّ لك المجد إلى الأبد". أو بالمرد الذي يذكره "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" والذي سبق ذكره في بداية هذا الفصل. أمَّا في رفع بخور باكر أيام الصَّوم المقدَّس الكبير فلا تُقال ذكصولوجيَّات القدِّيسين، بعد ذكصولوجيَّات الصَّوم الكبير، باستثناء ذُكصولوجيَّة العذراء إن قيلت. ولكن حتى إن لم تُقل، فإنَّ ختام الذُّكصولوجيَّات هو نفسه ذُكصولوجيَّة للسيِّدة العذراء.

ينادي المسيح بعبارة: "أبانا الذي في السَّموات"، لأنَّ مخاطبة الآب بأنه أبانا هو بواسطة يسوع المسيح نفسه ابن الآب، والحامل طبيعتنا فيه في ذات الوقت.

ومن ثمَّ فيكون تصحيح هذا الرُّبع "... المبارك مع ابنك الصَّالح".

١٦– في رفع بخور باكر أيام الصَّوم الكبير لا تُقال ذكصولوجيَّات الشُّهداء والقدِّيسين، بل يُكتفى بذكصولوجيَّة الصَّوم، ويعقبها ختام الذُّكصولوجيَّات، وهي ذكصولوجيَّة العذراء Ⲱⲙⲛⲓ ⲛⲉⲟ "كوني أنت ناظرة إلينا من المواضع العالية التي أنت ساكنة فيها يا سيِّدتنا كلنا والدة الإله، العذراء كل حين ..."، حيث يتركز تذكار الشُّهداء والقدِّيسين في سبوت وآحاد الصَّوم الكبير فقط.

الفَصل الثّاني

تسبحة نصف اللّيل والسَّحَر

للصّوم المقدّس الكبير

تسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر للصَّوم الكبير بحسب المخطوطات

يذكر "مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م"، وغيره من مخطوطات ترتيب البيعة، ما يلي:

"صلاة نصف اللَّيل كالعادة **من غير زيادة ولا نقصان**. وعندما تُقال Ⲧⲉⲛⲟⲩⲉⲥ ⲛⲥⲱⲕ [1] تُقال بطريقة Πιπαιρεσις [2] وإذا كانت التَّذاكيَّة واطس يُقرأ لُبشها مثل ذلك[3].

هذا هو التَّرتيب القديم نوعاً لتسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر للصَّوم المقدَّس الكبير[4]، حيث لا تشير مخطوطات ترتيب البيعة إلى الهوس الكبير الذي يُقال في بدء تسبحة نصف اللَّيل في الصَّوم الكبير حالياً.

ولا تشير إلى المجمع، مكتفية بالإشارة إلى مديح للثَّلاثة فتية

١- (تين أوريه إنسوك)، أي: "نتبعك بكل قلوبنا ...".

٢- من المرجح أنَّ طريقة Πιπαιρεσις (بي مايرومي) - أي "يا محب البشر الصَّالح" - التي يذكرها المخطوط، ليس المقصود بها إبصالميَّة الصَّوم الكبير - وهو ما ذكره ابن كبر (+ ١٣٢٤م) بكل وضوح - بل ذكصولوجيَّة الصَّوم الكبير كما نعرفها اليوم. لأنَّ "مخطوط ترتيب البيعة رقم (٧٣ طقس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م"، و"مخطوط دير الأنبا أنطونيوس لسنة ١٦٦١م" يضعانها مع Ⲙⲉⲛⲛⲁ/ⲙⲡⲁⲟⲥ في رفع خور باكر في موضع ترتيل الذكصولوجيَّات.

انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١٣، ٢١

وهذا يوضِّح لنا الوقت التي تحوَّلت فيه هاتان الإبصالميَّتان إلى ذكصولوجيَّتين، وهو القرن الخامس عشر الميلادي تقريباً.

٣- أي بطريقة Πιπαιρεσις .

٤- أنا متعجبٌ من أمانة النَّاسخ القبطي الذي ظلَّ ينسخ ما أمامه من مخطوطات حتى إلى القرن الثَّامن عشر والتَّاسع عشر بل وحتى أوائل القرن العشرين بدون أن يضيف ما استحدث من عناصر ليتورجيَّة أدخلتها بعض الجهات في نواحي مصر، إلاَّ ما ندر. أمَّا في القرن العشرين وحده فإن ما جرى فيه من حذف وإضافة وتعديل على كُتبنا الطَّقسيَّة من جهات متعدِّدة- وبدون توثيق - هو مع الأسف ردَّة إلى الوراء.

القدّيسين وهو Tenotes inoun "تتبعك بكل قلوبنا"، لأنّ المجمع عنصر ليتورجي عُرف بعد القرن الرّابع عشر الميلادي، إذ لم يكن معروفاً عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م).

ولا تشير أيضاً إلى ترتيل الإبصاليّتين الواطس والآدام في تسبحة نصف اللّيل والسَّحَر في الصّوم الكبير كما نمارس اليوم، في حين تذكر المخطوطات الإبصاليّة الواطس في تسبحة عشيّة الأحد، كما سبق أن ذكرتُ ذلك في الفصل السّابق.

وأيضاً لا ذكر لطرح يُقال قبل ختام الثّيؤطوكيّات في تسبحة السَّحَر في الصّوم الكبير. ولكن تذكر مخطوطات ترتيب البيعة حديثاً عن الطّروحات في تسبحة عشيّة الآحاد، وهو ما سبق الإشارة إليه في الفصل السّابق مباشرة.

أمّا اليوم؛ فإنّ تسبحة نصف اللّيل للصّوم الكبير تتبع في ترتيبها التّسبحة السّنويّة، مع إضافة العناصر اللّيتورجيّة المختصّة بالصّوم الكبير، وأوّلها هو الهوس الكبير.

الهوس الكبير للصّوم المقدّس الكبير

وهو يُقال قبل الهوس الأوّل مباشرة، وهو ويشمل ٢١ ربعاً لمجموعة آيات منتخبة من المزامير بحسب التّرجمة السّبعينيّة. ويبتدئ وينتهي بنفس آيات المزامير التي تبتدئ وتنتهي بها هوسات الأعياد والمناسبات الكنسيّة.

أما بداية الهوس الكبير فهي:

"سبّحوا الرّب تسبيحاً جديداً، سبّحوا الرّب وباركوا اسمه، بشّروا من يوم إلى يوم بخلاصه، أخبروا في الأمم بمجده، وفي جميع الشّعوب بعجائبه، لأنّ الرّب عظيمٌ ومسبَّحٌ جداً، مرهوبٌ على كل الآلهة.

اللیلویا" (مزمور ١٠٥:١-٣).

وختامه أيضاً يشير إلى السيِّد المسيح، فيقول:

"فليرفعوه في كنيسة شعبه، وليباركوه على منابر الشُّيوخ، لأنه جعل أنهُرَ مثل الخراف، يبصر المستقيمون ويفرحون. اللیلویا" (مزمور ١٠٦:٢٣، ٣١).

"حلف الرَّب ولم يندم أنَّك أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملشيصادق. اللیلویا" (مزمور ١٠٩:٤).

"يارب خلِّص شعبك، وبارك ميراثك، ارعهم وارفعهم إلى الأبد. اللیلویا" (مزمور ٢٧:١٠).

وفيما يلي نص العشوم الكبير:

- "أينَ أذهبُ من روحك. ومن وجهك أين أهرُبُ. إن صعدتُ إلى السَّماء فأنت هناك. وإن نزلتُ إلى الجحيم فهناك أنت أيضاً. وإن أخذتُ لي جناحين بالغداة وأقمتُهما. وأسكنُ في أواخرِ البحرِ. فإنَّ هناك يدُك تهديني. وتُمسكُني يمينُكَ" (مزمور ١٣٨:٦، ٧).

- "باركي يا نفسي الرَّبَّ. ويا جميعُ ما في باطني ليبارك اسمَه القدُّوس. باركي يا نفسي الرَّبَّ. ولا تنسي جميعَ تسابيحه. الغافرُ لك جميعَ آثامك. الذي يشفي سائرَ أمراضك" (مزمور ١٠٢:١، ٢).

- "إن كنتَ للآثام راصداً يارب، يارب من يثبت. لأنَّ من عندك هو الاغتفار. من أجل اسمك صبرتُ لك يارب. صبرَت نفسي لناموسك. اللیلویا" (مزمور ١٢٩:١، ٢).

- "وكما يترافقُ الأبُ على بنيه. كذلك ترافقَ الرَّبُّ على خائفيه لأنه عَرَفَ جبلتنا. بل مثلُ ارتفاعِ السَّماءِ من الأرض. قوَّى الرَّبُّ رحمتَه على كلِّ خائفيه" (مزمور ١٠٢:١١، ١٢، ١٠).

- "طوباهم الذين تُركت[٥] لهم آثامهم، والذين سُترت خطاياهم. طوبى للرَّجُل الذي لم يحسب له الرَّب خطيئة، ولا في فمه غش" (مزمور ٣١: ١، ٢).

- "قلتُ إني أحفظُ طريقي لئلا أخطئ بلساني. وضعتُ على فمي حافظاً، إذ وقف الخاطئ تجاهي. الليلويا" (مزمور ٣٨: ١).

- "اعبدوا الرَّب بالفرح، ادخلوا أمامه بالتَّهليل. اعلموا أنَّ الرَّبَّ هو إلهنا، هو صنعنا وليس نحنُ، ونحنُ شعبه وغنم رعيَّته. الليلويا" (مزمور ٩٩: ١، ٢)

- "ارحمني يا الله ثمَّ ارحمني، فإنَّ نفسي توكَّلت عليك، وبظل جناحيك أتكلُ إلى أن يعبر الإثم. الليلويا" (مزمور ١: ٥٦).

- "طلبتُ وجهك، ولوجهك يارب ألتمس. لا تصرف وجهك عنِّي، ولا تمل بالرَّجز على عبدك. كن لي معيناً، لا تُقصني ولا ترفضني يا الله مخلِّصي. فإنَّ أبي وأمي قد تركاني، وأمَّا الرَّبُّ فقبلني. الليلويا" (مزمور ٢٦: ١١-١٣).

- "ضع لي يارب ناموساً في طريق حقوقك، فأطلبه كل حين. فهِّمني فأفحص ناموسك. الليلويا" (مزمور ١١٨: ٢٣، ٢٤).

- "أسبِّح وأرتِّل للرَّب. استمع يارب صوتي الذي به دعوتك. ارحمني واستجب لي، فإنَّ لك قال قلبي. الليلويا" (مزمور ٢٦: ٧، ١١).

- "استمع يا الله طلبتي. أصغ إلى صلاتي، لأنك أنت يا الله استمعت صلواتي. أعطيتَ ميراثاً للذين يرهبون اسمك. الليلويا" (مزمور ٦٠: ١، ١١).

- "يا إلهي خلِّص عبدك المتَّكل عليك. ارحمني يارب فإني صرختُ إليك النَّهار كلَّه. فرِّح نفس عبدك، فإني رفعت نفسي إليك يارب، لأنك أنت يارب صالح. الليلويا" (مزمور ٨٥: ٢-٥).

- "ليتراءف الله علينا ويباركنا، وليظهر وجهه علينا ويرحمنا. لنعرف في الأرض طريقك، وفي جميع الأمم خلاصك. الليلويا" (مزمور ٦٦: ١).

٥- وردت أحياناً "غُفرت" كما في مزمور باكر يوم الاثنين من الأسبوع الثالث من الصَّوم الكبير.

– "نحيا نفسي وتسبِّحك، وأحكامك تعينني، ضللتُ مثل الخروف الضَّال، فاطلب عبدك، فإني لوصاياك لم أنس. اللِّيلويا" (مزمور ١١٨: ١٣٧، ١٣٨).

– "سماءُ السَّماء للرَّب، والأرض أعطاها لأبناء البشر. ليس الأموات يسبِّحونك يارب، ولا كلُّ الهابطين في الجحيم، لكن نحن الأحياء الذين نباركك يارب من الآن وإلى الدَّهر. اللِّيلويا" (مزمور ١١٣: ١٩، ٢٠).

إبصاليَّات الصَّوم المقدَّس الكبير

يذكر ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أنَّ إبصاليَّات الصَّوم الكبير هما اثنتان فقط، الأولى هي **Нехнаі ю На** والثَّانية هي **Нынарюи** واللَّتان صارتا ذكصولوجيَّتين بعد دخول طوفان الإبصاليَّات في غضون القرن الخامس عشر الميلادي. ولكن تظل هاتان الإبصاليَّتان – بحسب ابن كبر – هما الوحيدتان اللَّتان تحقِّقان السِّمات الأصيلة للإبصاليَّة.

وفي حين تشير مخطوطات ترتيب البيعة إلى إبصاليَّة واطس للصَّوم الكبير في تسبحة عشيَّة الأحد، لا تشير إلى أي إبصاليَّة آدام.

وتورد الأبصلموديَّات إبصاليَّة آدام للصَّوم الكبير تبدأ بالرُّبع التَّالي:

Гласъ мои къ Господеви вопіяхъ гласъ мои къ Господеви вонмоу мнѣ...	بصوتي صرختُ إليك يا إلهي ...

وتُختم بالرُّبع الذي يقول:

Ѡ покаѧніе и свѣтъ прегрѣшившихъ...	أيها المتحنِّن على الخطاة ...

وتسرد هذه الإبصاليَّة فعل الصَّوم في آبائنا، فتقول: "آباؤنا الأوَّلون أعلمونا أنه من أجل الصَّوم قد فازوا بالخلاص"، حيث تُعدِّد فعله في

داود الذي به نال الغلبة. وبه استنار عقل أخنوخ، ورُفع إلى السَّماء. ومن أجله تحنَّن الله على آدم وحواء. وبه منع إيليا المطر أن ينزل من السَّماء. وبه قَبِل الله ذبيحة إبراهيم، وخلَّصَ به اسحق. وبه نظر يعقوب السُّلَّم. وبواسطته صار يوسف ملكاً على مصر. وبواسطته تكلَّم موسى مع الله، آخذاً اللَّوحين. وبواسطته سمع الرَّبُّ صوت رحال نينوى ... الخ.

سبع إبصاليَّات في تسبحة نصف اللَّيل في الصَّوم الكبير

ولدينا حالياً في كُتُب الكنيسة المطبوعة سبع إبصاليَّات، أربع منها مرتَّبة على الأربعة هوسات، وكلُّها على وزن آدام، ومرتَّبة على الحروف الهجائيَّة القبطيَّة. أمَّا الإبصاليَّة الخامسة فهي إبصاليَّة واطس على المجمع. والسَّادسة هي إبصاليَّة آدام على ثيوطوكيَّة يوم الأحد، تُقال في آحاد الصَّوم الكبير. والإبصاليَّة السَّابعة تُقال على القطعة السَّابعة من ثيوطوكيَّة الأحد، وهي على وزن واطس!، وغير مرتَّبة على الحروف الهجائيَّة.

وهنا يتَّضح لنا عدم الحبك الطَّقسي في ترتيب هذه الإبصاليَّات، ففي حين تأتي الإبصاليَّة التي على الهوس الثَّالث بلحن آدام - وهي دائماً تكون بلحن واطس كما في كل المناسبات الكنسيَّة الأخرى - تأتي الإبصاليَّة التي على القطعة السَّابعة من ثيوطوكيَّة الأحد بلحن واطس، وكان من اللازم أن تكون بلحن آدام. وهناك أيضاً إبصاليَّة ثامنة مرتَّبة على الذُّكصولوجيَّة الأولى للصَّوم الكبير Мекнаі ѩ Наѳ "أمسح مراحمك يا سيِّدي ..."، والتي كانت في أصولها الأولى إبصاليَّة للصَّوم الكبير، وذلك بحسب ما يذكر ابن كبر (+ ١٣٢٤م)[٦].

٦- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨

ولا علاقة بين مضمون أي إبصاليَّة منها، وبين مضمون العنصر اللّيتورجي الذي وُضعت الإبصاليَّة من أجله.

ويتَّضح من أسلوب هذه الإبصاليَّات أنَّها من تأليف العصور الوُسطى، ومعظمها لمؤلِّف واحد لم يذكر اسمه. ولكنَّها لا تختلف في أسلوبها عمَّا نعرفه من إبصاليَّات تُقال في شهر كيهك. وفي معظمها يكرِّر المؤلِّف عبارات: "فلتخلِّصنا يدك من آثامنا وشدائدنا، أحرسنا ونجِّنا من الشُّرور والأوجاع. أبسط يمينك ونجِّنا من الفناء ... الخ".

وتقول **الإبصاليَّة الثَّانية على الهوس الثَّاني** الذي هو مزمور الشُّكر والتَّسبيح: "... إلى أين أذهب أنا الضَّعيف، فالسَّماء والأرض معاً في يديك، لا تأخذني في منتصف أيَّامي، ولا تُهلكني من أجل شروري. نعم أخطأتُ في السَّماء وعلى الأرض، ولم أكن مستحقاً أن أُحسب مع خراف قطيعك. اقبلني إليك يا إلهي كعظيم رحمتك. قُل لنفسي إني أنا هو خلاصك ...". فما هي علاقة هذه الإبصاليَّة بالهوس الثَّاني؟.

أمَّا إبصاليَّة الهوس الثَّالث الذي هو تسبحة الخليقة كلِّها، فتبتدئ بالرُّبع: "تذكَّرتُ خطايا جهلي، فأهملتُ دموعي وجلستُ أبكي". وهي إبصاليَّة تمتلئ بالدُّموع والتَّنهُّد، وتكثر فيها كلمات الخطيئة والجهل والزَّلات والضَّعف. وتتركَّز أرباعها على وصف حالة النَّفس السَّاقطة في ضعفها وعجزها "اجتمعوا معي يا إخوتي وابكوا معي إلى آخر الزَّمان لأني سقطتُ. يارب اصفح عن زلَّات طبيعتي وضعف جسدي ..."[٧].

أمَّا الإبصاليَّة الواطس على المجمع التي تُقال في آحاد الصَّوم الكبير،

٧- انظر كيف تعيد هذه الإبصاليَّات عن روح التَّوبة الكنسيَّة، التي سلكت فيها آباؤنا، لتتحوَّل إلى أنين يتخطَّى حدود الرَّجاء، مبتعدة عن المضمون الأساسي لهدفها. وهذا يفسِّر لنا لماذا سُميت أحان الصَّوم الكبير في القرون الوسطى بأنها "أحان حزينة".

فهي من أكثر الإبصاليَّات إشارة إلى مؤلِّفها الذي سبق أن تعرَّفنا عليه في إبصاليَّات شهر كيهك، وهو نيقوديموس الذي تفتقر إبصاليَّاته عموماً إلى ترابط المعنى وقوَّة التَّعبير. وإن عرفنا أنَّ مجمع التَّسبحة لم يكن معروفاً عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، نعرف أنَّ هذه الإبصاليَّات من نتاج قرون متأخِّرة. وهو نفس ما تنهجه أيضاً **الإبصاليَّة الآدام على الهوس الرَّابع.**

أمَّا الإبصاليَّة الآدام على ثيوطوكيَّة يوم الأحد، والتي تبتدئ بالرُّبع "تعالوا فلنسبِّح مع الملائكة، ونمجِّد ربَّنا يسوع المسيح ..."، فهي أفضل الإبصاليَّات التي أوردها كتاب "إبصاليَّات وطروحات الصَّوم الكبير". وفيما يلي جانبٌ منها:

"فلنصم صوماً نقياً، ونصلِّي بقلب منسحق. تمسَّكوا بالصَّوم والصَّلاة معاً، وقوِّموهما بالطَّهارة التي للقدِّيسين. ملكوت السَّموات لا تكون فريسة مثلما إلاَّ بالصَّوم والغفران. يسوع المسيح ربُّنا صام عنَّا، وعلَّمنا أنْ نتوب. افهموا ذلك اليوم وتلك السَّاعة التي نجيئكم إلى ظلمة القبر. فلتنطق قلوبكم بالتَّماجيد والطَّهارة من قبل الصَّوم. الصَّلاة والصَّوم يطهِّران نفوسنا بالوقوف في الصَّلاة. فلنشكر ربَّنا يسوع لكي يمتِّع قلوبنا إلى السَّماء. جميعُ القدِّيسين صاموا بدون ملل الأربعين يوماً، من أجل نشاطهم وبتوليَّتهم استحقوا الحياة بالصَّوم. احرصوا على الصَّوم بحرص عظيم لأنَّ الصَّلاة بالليل تنير العقول. إذا صمتَ ادهن رأسك واغسل وجهك، وارفع عينيك إلى السَّماء. بقيَّة أيامنا نمدح الصَّوم النَّقي والصَّلاة التي بلا ملل ..."

أمَّا الإبصاليَّة الواطس التي تُقال على القطعة السَّابعة من ثيوطوكيَّة الأحد، فتبتدئ بالرُّبع: "تعالوا جميعاً لنتعلَّم هذه الفضائل العظيمة اللائقة للطَّهارة بالصَّلاة والصَّوم".

وهي إبصاليَّة جيِّدة أوردت فعل الصَّوم والصَّلاة مع داود عندما غُفرت آثامه، ومع دانيال الذي خلُص من الجب: ومع آدم وحواء اللَّذان

ردَّهما الرَّب إلى رتبتهما دفعة أخرى، وإيليا الذي ارتفع إلى السَّماء، وموسى الذي شقَّ البحر، ويونان الذي خلُص من الحوت، ويسوع الذي صام ليعلّمنا بهاء الصَّوم.

وتُختم الإبصاليَّة بالأرباع التَّالية:

- هوذا آباؤنا النُّساك معلّمو الكنيسة كمَّلوا جهادهم بالصَّلاة والصَّوم.
- كلُّ محبّي المسيح، فلنتمسَّكوا بالنُّسك، ونطهِّروا حواسهم بالصَّلاة والصَّوم.
- اغفروا، يغفر لكم آثامكم يا إخوتي، وباكورة يهديكم بالصَّلاة والصَّوم.

أمَّا الإبصاليَّة الواطس المرتَّبة على ذُكصولوجيَّة الصَّوم "أسبِّح مراحمك يا ربي ..."، فهي تبدأ بالرُّبع: "أبتدئ باشتياق أسبِّح الله الأبدي، مراحمك يا سيِّدي أسبِّحها إلى آبد الآبد".

ولقد وزِّعت هذه الإبصاليَّة أرباع الذُّكصولوجيَّة التي رُتِّبت من أجلها ليحتل كلُّ رُبع من أرباع الذُّكصولوجيَّة رُبعان من أرباع الإبصاليَّة، حيث يكون الإستيخون الثَّالث والرَّابع من كل رُبع من أرباع الإبصاليَّة هما نفس إستيخونات أرباع الذُّكصولوجيَّة على التَّوالي. واستطاع المؤلِّف أن يحافظ على تسلسل المعنى في معظم أرباع الإبصاليَّة.

وفي الحقيقة إنَّ ما يلزم الانتباه إليه، هو أنَّ كثرة النُّصوص اللِّيتورجيَّة التي نصلِّيها في الكنيسة في موسم الصَّوم الكبير والتي تحضُّنا على الاهتمام بالصَّوم والصَّلاة والتَّوبة والمحبَّة، ينبغي أن ترتَّل بلغة مفهومة لكلِّ الشَّعب، وحين تُقال باللُّغة القبطيَّة، فإنَّه من اللائق إعادة قراءة ما قيل للتَّو قبطياً باللُّغة العربيَّة، حتى يفهم السَّامعون ما تهدف إليه صلوات الكنيسة. وهذا هو السَّبب الذي لأجله نعتني بإيراد كماً وافياً من نصوص الصَّلوات اللِّيتورجيَّة في دراستنا الطَّقسيَّة هذه.

الفَصل الثّالث

قدّاسات آحاد الصّوم المقدّس الكبير

طقس قدّاسات آحاد الصّوم الكبير بحسب مخطوطات ترتيب البيعة

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

ترتيب يوم الأحد الأوّل من الصّـــوم المقدّس. يُقال الليلويـــا Χε ⲛⲓⲙ وتُقال ⲫⲛⲉⲧⲓ باللّحن. ووقت بخور البولس Cωοπε ⲧⲁⲓ ⲯⲱⲙⲧⲣ وبعده ⲧⲉⲛⲟⲧⲱⲩⲛ . وتُقرأ الفصول قبطياً وعربياً. وعند قراءة الإبركسيس عربي تُقال Ⲙⲉⲧⲁⲗⲟⲩ . ثمّ تُقال أحيوس الثّلاثة. وبعدهم بالتّاقوس

ⲡⲛⲉⲃⲟⲓⲥ ⲓ̅ⲏ̅ⲥ ⲡ̅ⲭ̅ⲥ ⲉⲣⲙⲏⲧⲉⲧⲛⲓⲛ ..	ربُنا يسوع المسيح صام ...
ⲁⲛⲟⲛ ⲉⲱⲛ ⲛ̀ⲁⲣⲉⲛⲉⲣⲙⲏⲉ ..	ونحن أيضاً فلنصم ...
Χε ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ..	أبانا الذي في السّموات ...
ⲛⲓⲭⲉⲣⲟⲩⲃⲓⲙ ..	الشّاروبيم ...

وبعد ذلك يقول الكاهن أوشيّة الإنجيل، ويُطرح المزمـــور. ويُقـــرأ الإنجيل قبطياً ويُفسَّر عربياً. ويُرد بهذا الرُّبع:

ⲛⲉⲱⲧⲉⲛ ⲁⲉ ⲛⲉⲧⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲟⲩⲱⲛ : ⲭⲉ ⲧⲉⲧⲉⲛⲉⲣⲭⲣⲓⲁ ⲛ̀ⲛⲁⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ : ⲡⲁⲏⲛ ⲕⲱⲧ ⲛ̀ⲥⲁ ⲧⲉⲕⲙⲉⲧⲟⲩⲣⲟ : ⲛⲁⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲥⲉⲛⲁⲟⲩⲱⲟ ⲉⲣⲱⲧⲉⲛ.	أمّـــا أنـــتم فـــأبوكم يعرف، أنّكم تحتـــاجون إلى هذه كلّها. فـــاطلبوا ملكوته، وهـــذه كلُّهـــا سوف تُزادُ لكم.

والأسبَسموس

ⲁⲣⲓⲁⲥⲡⲁⲍⲉⲥⲑⲉ	قبّلوا ...
ⲫⲱⲛⲓ ⲉⲣⲉⲧⲉⲛⲥⲉⲃⲧⲱⲧ	كونوا مستعدّين

وعند الانتهاء، الليلويا ⲥⲛⲟⲩ ⲉⲑⲣⲏ بطريقة الحدود السنوية. وبعدها تُقال ⲭⲉ ⲫⲓⲱⲁⲣⲙⲟⲩⲧ بلحنها الكبير المعروف بحدود الصوم. وبعدها تُقال باللحن ⲭⲉ ⲛⲉⲛⲓⲱⲧ وبعدها ⲟⲩⲛⲓⲙⲓ ⲙⲙⲁⲣⲧⲩⲣⲟⲛ. ويقولون ما يلائم الصوم إلى انتهاء التوزيع يقولون الليلويا ذكصابتري ⲇⲁⲩⲓⲇ ⲉⲃⲟⲗ ثم يأخذون التسريح، وينصرفون بسلام.

(إلى هنا نص المخطوط).

شرح طقس صلوات قدّاسات الآحاد في الصوم الكبير

مرد دورة الحَمَل في قدّاسات آحاد الصوم الكبير

في دورة الحَمَل تُقال الليلويا ⲭⲉ ⲫⲛⲉⲩⲧⲓ (حي أفميني)، وهو نفس الترتيب الذي يخبرنا به البابا غبريال الخامس (١٤٠٩- ١٤٢٧م) منذ القرن الخامس عشر الميلادي[1]، حيث يقول: "... وهم يرتّلون الليلويا ⲫⲁⲓ ⲛⲉ (فاي بي) أو غيرها، كل وقت ما يلائمه. الإفطار جميعه، والحدود والخمسين ⲫⲁⲓ ⲛⲉ وأمّا صوم الميلاد وحدود الصوم الكبير وصوم التلاميذ وصوم العذراء الليلويا ⲭⲉ ⲫⲛⲉⲩⲧⲓ وكذلك الأربعاء والجمعة بطول السنة. وأمّا أيام الصوم الأربعين المقدّسة وثلاثة أيام يونان فيقولون الليلويا ⲥⲓⲉⲓ ⲉⲃⲟⲩⲛ والليلويا ⲇⲣⲓⲫⲛⲉⲩⲧⲓ ... الخ". وهنا لا يذكر البابا غبريال مرداً آخراً ذكرته مخطوطات ترتيب البيعة، وهو المرد الذي بدايته ⲁⲛⲟⲕ ⲇⲉ ⲕⲁⲧⲁ ⲡⲁⲓⲱⲁⲓ.

لحن ⲥⲱⲟⲩⲥ ⲁⲙⲏⲛ (سوتيس آمين) أي "خلُصتَ حقاً"

بعد صلاة الشُكر تُقال ⲥⲱⲟⲩⲥ ⲁⲙⲏⲛ بلحنها السنوي المعتاد، وبعد تحليل الخدّام يُكمّل باقي كلمات المرد: "خلُصتَ حقاً ومع روحك أيضاً".

١- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٦٣

لحن العذراء

ثمّ تُقال ⲧⲁⲓⲯⲟⲩⲣⲏ (تاي شوري) كما تذكر مخطوطات ترتيب البيعة. وفي الحقيقة فإنّ البابا غبريال الخامس في حديثه عن طقس القدّاس الإلهي على مدار السّنة اللّيتورجيّة يقول: "وبعد ⲥⲱⲟⲩⲥ ⲁⲛⲛⲏ يرتّلون ثمّا لحن ⲡⲉⲟ ⲧⲉ ⲧⲯⲟⲩⲣⲏ وإمّا يقولون ⲧⲁⲓⲯⲟⲩⲣⲏ للعذراء إن كان ثم مهل"[٢]. فواضح هنا أنه لا مانع أبداً من ترديد لحن ⲡⲉⲟ ⲧⲉ ⲧⲯⲟⲩⲣⲏ في قدّاسات آحاد الصّوم الكبير، لسبب بسيط هو أنّ هذا اللّحن هو الرّبع الأوّل من القطعة السّادسة من ثيوطوكيّة الأحد. أو يحل طلّه لحن ⲧⲁⲓ ⲯⲟⲩⲣⲏ على اعتبار أنّ هناك متّسعاً من الوقت في قدّاسات الآحاد. وهو ما يعني أيضاً أنّ لحن ⲧⲁⲓ ⲯⲟⲩⲣⲏ كان يُقال في كلّ قدّاس على مدار السّنة الطّقسيّة بدون حصره في قدّاسات الآحاد فقط.

أمّا اليوم فإنّ لحناً مختصراً لم يذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٠م)، وهو لحن ⲧⲯⲟⲩⲣⲏ (تي شوري)، قد حلّ محل لحن ⲧⲁⲓ ⲯⲟⲩⲣⲏ في قدّاسات آحاد الصّوم الكبير، وحلّ أيضاً محل لحن ⲡⲉⲟ ⲧⲉ ⲧⲯⲟⲩⲣⲏ في قدّاسات أيام السّنة اللّيتورجيّة. حيث انحصر لحن ⲡⲉⲟ ⲧⲉ ⲧⲯⲟⲩⲣⲏ في قدّاسات أيام الصّوم الكبير فقط.

وهذا اللّحن المختصر ⲧⲯⲟⲩⲣⲏ (تي شوري) قد ورد ذكره في مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" أثناء الحديث عن طقس قدّاس الإلهي على مدار السّنة اللّيتورجيّة في حالة خدمة الأب البطريرك قدّاس، فيقول بعد تحليل الخدّام، ما يلي: "وعند نهايته يبتدئ الكهنة قراءة ⲧⲁⲓ ⲯⲟⲩⲣⲏ وبعدها ⲧⲯⲟⲩⲣⲏ".

٢- نفس المرجع، ص ٧١

وعموماً فإنّ الثّلاثة مردّات السّابق ذكرها، كلّها مـــردّات تختـــص بالعذراء، وتحمل نفس المعنى.

فالمرد الأوّل ⲛⲉⲟ ⲧⲉ ⲑⲩⲙⲟⲩⲣⲡ (إنتو تي تيشوري)، يقول: "أنت هي المجمرة الذّهب النّقي، الحاملة جمر النّار المبارك".

والمرد الثّاني ⲧⲁⲓ ⲙⲩⲙⲟⲩⲣⲡ (تاي شوري)، يقول: "هذه المجمرة الذّهب هي العذراء وعنبرها هو مخلصنا، قد ولدته وخلّصنا وغفر لنا خطايانا".

والمرد الثّالث ⲑⲙⲩⲙⲟⲩⲣⲡ (تي شوري)، يقول: "المجمرة الذّهب هي العذراء، وعنبرها هو مخلّصنا، قد ولدته وخلّصنا، وغفر لنا خطايانا".

ولاحظ هنا قارئي العزيز أنّ المردّين الثّاني والثّالث يحمـــلان نفـــس الكلمات تماماً، وأمّا الفارق بينهما فهو أنّ المرد الثّالث يُقال بلحن مختصر ليس إلاّ. ومن ثمّ فإنّه يمكن أن يحل أيهما محل الآخر، بحســـب اتســـاع الوقت. ولعلّ هذا هو السّبب الذي لأجله لم يُذكر هذا المرد الثّالث عند البابا غبريال الخامس. أمّا المرد الأوّل والذي ظلّ إلى قرون طويلة هو المرد الذي يُقال على مدار السّنة اللّيتورجيّة كلّها، فيحمل معنى جديداً، لم يرد في المردّين الآخرين.

فالسّيّدة العذراء في الثّلاث مردّات السّابقة هي المجمرة الذّهب، كما تقول ثيوطوكيّة الأحد: "حينئذ لا أخطئ في شيء إذا دعوتـــك المجمـــرة الذّهب، فتلك يُرفع بها البخور المختار أمام الأقداس، ويرفـــع الله هنـــاك خطايا الشّعب من قبل المحرقات ورائحة البخور. وأنت أيضاً يا مـــريم، حملت في بطنك، غير المنظور، كلمة الآب. هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصّليب عن خلاص جنسنا".

والسّيّد المسيح له المجد في المرد الأوّل هو جمر النّار في هذه المجمـــرة،

حيث تشرح ثيوطوكيّة الأحد هذا الأمر بقولها: "أنت هي المجمرة الذّهب النّقي حاملة جمر النّار المبارك، الذي يؤخذ من المذبح، يطهّر الخطايا ويمحو الآثام، أي الله الكلمة الذي تجسّد منك، ورفع ذاته بخوراً إلى الله أبيه". وفي المردّين الثّاني والثّالث المسيح هو عنبر هذه المجمرة أي بخورها ورائحتها الذّكية، كما تقول ثيوطوكيّة الأحد: "شبّهوا المجمرة الذّهبيّة بالعذراء، وعنبرها بعمانوئيل". وتوحز ثيوطوكيّة الأحد معنى الثّلاثة مردّات السّابقة في رُبع واحد فتقول: "المجمرة الذّهبيّة الحاملة جمر النّار، والبُخور المختار العنبري".

لقد فاحت رائحة المسيح الذّكيّة على نار الآلام والصّليب، فاشتمّها الآب رائحة سرور ورضا عن خلاص العالم كلّه وغفراناً له. فمن قبل مريم ابنة يواقيم عرفنا الذّبيحة الحقيقيّة لمغفرة الخطايا. وهكذا ينطبق المعنى غاية التّطابق في الثّلاثة مردّات.

وفي سبوت وآحاد الصّوم يعقب لحن العذراء، الهيتنيّات، وأوّل ذكر لها ورد في كتاب "خدمة الشمّاس والألحان" الموجود بين أيدينا الآن[٣].

مرد الإبركسيس

أمّا مرد الإبركسيس الذي لم يكن يتغيّر أبداً على مدار السّنة اللّيتورجيّة مهما تغيّرت المناسبات الكنسيّة، بحسب شهادة البابا غبريال الخامس[٤] (١٤٠٩- ١٤٢٧م)، والذي انحصر الآن في قدّاسات أيام الصّوم المقدّس الكبير فقط، فهو لحن ⲧⲉⲛ ⲱⲁⲣⲉ (شاري إفنوتي)،

٣- تفصيلات أوفر عن هذه الجزئيّة، انظر للمؤلّف كتاب: "القدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله".

٤- نفس المرجع، ص ٧٢

ويؤكد ذلك أيضاً مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير البراموس لسنة ١٥١٤م، الذي يقول عن مرد الإبركسيس السّنوي المعتاد: "وعند قراءة الكاثوليكون يرتّلون ⲧⲉⲛ ⲱⲁⲣⲉ" (انظر: الأنبا صموئيل، الجزء الأوّل، مرجع سابق، ص ٢٢).

"يرفع الله هناك خطايا الشّعب من قبل المحرقات ورائحة البُخور". وخير دليل على أنه كان مرداً للإبركسيس في قدّاسات الآحاد أيضاً، أنّه هو الرُّبع الثّامن من القطعة السّادسة من ثيوطوكيّة الأحد نفسها.

ومرد الإبركسيس هنا يشرح ما يمارسه الكاهن للثّو عند المذبح حين يرفع البُخور قائلاً: "اقبل منّا نحن أيضاً يا سيّدنا محرقة هذا البُخور، وأرسل لنا عوضه رحمتك ذات الغنى ...". ثمّ يدور بالبُخور حول المذبح ثلاث مرّات. ولاحظ هنا مدى التّطابق بين ما يقوله الكاهن ويمارسه عملياً في داخل الهيكل، وبين ما يردّده الخوروس في ذات اللّحظة خارج الهيكل.

أمّا مرد الإبركسيس اليوم في قدّاسات آحاد الصّوم فهو: "اذكرني يارب، اذكرني يا إلهي، اذكرني يا ملكي إذا جئتَ في ملكوتك". وهو أحد أرباع ذُكصولوجيّة الصّوم المقدّس الكبير الأولى. وهنا خرج هذا المرد في معناه عمّا يلزم أن يحويه مرد الإبركسيس من معنى محدّد. وهو ما حدث في كثير من مردّات الإبركسيس الأخرى.

السّنكسار

بعد قراءة فصل الإبركسيس يُقرأ السّنكسار في قداسات سبوت وآحاد الصّوم الكبير دون أيامه. وهو تقليد شرقي قديم يعود إلى القرن الرّابع الميلادي كما سبق أن ذكرتُ. ويقول القانون رقم (٥١) من قوانين مجمع اللاذقيّة (٣٤١-٣٨١م) في ذلك: "لا ينبغي الاحتفال بذكرى الشّهداء في صيام الأربعين، بل ينبغي القيام بذكرى الشّهداء القدّيسين في السّبوت وأيام الرّب"[٥]. إلاّ أنّ "مخطوط ترتيب البيعة رقم

5- Cf. also, Burmester, O.H.E. KHS, *The Greek Kirugmata, Versicles and Responses and Hymns in the Coptic Liturgy*, Roma 1936, p. 386.

(١١٧ طقوس)" لم يشر إلى قراءة السِّنكسار.

لحن "ميغالو" وتصحيحٌ يلزم تداركه

وهو اللَّحن الرَّئيسي في الصَّوم المقدَّس الكبير، ويُقال في آحاد الصَّوم المقدَّس الكبير[٦]. وهو حتى اليوم يُقال باليونانيَّة، وكل كلماته تختص بالسيِّد المسيح له المجد، باعتباره رئيس الكهنة العظيم. كما تلقِّبه رسالة العبرانيِّين بتعبير: «رئيس كهنة الخيرات العتيدة».

وفيما يلي نص اللَّحن باليونانيَّة مترجماً إلى العربيَّة:

Μεγάλος σύ ἀρχιερεὺς εἰς τοὺς αἰῶνας ἄχραντος ἅγιος ὁ θεὸς,	أنت رئيس الكهنة العظيم إلى الآباد، الطَّاهر. قدوسٌ الله.
κατά τὴν τάξιν τοῦ Μελχισεδέκ τέλειος, ἅγιος ἰσχυρὸς,	على طقس ملكي صادق الكامل. قدوسٌ القوي.
ὁ σαρχωθέντα ἐκ πνεύματος ἁγίου καὶ ἁγίας Μαρίας τῆς παρθένου, μέγα το μυστήριον, ἅγιος ἀθανατος, ἐλέησον ἡμᾶς.	المتجسِّد من الرُّوح القُدُس ومن القدِّيسة مريم البتول بسرٍّ عظيم. قدوسٌ الذي لا يموت. ارحمنا.

ويتَّفق النَّص اليوناني السَّابق ذكره مع تدوينه بحروف قبطيَّة، ولكن باستثناء كلمتين منه فقط يحتاجان إلى التَّصحيح.

الكلمة الأولى: وهي كلمة Μεγάλος (ميغالو)، حيث وردت في القبطيَّة في صيغة المضاف إليه من الصِّفة Μεγάλος (ميغالوس) أي: "عظيم". ولا يمكن لغوياً أن تأتي الكلمة اليونانيَّة Μεγάλου (ميغالو) أو

٦- كل ما يُقال في آحاد الصَّوم المقدَّس الكبير يُقال في جمعة ختام الصَّوم مع استثناءات قليلة سأعرضُ لها في حينها.

المقابل لها بالقبطيّة Ⲙⲉⲅⲁⲗⲟⲩ في صيغة المضاف إليه. أمّا التّعبير الصّحيح فلابد أن يكون σὺ Μεγάλος (ميغالوس سي) أي: "أنت العظيم"، حيث تأتي مع ما يعقبها من كلمات بمعنى: "أنت رئيس الكهنة العظيم ..."؛ وحفاظاً على اللّحن يمكن اعتبار كلمة Μεγάλος (ميغالوس) تصحيحاً وافياً لكلمة Μεγάλου (ميغالو) بدون إضافة الضّمير σὺ (سي) أي: "أنت"، حيث يُفهم المعنى ضمناً.

الكلمة الثّانية: وهي كلمة ἄχραντος (أكرانتوس) حيث يلزم أن تجيء هنا في صيغة المفرد المذكّر العاقل، وليس كما وردت في التّرجمة القبطيّة ⲁⲕⲣⲁⲛⲧⲟⲛ (أكرانتون) والتي تفيد المفرد المحايد.

واللّحن بكامله هو ثلاثة أرباع، كما سبق ذكرها، ولكن في العادة لا يُقال منه حالياً سوى الرّبع الأوّل فقط "رئيس الكهنة العظيم إلى الآباد. قدوسٌ الله"، حيث يؤخذ من الرّبع الثّاني عبارة "قدوسٌ القوي"، ومن الرّبع الثّالث عبارة "قدوسٌ الذي لا يموت، ارحمنا"، حيث يكمّل مباشرة بعد ذلك بالأرباع القبطيّة التي تعقب هذا اللّحن، والتي تُسمّى "أسبَسموس ميغالو"، أو بالحري "أسبَسموس ميغالوس".

"أسبَسموس ميغالوس" وموقعه الطّقسي الصّحيح

وهذا الأسبَسموس يتكوّن من أربعة أرباع هي:

- ربُّنا يسوع المسيح صام عنّا أربعين يوماً وأربعين ليلة حتى خلّصنا من خطايانا.
- ونحن أيضاً فلنصُم بطهارة وبر ونصلّي صارخين قائلين:
- أخطأتُ أخطأتُ ياربي يسوع اغفر لي، لأنه ليس عبدٌ بلا خطيئة، ولا سيّد بلا غفران.
- أبانا الذي في السّموات، ليتقدّس اسمُك، ليأت ملكوتُك، لأنّ لك

المجد إلى الأبد[٧].

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ كافة مخطوطات ترتيب البيعة، وكذلك كُتُب الصّلوات الكنسيّة المطبوعة في أوائل القرن العشرين، تشير كلُّها إلى أنّ ترتيب الصّلاة في هذه الجزئيّة من الطّقس هو:

- لحن ميغالوس.
- الثّلاثة تقديسات.
- أسبَسموس ميغالوس "ربُّنا يسوع المسيح صام عنّا ... الخ".

أمّا اليوم — وبعد ظهور كتاب خدمة الشمّاس والألحان والتي قامت بطبعه جمعيّة نهضة الكنائس القبطيّة الأرثوذكسيّة، ومراجعة القُمُص عبد المسيح البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) — فقد انتقلت أرباع أسبَسموس ميغالوس لتُقال قبل الثّلاثة تقديسات وليس بعدها. وهو أمرٌ يمكن قبوله أمّا الأمر غير المقبول مطلقاً، والحادث الآن في كثير من الكنائس، فهو ذلك التّداخل بين الثّلاثة تقديسات وبين أسبَسموس ميغالوس، وهو التّداخل الذي لم يكن معروفاً حتى ظهور كتاب "خدمة الشمّاس والألحان" السّابق ذكره، والذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٨م.

أمّا سبب هذا اللّبس الذي حدث، فهو أنّه في حال ترتيل "لحن ميغالوس"، والاكتفاء بالرُّبع الأوّل منه كالعادة، يكمِّل المرتِّلون دائماً العبارتين الأخيرتين من الرُّبعين الثّاني والثّالث قائلين: "قدوسٌ القوي قدوسٌ الذي لا يموت ارحمنا". ثمّ تأتي أرباع "أسبَسموس ميغالوس".

ولكن حين يُراد إغفال ترديد اللّحن والاكتفاء بترتيل أرباع

٧- يورد كتاب "خدمة الشمّاس والألحان" رُبعان يختصّان بالسيّدة العذراء. لا يُرتلان حالياً.

"أسبَسموس ميغالوس" كما تمارس معظم – بل كُل – الكنائس الآن في قدّاسات أيام الصَّوم الكبير. فعوض كلمات اللّحن نفسه التي يُختم بها كلّ رُبع من أرباعه الثّلاثة، وهي: "قدوسٌ الله"، و"قدوسٌ القوي"، و"قدوسٌ الذي لا يموت ارحمنا"، فقد جعل البعض – عن غير معرفة – مقدّمة أرباع "أسبَسموس ميغالوس" هي الرُّبع الأوّل من مرد آخر تماماً وهو الثّلاثة تقديسات، حيث انتزعوا الرُّبع الأوّل من الثّلاثة تقديسات، والذي يقول: "قدوسٌ الله، قدوسٌ القوي، قدوسٌ الذي لا يموت، **الذي وُلد من العذراء**، ارحمنا"، ووضعوه كمقدّمة لأرباع "أسبَسموس ميغالوس"، وفي نهايتها يكمّلون الرُّبعين الثّاني والثّالث من الثّلاثة تقديسات!!.

هذا التّداخل بين الثّلاثة تقديسات وبين أرباع "أسبَسموس ميغالوس" لم يحدث هنا فقط، في الصَّوم المقدّس الكبير، بل وفي معظم الأعياد الكنسيّة الكُبرى التي تحوي أرباعاً تُقال على وزن "أسبَسموس ميغالوس".

ومن ثمّ فإنّ التّصحيح الذي يلزم هو أنّه في حالة عدم ترتيل "لحن ميغالوس" تُقال أرباع "أسبَسموس ميغالوس" في البداية مباشرة، والتي بدايتها: ⲡⲉⲛⲟⲩⲥ ⲓⲏⲥ ⲡⲭⲥ "ربُّنا يسوع المسيح ..." ويعقبها الثّلاثة تقديسات.

سبب عدم وجود مرد مميَّز للمزمور في الصَّوم الكبير

نلاحظ أنّه لا وجود للحن أو لمرد مميَّز للمزمور الذي يسبق فصل الإنجيل في فترة الصَّوم المقدّس الكبير – كما في شهر كيهك مثلاً – والسّبب في ذلك هو أنّ قدّاسات الآحاد في الصَّوم الكبير ظلّت إلى عهد قريب يغلب عليها طابع اللّحن السّنوي، كما في لحن العذراء الذي يعقب تحليل الخدّام، ومرد الإبركسيس، واللّي التّوزيع، وختام الصّلوات، فهذه كلّها، كانت تُقال باللّحن السّنوي.

سقوط مردّات فصول أناجيل قدّاسات آحاد الصوم الكبير

أمّا عن مردّات أناجيل قدّاسات الآحاد، فقد أورد "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" مرد إنجيل قدّاس الأحد الأوّل من الصوم في أثناء شرحه لترتيب صلوات السُبوت والآحاد. ثمّ يورد في نهاية الشرح مردّات الأناجيل المختصّة بالسُبوت والآحاد في عشيّة وباكر والقدّاس على مدى الصوم المقدّس كلّه. وهو نفس ما تذكره كل مخطوطات ترتيب البيعة الأخرى السّابق الإشارة إليها[٨].

وقد اختصّ الفصل التّالي مباشرة من هذا الكتاب الذي بين يديك بنص هذه المردّات قبطياً وعربياً.

أمّا عادة الكنائس الآن — بعد ظهور كتاب خدمة الشمّاس والألحان السّابق ذكره - فهي أنّ مرد إنجيل القدّاس صار هو نفسه مرد إنجيل عشيّة أو باكر، ولكن باللّحن الكبير، وهو مرد: "أبانا الذي في السّموات، ليتقدّس اسمك، ليأت ملكوتك، لأنّ لك المجد إلى الأبد". فاختُزلت هذه المردّات كلّها في مرد واحد وحيد، فغاب عنّا جزءٌ عزيزٌ من تراثنا اللّيتورجي.

الأسبَسموسات التي تُقال في الصوم المقدّس الكبير

وهي تختلف من كنيسة إلى أخرى، ومن مخطوط إلى آخر. وقد سبق أن أوردتُ ما يقال منها بحسب ما يذكره "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)". أمّا الأسبَسموس الشّهير في هذه المناسبة فهو: "لأنك لا تشاء موت الخاطئ، مثل أن يرجع ويحيا نفسه. ردّنا يا الله إلى خلاصك، واصنع

٨- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٢٩ وما بعدها.

معنا كصلاحك"[٩]. وهذا الأسبسموس أورده "مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م"، "مخطوط السُّريان لسنة ١٦٩٨م".

التّوزيع في قدّاسات آحاد الصّوم الكبير

يذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)"[١٠] أنّ المزمور المائة والخمسين يُقال باللّحن السّنوي في توزيع السُّبوت والآحاد. ولكن حيث أنّ هذا المزمور يُقال حالياً في جميع الكنائس وبدون استثناء بلحن الصّوم الكبير، فليس هناك ما يمنع أبداً من ترديد "الليليويا الصّيامي" الذي يسبق هذا المزمور. فكون أنّ التّعليمات الطّقسيّة – بحسب المخطوطات – تقول بأنّ "الليليويا الصّيامي" يُقال في قدّاسات أيام الصّوم الكبير فقط، فقد كان ذلك بسبب أنه لا يستقيم أن يُقال "الليليويا الصّيامي" في قدّاسات الآحاد، ثمّ يعقبها المزمور الـ ١٥٠ باللّحن السّنوي بحسب نفس هذه التّعليمات الطّقسيّة.

ولاسيّما أنّ جميع ألحان "اللّي التّوزيع" في كافة المناسبات الكنسيّة الأخرى تُقال في قدّاسات السُّبوت والآحاد كما في الأيام أيضاً، وهو ما نراه في شهر كيهك، وفي الأعياد السّيديّة الكبرى والخمسين المقدّسة.

وهنا أيضاً نجد أنه لم يصبح هناك فرق كبير بين قدّاسات الأيام وقدّاسات السُّبوت والآحاد في الصّوم المقدّس الكبير.

وبعد المزمور المائة والخمسين، يقال Ⲁⲛ ⲉⲓⲥⲁⲣⲡⲱⲟⲩⲧ (حي إفسماروأوت) بلحن الصّوم، ويعقبها أرباع قبطيّة بديعة المعنى تُقال في التّوزيع هي:

٩- وهو يُقال أيضاً في صوم نينوى (انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٢١).

١٠- ويتّفق معه مخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م، مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م. (انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٢٨).

سرٌّ عظيمٌ يفوق عقول البشر، هو سعي مخلّصنا الذي أتى وصار ابن بشر.
محب البشر الصّالح الذي عال إسرائيل أربعين سنة في البريّة أتى وصار ابن بشر.
ولمّا أكمل التّواضع بعد ثلاثين سنة من الزّمان، اعتمد وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة.
وكان مع الوحوش[١١] لمّا صام في البريّة، لكي نصنع مثله في زمن وحدتنا.
تعالوا نصرخ نحوه ونبكي أمامه صارخين قائلين كما علّمنا:
أبانا الذي في السّموات، ليتقدّس اسمُك في كل جيل وجيل وإلى أبد الأبد.
الجسدُ والدّمُ اللّذان لك هما لمغفرة الخطايا، مع العهد الجديد الذي أعطيته لتلاميذك.
فنحن أخذنا منهم هذا المثال الذي أعطيته لهم، لكي نصنعه في كل حين إلى مجيئك الثّاني.
الآن تناولنا من جسدك ودمك الحقيقيين، تجديداً لقلوبنا وغفراناً لخطايانا.
اطرد الشياطين عنّا لنكمّل بسلام، لأنه ليس لنا سواك في ضيقاتنا وشدائدنا.
لأننا نحن شعبك وغنم قطيعك. تجاوز عن آثامنا كصالح ومحب البشر.
واجعلنا مستحقّين نعمتك أيها المخلّص في هذه الأيام، ونحن بلا خطيئة مع صوم نقي.
ولنحب بعضنا بعضاً ونصنع التّواضع لأنّنا بالمحبّة نكمّل الوصايا.
النّاموس والأنبياء هما المحبّة التي بغير رياء، لأننا من قبل المحبّة ننال المغفرة.
اجعل أبواب الكنائس مفتوحة لنا وكمّلنا في الإيمان المستقيم، لكي ننال الوعد الصّادق من قبلك.
القائل: تعالوا إليّ يا مباركي أبي، رثوا الحياة الدّائمة إلى الأبد.

ويُقال ما يلائم من المدائح إلى انتهاء التّوزيع.

ختام الصّلوات في قدّاسات آحاد الصّوم الكبير

ختام الصّلوات في قدّاسات السّبوت الآحاد، هو نفسه ختامها في

---

١١ – يا للوحوش الرّابضة في أعماقنا. فبالحق هي أشرس من وحوش البريّة التي صام بينها ربُّنا يسوع المسيح.

قدّاسات أيام الصّوم الكبير، أي يُقال:

"المجد للآب ... الآن ... هذا هو جسدُ ودمُ الإله الوحيد، هذان اللّذان تناولنا منهما، فلنشكره، ولنسبّح مع الملائكة وطغمات العلاء وصفوف الأبرار صارخين قائلين: يا من صام عنّا، أربعين يوماً وأربعين ليلة، اقبل إليك الصّوم، واغفر لي آثامي بطلبات وشفاعات سيّدتي القدّيسة مريم.

خلّصنا وارحمنا. يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك. آمين. باركوني، أسأل اغفروا لي. قل البركة".

أمّا السّبب في ذلك، فهو أنّ ختام الصّلوات في قدّاسات آحاد الصّوم الكبير كان حتى عهد قريب يجري بالطّقس السّنوي، أي يُقال فيه الختام السّنوي لأي قدّاس على مدار السّنة اللّيتورجيّة، أمّا اليوم فبعد أن صار ختام قدّاسات آحاد الصّوم بالطّقس الصّيامي، فإنّ الختام السّابق ذكره هو الذي يُقال، وليس ختامٌ غيره، بدعوى أنّ التّعليمات الطّقسيّة جعلته مختصاً بأيام الصّوم الكبير دون سبوته وآحاده. لأننا لم نلتزم بنفس هذه التّعليمات الطّقسيّة التي جعلت ختام صلوات قدّاسات الآحاد بالطّقس السّنوي.

صلاة مساء الأحد في الصّوم المقدّس الكبير

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)":

"ثمّ يحضرون إلى البيعة يوم الأحد في الحادية عشرة. ويبتدئون بصلاة عشيّة كالعادة. إلى آخر مزامير النّوم يقرأون ⲡⲓⲱⲟⲩ ⲉⲛⲟⲩ[١٢] ويقولون ⲉⲃⲟⲗ ϩⲁ ⲛⲓⲃⲉⲛ[١٣] ويقولون ⲁⲛⲁⲡⲁⲩⲥⲓⲥ ⲛⲟⲩⲟⲕ

١٢- أي المزمور الرّابع.

١٣- أي إبصاليّة الأحد سنوي.

ⲉⲧⲃⲏⲟⲓ[١٤] إلى آخر ⲙⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲛⲟⲩⲧ†[١٥] . يُرفع البخور كالعادة وتقال ⲙⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲟⲩ[١٦] بلحن الأحد ملخَّص. وتُقال ⲧⲉⲛⲃⲱⲓⲥ ⲙ̀ⲙⲁⲓ[١٧] والأمانة. ويرفع الكاهن الصَّليب ثمّ يقولون كيرياليصون. ثمّ يقولون أوشيَّة الإنجيل، ويُطرح المزمور، ويُقرأ الإنجيل، ويُرد بمرد إنجيل القدَّاس. وتُكمَّل الصَّلاة. إلى نهاية تحليل الابن يجرُّون ستر الهيكل ويجلسون يقرأون الميمر. وبعد قراءته يُرفع الإنجيل والصَّليب، وتُقال كيرياليصون كالعادة. وعند التَّقبيل يقولون قانون يوم الأحد ⲃⲓⲧⲉⲛ ⲛⲉⲕⲛⲁⲓ ثمّ يقول الكاهن البركة ويصرف الشَّعب بسلام.

وهكذا ترتيب سبوت وحدود الصَّوم إلى آخره. ولربُّنا يسوع المسيح الشُّكر على نعمته، الآن وكل أوان وإلى دهر الدَّاهرين آمين".

ابن كبر يشير إلى قُدَّاس الأحد وصلاة مساء الأحد في الصَّوم الكبير

فيقول: "وفي يوم الأحد جرت عادة المصريِّين (الصَّلاة) بقدَّاس كيرلص. وعشيَّة الأحد يقرأ الميمر الموافق لإنجيل ذلك اليوم. والميامر والمواعظ مستحبَّة في الصَّوم مهما أمكنت وأي وقت اتَّفقت.

والأحد السَّادس يُسمَّى أحد التَّناصير[١٨] وهو الذي كان يطبخ فيه الميرون. وقيل إنَّ فيه كان عماد الرُّسُل"[١٩].

١٤- من ثيوطوكيَّة الأحد.
١٥- ختام الثيوطوكيَّات الآدام.
١٦- ذكصولوجيَّة الصَّوم الكبير.
١٧- نعظِّمك يا أم النُّور ...
١٨- حرفيًا: حد التنصير.
١٩- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٨

الفَصل الرَّابع

مردَّات أناجيل

آحاد الصَّوم المقدَّس الكبير

مردّات أناجيل الأحد الأوّل

مرد إنجيل عشيّة الأحد الأوّل

ϩⲁⲛⲭⲣⲏⲙⲁ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ:	مملتكات هذا العالم ...[1]

وفي نسخة أخرى

ⲁⲣⲓⲉⲧⲓⲛ ⲟⲩⲟⲉ ⲉⲩⲉⲓ ⲛⲱⲧⲉⲛ: ⲕⲱϯ ⲟⲩⲟⲉ ⲉⲣⲉⲧⲉⲛⲉⲭⲓⲙ ⲉ ⲕⲱⲗⲉ ⲟⲩⲟⲉ ⲑⲛⲁϩϯ: ⲭⲉ ⲥⲉⲛⲁⲟⲩⲱⲛ ⲛⲱⲧⲉⲛ ⲛⲉⲙⲏⲓ.	اسألوا يُعطى لكم، اطلبوا تجدوا، اقرعوا، وأنا أؤمن أنه سيُفتح لكم معي.

مرد إنجيل باكر الأحد الأوّل

ⲡⲉⲓⲣⲏⲛⲏ ⲛⲧⲉ ⲫϯ..	سلام الله ...

مرد إنجيل قدّاس الأحد الأوّل

ⲛⲱⲧⲉⲛ ⲇⲉ ⲛⲉⲧⲉⲛⲓⲱⲧ ⲥⲟⲩⲱⲛ ⲭⲉ ⲧⲉⲧⲉⲛⲉⲣϫⲓⲁ ⲛⲛⲁⲓ ⲑⲣⲟⲩ: ⲛⲁⲓⲛ ⲕⲱϯ ⲛⲥⲁ ⲧⲉϥⲙⲉⲧⲟⲩⲣⲟ: ⲟⲩⲟⲉ ⲛⲁⲓ ⲑⲣⲟⲩ ⲥⲉⲛⲁⲟⲩⲟⲉ ⲉⲣⲱⲧⲉⲛ.	أمّا أنتم فأبوكم يعرف، كل احتياجاتكم هذه، ولكن اطلبوا ملكوته، وهذه كلّها سوف تُزادُ لكم.
ⲁⲣⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲙⲡⲉⲛⲛⲟⲩⲥ: ⲛⲧⲉⲛ-	أنرْ عقلنا، لكي نفهم

---

١ – واضح أنه كان مرداً مشهوراً، فلم يتم تدوينه كاملاً. وهو يتكرّر مرّة أخرى بعد إنجيل قدّاس هذا الأحد الأوّل. وفي حين سقط هذا المرد فقد حُفظ مرد إنجيل باكر لنفس هذا الأحد الأوّل، إذ حظي بتدوينه في كُتُب الطقس المطبوعة.

وعـــودك، وأوامـــرك المملوءة رحمـــة، لكـــي نصنع حسب مشيئتك.

مُمتلكات هذا العالم ...

kat ènekwq : nem nekbonben eomec ànai : ebina ntenipi kata netebnak.

Banxpnia ànte paikocmoc

مردّات أناجيل الأحد الثّاني

أحد التّجربة

مرد إنجيل عشيّة الأحد الثّاني

ربُّنا يسوع المسيح، صام عنّا، أربعين يوما وأربعين ليلة، حتى خلّصـــنا مـــن خطايانا.

D nenbwic Ihc Pxc : epmhctetyn èbpai èxwn : nèbne nèbwot nem èbne nèxwpe : ga-ntecwotten ben nennobi.

مرد إنجيل باكر الأحد الثّاني

أطلبُ إليك يا مخلّصي، فلتدركني مراحمك، نجني من الشّـــدائد، المُضـــادة لنفسي.

Ptéo èpok ìw pacwthp : mape nekmeenaht tabol : nobem àmoi ben mmaskh : eyt' ovbe etaqyyxh.

ربُّنا يسوع المســـيح، ملأنا من الرُّوح القُدُس، وأعـــادَ الأردن، وصـــام أربعين يومـــاً. يـــا رب أعطني توبة.

D nenbwic Ihc Pxc : aqmoc èbolben mmna eot : aqtacoo ìmmiopdannhc : aqepmhctetyn nèbne nèbwot : moi nmi Pwc novmetanoia.

مرد إنجيل قدّاس الأحد الثّاني

ربُّنا يسوع المسيح، صام عنّا، أربعين يوماً وأربعين ليلة، حتى خلّصنا من خطايانا.	Ⲡ ⲡⲉⲛⲃⲟⲓⲥ Ⲓⲏⲥ Ⲡⲭⲥ : ⲉⲣⲙⲏⲥⲧⲉⲩⲉⲓⲛ ⲉⲃⲣⲏ ⲉϫⲱⲛ : ⲛⲥⲁⲓⲉ ⲛⲥⲉⲟⲟⲩ ⲛⲉⲙ ⲥⲛⲉ ⲛⲉϫⲱⲣⲉ : ⲫⲁ-ⲓⲛⲧⲉⲕⲥⲱⲧⲧⲉⲛ ⲇⲉⲛ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ.
إذ أخطأنا إليك يا ربّنا يسوع، مرّات كثيرة، اغفر لنا حسب رحمتك، لأنك إله صالح.	Ⲉⲩⲱⲟⲡ ⲁⲛⲫⲁⲛⲉⲣⲛⲟⲃⲓ ⲉⲣⲟⲕ ⲙ̀ ⲡⲉⲛⲥ̄ Ⲓⲏⲥ̄ : ⲛⲕⲉⲙⲏⲩ ⲛⲥⲟⲩ : ϫⲱ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲕⲁⲧⲁ ⲡⲉⲕⲛⲁⲓ : ⲭⲉ ⲛ̀ⲑⲟⲕ ⲟⲩⲛⲟⲩⲧ̀ ⲛ̀ⲁⲅⲁⲑⲟⲥ.
ربُّنا يسوع المسيح، تجرَّب بواسطة إبليس، فغلبه بيده، وملائكته القدّيسون (صاروا) يخدمونه.	Ⲡ ⲡⲉⲛⲃⲟⲓⲥ Ⲓⲏⲥ Ⲡⲭⲥ : ⲉⲣⲡⲓⲣⲁⲍⲓⲛ ⲉⲁ ⲡⲓⲇⲓⲁⲃⲟⲗⲟⲥ : ⲁϥⲃⲣⲟ ⲉ̀ⲣⲟϥ ⲇⲉⲛ ⲧⲉϥϫⲓⲭ : ⲛⲉϥⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲉⲃⲟⲩⲁⲃ ⲉⲧⲥⲱⲟⲩⲛ ⲙ̀ⲙⲟϥ.

مردّات أناجيل الأحد الثالث

أحد الابن الضّال

مرد إنجيل عشيّة الأحد الثّالث

هذه هي أورشليم، مدينة إلهنا، فرحُ جميع القدّيسين، كائنٌ فيها.	Ⲑⲁⲓ ⲧⲉ Ⲓⲁⲛⲏⲓ : ⲧⲡⲟⲗⲓⲥ ⲙ̀ⲡⲛⲉⲛ-ⲛⲟⲩⲧ̀ ⲧⲉ : ⲉⲣⲉ ⲡⲟⲩⲛⲟϥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓ-ⲉⲟⲩ ⲑⲏⲣⲟⲩ : ⲫⲱⲙⲓ ⲛⲁ̀ⲣⲏⲓ ⲛⲁⲏⲧⲥ.
لأنّنا نكون غروساً، لأبينا الصّالح، يا ربُّنا	Ⲁⲛⲟⲛ ⲅⲁⲣ ⲛⲉ ⲛⲓⲧⲟⲕ : ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲛⲁⲅⲁⲑⲟⲥ : ⲱ Ⲡⲉ̄ ⲙⲁ-

ⲧⲟⲩⲃⲟ ⲛⲛⲉⲛϩⲏⲧ ⸗ ⲉⲃⲟⲗϩⲓⲁ ⲙⲟⲕ-ⲙⲉⲕ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲉⲧⲥⲱⲟⲩ.	طهّر قلوبنا، من كل فكرٍ شرير.

مرد إنجيل باكر الأحد الثّالث

Ⲁⲧⲧⲱⲃϩ ⲙⲙⲟⲕ Ⲡⲁⲟⲥ Ⲓⲏⲥ ⸗ ⲙⲡⲉⲣⲥⲟϭⲓ ⲙⲙⲟⲓ ϩⲉⲛ ⲡⲉⲕϫⲱⲟⲩⲧ ⸗ ⲟⲩⲁϩ ⲟⲛ ϩⲉⲛ ⲡⲉⲕⲙⲓⲃⲟⲛ ⸗ ⲙⲡⲉⲣ-ⲧⲟⲃⲱ ⲛⲧⲁⲓⲙⲉⲧⲉⲙⲓ.	اطلبْ منك يا ربي يسوع، لا توبّخني بغضبك، ولا أيضاً بسخطك، ولا تؤدّب جهالتي.
Ⲩⲁϥⲉⲛⲱⲧⲉⲛ ϩⲉ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲛⲓⲙⲁ-ⲙⲛⲟϭϥ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲙⲱⲟⲩⲧ ⸗ ⲟⲩⲟⲩ ⲛⲉ-ⲉⲧⲉⲧⲉⲛⲛⲁϫⲉⲙⲟⲩⲧ ⸗ ⲑⲁⲉⲙⲟⲩⲧ ⲉⲃⲟⲩⲛ ⲉⲡⲓⲥⲟⲛ.	أُخرجوا إلى مسالك الطُّرُق، ومَنْ وجدتُموهم، دعوهم للدُّخول إلى العُرس.
Ⲩⲟⲩⲧ ⲉⲛⲓⲉⲣⲁⲧⲏⲥ ⸗ ⲟⲩⲟⲩ ⲛⲁ ⲡⲟⲩⲃⲉϫⲉ ⲙⲙⲟⲟⲩ ⸗ ⲛⲓⲉⲣⲁⲉ ⲉⲣ-ⲯⲱⲣⲡ ⸗ ⲟⲩⲥⲉⲑⲉⲣⲓ ⲉϥⲟⲩⲁⲓ.	ادْعوا الفعلة، وأعطوهم أجرَهم، الأخيرين أولاً، ديناراً للواحد.

مرد إنجيل قدّاس الأحد الثّالث

Ⲁⲓⲉⲣⲛⲟϭⲓ Ⲓⲛⲥⲟⲩⲥ ⸗ ⲁⲓⲉⲣⲛⲟϭⲓ Ⲓⲛⲥⲟⲩⲥ ⲡⲁⲛⲟⲩⲧ ⸗ ⲡⲁⲟⲩⲣⲟ ⲙⲡⲉⲣⲱⲙ ⲉⲣⲟⲓ ⸗ ⲙⲙⲓⲛⲟϭⲓ ⲉⲧⲁⲓⲁⲓⲧⲟⲩ.	أخطأتُ يا يسوع، أخطأتُ يا يسوع إلهي، يا ملكي لا تحسب عليَّ، الخطايا التي صنعتُها.
Ⲁⲓⲉⲣⲛⲟϭⲓ ⲁⲓⲉⲣⲛⲟϭⲓ ⸗ Ⲡⲁⲟⲥ Ⲓⲏⲥ ⲭⲱ ⲛⲏⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⸗ ⲭⲉ ⲙⲙⲟⲛ ⲃⲱⲕ ⲛⲁⲧⲉⲣⲛⲟϭⲓ ⸗ ⲟⲩⲁϩ ⲙⲙⲟⲛ ⲃⲱⲓⲥ	أخطأتُ أخطأتُ، يا ربي يسوع اغفر لي، لأنّه ليس عبدٌ بلا خطيئة، ولا

ⲛⲁⲧϫⲱ ⲉⲃⲟⲗ.

سيِّد بلا غفران.

Ⲱⲉⲛ ⲡⲉⲕⲃⲱⲕ ⲉⲣⲟⲕ ⲱ ⲡⲉⲛⲥⲱⲧⲏⲣ ⸗ ⲙⲫⲣⲏϯ ⲛⲛⲓⲱⲛⲓ ⲛⲁⲩ-ⲟⲩⲥⲁⲓ ⸗ ⲭⲉ ⲛⲓⲙⲙⲟⲟⲩ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲱⲟⲩⲟ ⲛⲟⲏⲧⲕ ⸗ ⲛⲁⲓⲥⲱⲡⲉⲓ ⲁⲧⲭⲉⲙⲓ ⲃⲉⲛ ⲡⲉⲕⲟⲃⲓ.

اقبل عبدك يا مُخلِّصنا، مثل ابن سقيم، لأنّ مياه الحياة فيك، كنتُ ضالاً فوُجدتُ في قطيعك.

مردّات أناجيل الأحد الرّابع

أحد السّامريّة

مرد إنجيل عشيّة الأحد الرّابع

Ⲛⲉⲱⲧⲉⲛ ⲇⲉ ⲛⲉⲧⲉⲛⲓⲱⲧ ⲥⲟⲩⲱⲛ ⲭⲉ ⲧⲉⲧⲉⲛⲉⲣϫⲓⲣⲁ ⲛⲛⲁⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⸗ ⲡⲁⲏⲛ ⲕⲱϯ ⲛⲥⲁ ⲧⲉϥⲙⲉⲧⲟⲩⲣⲟ ⸗ ⲟⲩⲟⲥ ⲛⲁⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲥⲉⲛⲁⲟⲩⲟⲥ ⲉⲣⲱⲧⲉⲛ.

أمّا أنتم فأبوكم يعرف، كل احتياجاتكم هذه، ولكن اطلبوا ملكوته، وهذه كلّها سوف تُزاد لكم.

Ⲙⲡⲉⲣⲫⲣⲱⲟⲩⲛ ⲛⲉⲧⲉⲛⲯⲩⲭⲏ ⸗ ⲙⲡⲓⲃⲟⲓ ⲛⲟⲩⲱⲧ ⲛⲉⲙ ⲡⲓϫⲓⲛⲥⲱ ⸗ ⲁⲗⲗⲁ ⲧⲉⲧⲉⲛⲕⲱϯ ⲛϩⲙⲉⲧⲟⲩⲣⲟ ⲛⲧⲉ ⲫϯ ⸗ ⲛⲁⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲥⲉⲛⲁⲟⲩⲟⲥ ⲉⲣⲱⲧⲉⲛ.

لا تهتم نفوسكم، بالسَّعي للأكل والشَّراب، لكن تطلبون ملكوت الله، وهذه كلّها سوف تُزاد لكم.

مرد إنجيل باكر الأحد الرّابع

Ⲩⲟⲩϯ ⲉⲡⲓⲉⲣⲧⲁⲧⲏⲥ ⸗ ⲟⲩⲟⲥ ⲛⲁ

اِدْعوا الفعلة، وأعطوهم

أجرهم، الأخيريـــن أولاً، ديناراً للواحد.	ποτβεχε νωοτ ϩ νιδαεϯ ἀνωωπ ϩ οτcαθεpι ἐφοται.
هذا الذي وقع في وسط اللُصوص، أنتَ ضمَّدتَ جراحاته، فتراءف علينا واشـــف، جراحاتنـــا بنعمتك.	Φαι ϵταψϣι δεν θιωτ ννιcινωοτι ϩ νωοκ ακϣωϣ ννεqερϣοτ ϩ ψενϣητ δαρον οτοϣ ναταλϭο ϩ ννενερϣοτ δεν πεκϣωοτ.
حضر العاملون، لينالوا أجرهم، فأخذ أصـــحاب السَّاعة الحاديـــة عشـــرة، أجرة اليَوم كلّه.	Χε ατι ϩκε νιερϫατηc ϩ εϩροτϭι ννοτβεχε ϩ αqϭι ϩκε να ϯαϫπ ια ϩ ννβεχε ννιϩϣοοϣ τηρq.
اذهبوا خارجـــاً، إلَـــى مسَالك الطُرُق، والـــذين تجدونهم، ادعـــوهم إلَـــى داخل العرس.	Ϣαqενωοτεν δε ἐβολ ἐνναϩωογι ϩτε νιμωτ ϩ οτοϣ νηἐτετεηϫεμοοτ ϩ ϭαδνοτ ἐβοτη ἐπιϭοπ.

وفي نسخة أخرى

الحجرُ الـــذي رفضـــه البنَّاؤون، هذا صار رأس الزَّاوية، هذا صار من قبل الرَّب، وهو عجيـــبٌ في أعيننا.	Πιωμι ϵταψωοqq ϩκε ννιεϯκωτ ϩ φαι ασψωπι ϩκωκ ννααϰε ϩ φαι ασψωπι ἐβολϩιτεν Πϭ̄ ϩ οτοϣ ϫω ννοφηρι δεν ννενβαλ.

مرد إنجيل قدّاس الأحد الرّابع

ⲑⲩⲭⲏ ⲛ̀ⲧⲉⲥⲙⲓ ⲛⲥⲁⲙⲁⲣⲓⲧⲓⲥⲥ ⲑⲛⲉⲧⲁⲥⲕⲓⲙⲓ ⲛⲟⲩⲙⲟⲩ ⲛ̀ⲙⲟⲛ̄ ⲉ̀ⲥⲱⲟⲩ ⲉ̀ⲣⲟⲕ ⲉ̀ⲃⲏ ⲫⲁⲧⲟⲧⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧⲙⲟⲩⲧⲉ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲱⲛ̄.	نفسُ المرأة السَّامريَّة، التي وجدت ماء الحياة، تباركك لأنّ عندك ينبوع الحياة.

مردّات أناجيل الأحد الخامس

أحد المخلّع

مرد إنجيل عشيّة الأحد الخامس

ⲃⲓⲥⲙⲓ Ⲡⲟ̄ⲥ ⲉⲡⲁⲧⲃⲱ ⲛ ⲟⲧⲟⲉ ⲕⲁⲧ ⲉⲡⲁϩⲣⲱⲟⲩ ⲛ ⲭⲉ ⲛⲑⲟⲕ ⲡⲉ ⲡⲁⲧⲁϫⲣⲟ ⲛⲉⲓ ⲧⲁⲃⲉⲗⲗⲓⲥ ⲛ ⲛⲥⲭⲉⲛ ϫⲱⲟⲩ ϫⲉ ϫⲱⲟⲩ.	اصغِ يا ربّ إلَى طلبتي، وتفهَّم صوتي، لأنك أنت هو سندي ورجائي، من جيلٍ إلَى جيل.
Ⲛⲑⲟⲕ ⲡⲉ ⲡⲓⲕⲣⲓⲧⲏⲥ ⲛ̀ⲧⲁⲫⲓⲛⲓ ⲫⲛⲉⲟⲛⲁⲧⲉⲁⲛ ⲉⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ ⲧⲏⲣϥ ⲙ̀ⲡⲉⲣⲓⲣⲓ ⲛⲟⲩⲧⲉⲁⲛ ⲛⲉⲙⲙⲓ ⲁⲗⲗⲁ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ ⲱ ⲡⲉⲛⲛⲏⲃ ⲡⲉⲛⲥⲱⲧⲏⲣ.	أنت القاضي الحقيقي، الذي ستدين العالم كلّه، لا تصنع حكماً معي، لكن ارحَمنا يا سيِّدنا ومخلّصنا.

مرد إنجيل باكر الأحد الخامس

ϥⲛⲁⲓ ⲛⲭⲉ Ⲡⲱⲛⲣⲓ ⲙ̀ⲫⲧ ⲃⲉⲛ ⲡⲉϥⲓⲱⲟⲩ ⲛⲉⲙ ϥⲁ ⲡⲉϥⲓⲱⲧ ...	سيأتي ابن الله، في مجده ومجد أبيه : ...
Ⲛⲑⲟⲕ ⲡⲉ ⲧⲃⲱ ⲛ̀ⲁⲗⲟⲗⲓ ⲛ̀ⲧⲁⲫⲓⲛⲓ ⲁⲛⲟⲕ ⲛⲉ ⲡⲓⲕⲁⲗⲁⲙⲁ	أنتَ هو الكرمة الحقيقيَّة، أنا هو

ⲉⲧⲉ ⲛⲟⲏⲧⲕ ⸗ ⲙⲁⲧⲁϫⲣⲟⲓ ⲛⲁⲣⲙⲓ ⲛⲁⲏⲧⲕ ⸗ ⲙⲡⲉⲣⲉⲓⲧⲧⲉⲛ ⲥⲁⲃⲟⲗ ⲙⲙⲟⲕ.	النُّصن الـذي فيـك، ثبِّتني فيك، ولا تطرحنا بعيدًا عنك.
Ⲡⲓⲱⲛⲓ ⲉⲧⲁⲧⲥⲱⲟⲩⲛ ⲛϫⲉ ⲛⲓⲉⲕⲱϯ ⸗ ⲫⲁⲓ ⲁⲩⲱⲱⲡⲓ ⲉⲃⲟⲗⲉⲓⲧⲉⲛ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⸗ ⲟⲧⲟⲉ ϩⲟⲓ ⲛⲓⲩⲫⲏⲣⲓ ⲇⲉⲛ ⲙⲉⲛⲃⲁⲗ ⸗ ⲫⲁⲓ ⲡⲉ Ⲡⲩⲏⲣⲓ ⲛ̀Ⲫϯ.	الحجرُ الـذي رفضـه البنَّاؤون، هذا صار مـن قبل الرَّب، وهو عجيـبٌ في أعيننا، هذا هو ابن الله.

مرد إنجيل قدّاس الأحد الخامس

Ⲕⲟⲗⲧⲩⲃⲏⲣⲁ ⲁⲧⲙⲟⲩϯ ⲉⲣⲟⲥ ⸗ ⲭⲉ ⲃⲏⲑⲥⲁⲓⲇⲁ ⲙⲙⲉⲧⲥⲉⲃⲣⲉⲟⲥ ⸗ ⲟⲧⲣⲱⲙⲓ ⲉϥⲉⲛⲕⲟⲧ ⲛ̀ϫⲣⲟⲛⲟⲥ ⸗ ⲉϥϣⲓⲛⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲁⲛⲁⲛ ⲉϥⲟⲩⲟϩ.	دعوها بِرَكَـة، لأنهـا بالعبريَّة بيت صيدا، إنسانٌ راقدٌ زمانًا، مفلوجٌ جَعَلَتْه مُعافَى.

مردّات أناجيل الأحد السّادس

أحد المولود أعمى

مرد إنجيل عشيّة الأحد السّادس

Ⲓⲗⲏⲙ Ⲓⲗⲏⲙ ⸗ ⲟⲩⲉⲧⲥⲱⲧⲉⲃ ⲛⲛⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ⸗ ⲟⲧⲟⲉ ⲙⲛⲉⲧⲁⲧⲟⲩⲣⲡⲟⲩ ⲥⲁⲣⲟⲥ ⸗ ⲁⲥⲥⲓⲱⲛⲓ ⲉⲃⲣⲏ ⲉⲧⲟⲟⲩ.	أورشليم أورشـليم، قاتلة الأنبيـاء، وأولئـك الـذين أُرسِـلوا إليهـا، رَجَمْتَهم.
Ⲛⲓⲙⲉⲧⲉⲛⲛⲁⲩ ⲉⲣⲟⲓ ⲉⲥⲭⲉⲛ ϯⲛⲟⲩ ⸗ ⲙⲁⲧⲉⲧⲉⲛϫⲱ ⲙⲙⲟⲥ ⲉⲧⲟⲟⲛ ⸗ ⲭⲉ	لن تـروني مـن الآن، حتى تقولوا معًا، مبـاركٌ

هـو الآتي، باسـم رب القوّات.

ⲉϫⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛⲁⲉ ⲫⲛⲉⲟⲛⲛⲟⲩ ⸗ ⲇⲉⲛ ⲣⲣⲁⲛ ⲙ̅ⲡ̅ⲟ̅ⲥ̅ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲭⲟⲓⲥ.

هذه هـي أورشـليم، مدينة إلهنا، ها هـو ذا أبناؤك كلُّهم، ضلّوا عن الحقيقة.

Θⲁⲓ ⲧⲉ ⲓ̅ⲗ̅ⲏ̅ⲙ ⸗ ⲧⲡⲟⲗⲓⲥ ⲙ̅ⲡⲉⲛⲛⲟⲩⲧ ⲧⲉ ⸗ ⲉⲛⲏⲓⲧⲉ ⲓⲥ ⲛⲉⲙⲙⲏⲣⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⸗ ⲁⲩⲥⲱⲡⲉⲙ ⲉⲃⲟⲗⲉⲛ ⲧⲙⲉⲫⲛⲓ.

لا تُجازِي كل واحد منّا يارب مثـل الفريسـيين، لكن اجعلنا مستحقّين، أن نصنع الرّحمة والحق.

Ⲩⲡⲉⲣⲧ ⲛⲁⲛ ⲡ̅ⲉ̅ ⲙ̅ⲡⲓⲟⲩⲟⲓ ⸗ ⲙ̅ⲙⲟⲣⲧ ⲛⲛⲓⲫⲁⲣⲓⲥⲉⲟⲥ ⸗ ⲁⲗⲗⲁ ⲁⲣⲓⲧⲉⲛ ⲛⲉⲙⲙⲉⲛⲉ ⸗ ⲉⲉⲣ ⲡⲓⲛⲁⲓ ⲛⲉⲙ ⲧⲙⲉⲫⲛⲓ.

مرد إنجيل باكر الأحد السّادس

لن تنظـرونى : حـتى تقولوا معاً : مباركٌ هـو الآتي : باسم رب القوّات.

Ⲛⲓⲉⲧⲉⲛⲛⲁⲩ ⲉⲣⲟⲓ ⸗ ⲙⲡⲁⲧⲉⲧⲉⲛ-ⲭⲱ ⲙⲙⲟⲥ ⲉⲩⲥⲟⲛ ⸗ ⲉⲉ ⲉⲓⲙⲁ-ⲣⲙⲟⲩⲧ ⲛⲁⲉ ⲫⲛⲉⲟⲛⲛⲟⲩ ⸗ ⲇⲉⲛ ⲣⲣⲁⲛ ⲙ̅ⲡ̅ⲟ̅ⲥ̅ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲭⲟⲓⲥ.

مرد إنجيل قدّاس الأحد السّادس

لأنك أنـتَ خلقـتَ، العينَيْن للمولود أعمـى، ووهبتَ له النُّور، المَجـد لكَ في الأعالي.

Ⲕⲉ ⲅⲁⲣ ⲛⲉⲟⲕ ⲁⲕⲑⲁⲙⲓⲟ ⸗ ⲛⲛⲓ-ⲃⲁⲗ ⲙⲡⲓⲃⲉⲗⲗⲉ ⲙⲙⲓⲥⲓ ⸗ ⲟⲩⲟⲉ ⲁⲕⲧ ⲛⲁϥ ⲙⲡⲓⲟⲩⲱⲛⲓ ⸗ ⲡⲓⲙⲟⲩ ⲛⲁⲕ ⲇⲉⲛ ⲛⲙⲉⲧⲃⲟⲥⲓ.

فلنسجد لِمخلّصنا ...

Ⲡⲁⲣⲉⲛⲟⲩⲱⲟⲩⲧ ⲙⲡⲉⲛⲥⲱⲧⲏⲣ ...

الفَصل الخامس

حول قراءات الصَّوم المقدَّس الكبير في الكنائس الشَّرقيَّة

تمهيد

تُعدُّ قراءات الصَّوم المقدَّس الكبير، فرعاً من موضوع كبير، هو "القراءات الكنسيَّة". أي فصول القراءات الكتابيَّة في الصَّلوات اللّيتورجيَّة في الكنيسة. وقد عالجتُ جانباً من موضوع القراءات الكنسيَّة في أثناء شرح قدَّاس الموعوظين، أي قدَّاس الكلمة، وذلك في كتاب "القدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله". أمَّا الآن فينصبُّ حديثنا عن قراءات الصَّوم المقدَّس الكبير بصفة خاصة.

وفي الحقيقة تحتاج النَّفس إلى سنوات عديدة في كلّ صوم مقدَّس كبير، لكي تدرك مقدار الغنى والعُمق المذخَّر في قراءات هذا الصَّوم المقدَّس، ولاسيَّما إن انفتحت البصيرة على الرِّباط الذي يربط القراءات بعضها ببعض من العهدين القديم والجديد، ولكن من الأفضل أن يكون ذلك بدون الاستعانة بكُتُب تتحدَّث عن هذا الموضوع، ليظل للنَّفس حريَّة التَّأمُّل بدون قيد فكري مُسبق.

وإنّ ما يقوله مار أفرآم السُّرياني (٣٠٦-٣٧٣م) عن كلمة الرَّب، ينطبق على قراءات الصَّوم الكبير، فيقول:

> [من يستطيع يارب أن يستوعب كلّ الغنى الذي بمجرَّد كلمة واحدة من كلماتك؟. إنّ ما نفهمه منها هو أقل بكثير ممَّا نتركه بدون فهم، كالعطاش الذين يشربون من نبع. فكلمتك يارب ذات معان كثيرة على قدر اختلاف مشارب أولئك الذين يدرسونها].

لقد أعطى الرَّب لكلمته أعماقاً متباينة، ليجد فيها كلُّ أنواع النَّاس راحتهم وفرحهم وشبعهم. ففيها كنوزٌ لا تنضب، كلّما غاص المرءُ إلى عمق انفتحت أمامه أعماق. هذا هو عمل الرُّوح القُدُس في الكلمة، حين يكشفها على قدر احتمال القارئ وأمانته في البحث عن المسيح والتَّعرُّف عليه، وهو محور الإنجيل وغايته، ليقوده الابن بسهولة إلى الآب، فتعيش النَّفس مع الكلمة معيَّة الثَّالوث القدُّوس.

وفي كلّ مرَّة نجلس أمام كلمة الإنجيل فإنّنا نتأدَّب عند قدمي الرَّب، وننقلب من غناها الذي لا يحويه ضعف إدراكنا. ولكن كُن مسروراً لأنك غُلبت، ولا تحزن أنها قد غلبتك. فالعطشان يبتهج عندما يشرب، ولا يكتئب لأنه لم يستطع أن يُفرغ الينبوع. اجعل الينبوع يروي عطشك، وليس عطشك هو الذي يستنفذ الينبوع. كن شاكراً على ما قد نلته، ولا تكن متذمِّراً من أجل غنى ما تركته، فإنّ ما أخذته وتوصَّلت إليه هو نصيبك، وما قد بقي فهو ميراثك المحفوظ لك.

فالقراءات الكتابيَّة التي وضعتها الكنيسة الجامعة، كانت هي العادة المتَّبعة في جميع الكنائس الأولى في أورشليم والإسكندريَّة وأنطاكية والقسطنطينيَّة وروما، من أجل تثقيف المؤمنين وتحضير الموعوظين من بينهم لسرِّ العماد المقدَّس.

التَّسامح والمغفرة هما مدخل قراءات الصَّوم الكبير

من البديع أن تتَّفق تقاليد بعض الكنائس على المحور الذي يدور حوله التَّعليم الكتابي في بداية الصَّوم المقدَّس الكبير.

ففي الكنيسة القبطيَّة

نجد أنَّ فصول الأناجيل الأولى التي نسمعها في الأسبوع الأوَّل من الصَّوم، تختص بالتَّسامح والمغفرة. ففي إنجيل عشيَّة سبت الرُّفاع، «إن أخطأ إليك أخوك فوبِّخه، وإن تاب فاغفر له. وإن أخطأ إليك سبع مرَّات في اليوم ورجع إليك سبع مرَّات قائلاً: أنا تائب فاغفر له». فهكذا يبدأ الصَّوم الكبير بالتَّسامح والمغفرة بيننا وبعضنا البعض.

أمَّا إنجيل عشيَّة أحد الرُّفاع فيقول: «متى قمتم للصَّلاة فاغفروا لمن لكم عليه، لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السَّموات زلاتكم» (مرقس ١١: ٢٢-٢٦).

وإنجيل باكر أحد الرُّفاع يقول: «إن أخطأ إليك أخوك فوبِّخه، وإن تاب فاغفر له. وإن أخطأ إليك سبع مرَّات في اليوم ورجع إليك سبع مرَّات قائلاً: أنا تائب، فاغفر له» (لوقا ١٧: ٣-١٠).

وإنجيل قدَّاس أحد الرُّفاع يقول: «وإن تغفروا للنَّاس زلاَّتهم يغفر لكم أبوكم زلاَّتكم» (متى ٦: ١-١٨).

وفي إنجيل صلاة مساء أحد الرُّفاع: «واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لمن لنا عليه» (لوقا ١١: ١-١٣).

وفي الأحد الأوَّل والأسبوع الذي يسبقه وهو أسبوع هرقل، أو أسبوع الاستعداد كما نسمِّيه الآن، يبدأ الصَّوم فيه بنداء التَّوبة: «لنبادر فنبلغ إلى وجهه بالاعتراف» (مزمور ٩٤: ١، ٢). ويعقبه نداءان في نفس فصل الإنجيل إن لم تتوبوا فجميعكم تهلكون[1]. فالتَّوبة تنجِّي من الهلاك،

١- لوقا ١٣: ١-٥

وهي فكرٌ يشخص في الله ويعترف له، وهي لا تنبع إلاّ من الإيمان به[٢]. وهذا الإيمان لابد أن يتزكّى بالتّجارب والأحزان[٣]. تماماً كالتّوبة التي تنتج من الحزن الذي بحسب مشيئة الله[٤].

ونلاحظ أنّ الكاثوليكون يربط بين الإيمان والتّوبة، معتبراً أنّ غاية الإيمان هي التّوبة. وعند كمال الإيمان، يصير الإنسان مستعداً لا للقيود والحبس والأحزان، بل للموت لأجل اسم الرّب يسوع[٥]. فلنسهر لأننا لا نعلم متى يأتي ربُّ البيت[٦].

فهكذا يبدأ الصّوم المقدّس الكبير في الطّقس القبطي.

في الكنيسة السّريانيّة الأنطاكيّة

أمّا الطّقس السّرياني الأنطاكي، فيعرف ممارسة جميلة في بدء الصّوم المقدّس الكبير تُسمى "رُتبة المسامحة"، أو "طقس المسامحة"، وهي تجري يوم الاثنين الأوّل من الصّوم. والصّلوات في هذا اليوم تُذكّر المؤمنين بتعاليم السيّد المسيح الصّريحة حول ضرورة المغفرة بعضنا لبعض استعداداً لنيل المغفرة منه، وهذه الرُّتبة هي فعلاً رتبة توبة جماعيّة ومصالحة أخويّة إذ أنّ المترئس للصّلاة يعظ الشّعب في ختامها ويدعوه للتّسامح معلّقاً على قول الإنجيل الذي قُرئ[٧]. وفيه مَثَل الخروف الضّال، وضرورة الصّفح الأخوي، والمغفرة حتى سبعين مرّة سبع مرّات، مع مَثَل العبد العديم الشّفقة. ثمّ يجثو ثلاث مرّات أمام الشّعب داعياً إياه كلّ مرّة إلى

٢- إنجيل عشيّة ١٧:٣-٦
٣- وهو فصل الكاثوليكون ١بطرس ١:١-١٢
٤- البولس ٢كورنثوس ٦:١٤-٧:١الخ.
٥- الإبركسيس أعمال ٢١:١-١٤
٦- إنجيل باكر مرقس ١٣:٣٣-الخ
٧- متى ١٨:١٢-٣٥

التّسامح بقوله: "تعالوا يا إخوتي لنتصالح، ونسالم بعضنا البعض بالمحبّة والصّفح الكامل، لنستعطف بذلك رضى الله علينا".

وبعد أن ينهض المترئس من الرّكوع الثّالث، يبارك على قليل من الزّيت، ويدهن به جباه المؤمنين بشكل صليب قائلاً: "ليوهّلك الرّب لاقتبال الغفران والنّعمة"، بينما تُرتّل الجوقة ابتهالاً، يصف توبة الخاطئة التي مسحت قدمي المعلّم بالطّيب، ونالت المغفرة.

والزّيت هنا يذكّر بضرورة إظهار الفرح، وإخفاء العناء من الصّوم، وفقاً لتعليم الرّب «أمّا أنت فإذا صُمتَ فادهن رأسك واغسل وجهك، لكيلا يظهر للنّاس أنك صائم، بل لأبيك في الخفاء، وأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية» (متى ٦:٦، ١٨).

وتتكرّر رتبة المسامحة مساء سبت النّور، بصيغة مختصرة، للدّلالة على أنّ غاية الصّوم هي المصالحة مع الله، والتي تهيئها المصالحة مع النّاس.

في الكنيسة الرّوسيّة

كما أنّ الأحد السّابق على الصّوم مباشرة في الكنيسة الرّوسيّة يُسمّى "أحد الغفران"، وتقضي العادة الرّوسيّة بأن يلتمس كلّ واحد في هذا اليوم المغفرة من الذين يمكن أن يكون قد أساء إليهم.

قراءات الصّوم الكبير في الكنيسة القبطيّة

عملُنا الآن هو أن نوقد شمعة تنير على هذا الكنز الثّمين، لا لكي نتعرّف على تفصيلاته ومحتوياته، بل لنتبيّن شكله وأبعاده من الخارج فقط. ويلزم التّنويه هنا إلى أنّ قطمارسات الصّوم الكبير في طبعاتها

المختلفة لم تتّفق كلُّها على نفس القراءات، ولاسيّما النُّبوّات. فبينما تزيد القراءات في بعضها، تنقص في البعض الآخر.

النُّبوّات التي تُقرأ في رفع بخور باكر

تقرأ الكنيسة القبطيَّة من العهد القديم فصولاً من خمسة عشر سفراً من أسفار العهد القديم، وهي بذلك أغنى كنيسة في الشَّرق المسيحي في طقس قراءاتها للنُّبوّات في الصَّوم الكبير، إذ لم يحتفظ التَّقليد البيزنطي في فترة الصَّوم الكبير إلاّ ببعض المقاطع من سفر التَّكوين، وسفر الخروج، وأسفار الأمثال وأيوب، ونبوّات إشعياء وحزقيال.

سفر إشعياء النَّبي

تقرأ الكنيسة القبطيَّة حوالي نصف هذا السِّفر على مدى الصَّوم، فلا يخلو يوم من أيام الصَّوم الكبير بدون نبوَّة لإشعياء النَّبي. فحتى يوم الاثنين من الأسبوع الرَّابع تكون القراءات من الأربعة عشر أصحاحاً الأولى منه. وبقيَّة الأسبوع الرَّابع تتركّز القراءات في الإصحاحات (٢٥-٢٩). وحتى يوم الثُّلاثاء من الأسبوع السَّابع تكون القراءات من الإصحاحات (٣٧-٤٩)، باستثناء ثلاثة إصحاحات هي (٣٩، ٤٦، ٤٧). أمّا بقيَّة الأسبوع السَّابع فتكون القراءات من الإصحاحات (٥٨، ٦٥، ٦٦).

سفر أيوب

يغيب السِّفر في الأسبوع الأوَّل من الصَّوم. وهناك قراءتان منه في الأسبوعين الثَّاني والثَّالث، ويوم الجمعة مشترك فيهما. وابتداء من الأسبوع الرَّابع – باستثناء يوم الاثنين – يُقرأ السِّفر يومياً وحتى نهاية الصَّوم. أمّا فصول القراءات منه فهي غير مرتَّبة ترتيباً متسلسلاً، كما رأينا في سفر إشعياء النَّبي.

سفر الأمثال

يُقرأ في أكثر من نصف أيام الصوم. وهو يُقرأ يومياً في الثلاثة أسابيع الأخيرة من الصوم، أي من الأسبوع الخامس إلى الأسبوع السابع. كما يُقرأ أيضاً في الأسبوع الثالث يومياً. والقراءات من هذا السفر متسلسلة أيضاً. فيُقرأ من الخمس إصحاحات الأولى منه بالتتابع في الأسبوعين الثالث والخامس. ثم من الأصحاح السابع في بقية الأسبوع الخامس. أمّا الإصحاحان الثامن والتاسع فيقرآن في الأسبوع السادس، والإصحاحان العاشر والحادي عشر، فيقرآن في الأسبوع السابع.

سفر التثنية

يُقرأ يوم الجمعة فقط على مدى أسابيع الصوم، من الإصحاحات (٦-١٢)، فيما عدا آخر جُمعتين من الصوم، وباستثناء قراءة واحدة من الأصحاح الخامس تُقرأ يوم الخميس من الأسبوع الثاني.

سفر الخروج

يُقرأ يوم الأربعاء من كلّ أسبوع، باستثناء الأربعاء من الأسبوعين الأوّل والسابع. والقراءة منه محصورة في الإصحاحات (٢-١١). إلاّ أنّ يومي الاثنين من الأسبوعين الأوّل والثاني قد استعارا قراءات من الإصحاحين الثاني والثالث.

باقي أسفار العهد القديم الأخرى

عدا ما سبق من نُبوّات، فالكنيسة القبطيّة تقرأ أيضاً من أسفار زكريا ويوئيل وصفنيا ودانيال وصموئيل الأوّل وملوك الأوّل والثاني والتكوين والعدد. بالإضافة إلى قراءات من الأسفار القانونيّة الثانية؛ من يشوع بن سيراخ، بالإضافة إلى سفر طوبيت كلّه.

فصول الرَّسائل والإبركسيس في الصَّوم الكبير

يُقرأ فصل البولس على مدى الصَّوم من جميع رسائل بولس الرَّسول، عدا ثلاثة رسائل هي: كولوسي وفيليمون وتيموثاوس الثَّانية. ويُقرأ الكاثوليكون من كافة رسائل الكاثوليكون السَّبعة. أمَّا الإبركسيس فيُقرأ منه حوالي ٢٣ أصحاحاً من سفر الأعمال.

فصول أناجيل الصَّوم الكبير

في الأربعة أسابيع الأولى من الصَّوم، تحتل القراءات من إنجيل القدِّيس لوقا المركز الأوَّل، يتبعه إنجيل القدِّيس متى، ثمَّ إنجيل القدِّيس مرقس. أمَّا إنجيل يوحنا فيُقرأ منه ثلاث قراءات فقط.

وفي الثَّلاثة أسابيع الأخيرة من الصَّوم، فإنَّ العدد الأكبر من فصول القراءات هو من إنجيل القدِّيس لوقا أيضاً، يتبعه إنجيل القدِّيس يوحنا، ثمَّ إنجيل القدِّيس مرقس، ثمَّ ثلاث قراءات فقط من إنجيل القدِّيس متى.

والقراءات من إنجيل القدِّيس لوقا هي من أربعة عشر أصحاحاً منه. ومن إنجيل القدِّيس متى من حوالي ثلاثة عشر أصحاحاً منه، ومن إنجيل القدِّيس مرقس من حوالي عشرة إصحاحات منه، أمَّا إنجيل القدِّيس يوحنا، فالقراءات من حوالي تسعة إصحاحات منه.

المحور الذي تدور حوله القراءات في الكنيسة القبطيَّة

فصول أناجيل الآحاد هي المحور الرَّئيسي الذي تدور حوله كلُّ القراءات. وفصل إنجيل قدَّاس اليوم تخدمه القراءات الخاصة بهذا اليوم.

وفصول أناجيل قدَّاسات أيام الأسبوع تخدم في غرضها وهدفها إنجيل قدَّاس الأحد الذي يتقدَّم هذا الأسبوع.

فقراءات كلّ يوم هي وحده مستقلّة بكلّ بنودها، من النُّبوَّات والرَّسائل وسفر الأعمال والمزامير وفصل الإنجيل، لتخدم غرضاً واحداً يتجمَّع معناه ومضمونه في قراءات يوم الأحد، والتي تخدم بدورها - مع قراءات الأيام التي تتبعه - فصل إنجيل القدَّاس ليوم الأحد.

ويمكن تقسيم قراءات الصَّوم الكبير كلّه إلى أربع وحدات، حيث تبدأ كلّ وحده بقراءات يوم الأحد، وتمتد لتشمل قراءات الأسبوع التَّالي لهذا الأحد[٨].

- **الوحدة الأولى**، تتكوَّن من قراءات الأسبوعين الأوَّل والثَّاني مع قراءات أحد الرِّفاع والأحد الأوَّل.

أمَّا محور قراءات الوحدة الأولى، فهو: "جرِّبوا أنفسكم، هل أنتم في الإيمان؟". ولكن يظل موضوع التَّوبة والمغفرة للآخرين يحتل مكانه الأساسي، لأنَّ التَّوبة والمغفرة لا يمكن عزلهما عن الإيمان. أمَّا فصول قراءات الأحد الأوَّل التي تحدَّثنا عن ضرورة الإيمان وعدم الاهتمام بأمور هذه الحياة، فهي المحور الرَّئيسي لهذه الوحدة، أي للأسبوع السَّابق له والأسبوع اللاحق له، أي الأسبوعان الأوَّل والثَّاني.

ففي يوم الاثنين من الأسبوع الثَّاني نسمع قول الرَّب: «إذا جاء ابن الإنسان أترى يجد الإيمان على الأرض؟» (لوقا ١٨:١-٨).

٨- يلاحظ القارئ العزيز أن ترقيم أسابيع الصَّوم يزيد برقم واحد عن ترقيم آحاد الصَّوم، حيث أن الأسبوع الأوَّل من الصَّوم يعقبه الأحد الأوَّل. على اعتبار أن الأحد الذي يسبق الأسبوع الأوَّل يُسمى أحد الرفاع، وليس الأحد الأوَّل.

وفي يوم الثّلاثاء اختبار عملي لهذا الإيمان: «اذهب وبع كل مالك وأعطه للفقراء، فتقتني لك كنزا في السّماء، وتعالى اتبعني حاملاً الصّليب» (مرقس ١٠:١٧-٢٧).

وفي يوم الأربعاء حيث يكون قد مضى على الصّوم **الأربعيني** ثلاثة أيام، هي الاثنين والثّلاثاء والأربعاء، يقول الإنجيل المقدّس: «ثم دعا يسوع تلاميذه وقال لهم: إنني أتحنّن على هذا الجمع، لأنّ لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون، ولستُ أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطّريق ... فأكلوا جميعهم وشبعوا ...» (متى ١٥:٣٢-٣٨).

وفي يوم الخميس «إن أردتَ أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل مالك وأعطه للمساكين لتقتني لك كنزاً في السّماء وتعالى اتبعني» (متى ١٩:١٦-الخ).

ويوم الجمعة «لماذا تدعونني يا ربُّ يا ربُّ ولا تفعلون ما أقوله؟» (لوقا ٦:٣٩-٤٩).

أمّا يوم السّبت فيقول الرّب: «ادخلوا من الباب الضّيّق ... ما أضيق الباب وأكرب الطّريق الذي يؤدّي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه ... ليس كلُّ من يقول لي يا ربُّ يا ربُّ يدخل ملكوت السّموات، بل الذي يعمل إرادة أبي الذي في السّموات» (متى ٧:١٣-٢١).

وهكذا تكون الكنيسة قد تهيأت بكلمة الرّب، لكي تدخل مع المسيح صومه الخلاصي، في خلوة معه، لا في برية قاحلة لا خبز فيها ولا ماء، ولكن في حياة أسقطت عنها الاهتمامات الزّمنيّة الخادعة، حياة تعيش في هذا العالم دون أن تغرق في مياهه. وهكذا ننتقل إلى الوحدة الثّانية.

- **الوحدة الثّانية**، تتكوّن من قراءات الأسبوع الثّالث مع قراءات

الأحد الثّاني.

والموضوع الرَّئيسي لهذه الوحدة هو "التَّجربة على الجبل"، والذي يبني حوله الصَّوم الكبير كلُّه بكل طقوسه. وتتكرَّر قراءة فصل التَّجربة على الجبل في إنجيل قدَّاس يوم الأربعاء من الأسبوع الثَّالث، ولكن من بشارة القدِّيس لوقا هذه المرَّة (لوقا ٤: ١-١٣)[٩]. والكنيسة القبطيَّة هي الوحيدة بين كنائس الشَّرق المسيحي التي تخصِّص واحداً من آحاد الصَّوم الكبير ليحمل اسم "أحد التَّجربة على الجبل"، كونه السَّبب الأساسي الذي بُني الصَّوم كلُّه عليه. فإذا استثنينا الأسبوع الأوَّل باعتباره خارجاً عن الصَّوم **الأربعيني** نفسه، فقد اختارت الكنيسة الأحد الثَّاني من الصَّوم - أي بعد مرور أسبوع واحد من الصَّوم الأربعيني - ليكون هو أحد التَّجربة على الجبل، حتى تكون الكنيسة قد تمهَّلت في الأسبوع السَّابق لأحد التَّجربة، متخلِّية عن كلِّ اهتمامات أرضيَّة، مهتمَّة بخلوتها مع الرَّب الذي صام من أجل الكنيسة كلِّها.

يختص فصل البولس بشرح جوانب التَّجربة الأولى، فيتحدث عن عثرة الخبز ومعنى الإيمان.

ويختص فصل الكاثوليكون بشرح جوانب التَّجربة الثَّانية، أي تعظُّم المعيشة (بحسب إنجيل القدِّيس لوقا).

ويختص فصل الإبركسيس بالحديث عن جوانب التَّجربة الثَّالثة، وهي تجربة جناح الهيكل، أي كرامته. فيشرح الإبركسيس شهادة بولس للمسيح أمام رئيس الكهنة، واختيار عبادة الرَّب بضمير صالح.

٩- وجدير بالذِّكر أن الطَّقس السُّرياني يبدأ بقراءة إنجيل التجربة بحسب القدِّيس متى يوم الاثنين الأوَّل من الصَّوم، ويعيد ذات القراءة يوم الجمعة السَّادسة من الصَّوم، والذي يُسمى "جمعة الأربعين".

كان أمام السيّد المسيح في تجاربه، اللُّقمة أو الكلمة، ثمّ الكرامة أو الخضوع لروح الرَّب، ثمّ العالم أو الله. وفي هذه التَّجارب كلّها لم يُرض المسيح نفسه، وهذا هو محور قراءات البولس في هذا اليوم[١٠]. أمّا قول الرَّب: «إياه وحده تعبد» فهو حديث القراءات كلّها؛ فالكاثوليكون يحذّر من محاباة الوجوه «لأنه إن حابيتم الوجوه تفعلون خطيئة». ومزمور الإنجيل يقول: «ظلبتُ وجهك (أنت فقط يارب)» ولوجهك يارب ألتمس» فكيف يمكن أن نتبع الرَّب ونعبده بضمير صالح (الإبركسيس)، وفي ذات الوقت نهين المساكين الذين قد صاروا أغنياء في الإيمان؟ (الكاثوليكون). فطوبى لمن يتفهَّم في أمر المسكين والفقير (مزمور صلاة المساء)[١١]. وهكذا يطلب فصل البولس أن يكون لنا قلبٌ واحدٌ وفمٌ واحدٌ لنمجّد الله.

– **الوحدة الثّالثة**، تتكوَّن من قراءات الأسبوعين الرَّابع والخامس مع قراءات الأحدين الثّالث والرَّابع.

وهما أسبوعا الابن الضَّال والمرأة السَّامريَّة[١٢]. فمحور القراءات فيهما هو البنوَّة الجاحدة التي بسبب الجهل صارت بنوَّة غريبة عن الله، وفي المقابل دعوة الغرباء ليصيروا وارثين ميراث البنين الرَّافضين أبوَّة الله.

– **الوحدة الرَّابعة**، تتكوَّن من قراءات الأسبوعين السَّادس والسَّابع مع قراءات الأحدين الخامس والسَّادس.

١٠– رومية ١٤:١٩-١٥:٧

١١– مزمور ١٤٠:١

١٢– يُسمى أحد السامرية بأحد النصف، أي منتصف الصَّوم تماماً. أما الكنيسة السّريانيَّة والتي لا تصوم الأسبوع الأوَّل من الصَّوم – أسبوع هرقل – فإنها تسمي الأربعاء الرَّابع من الصَّوم بنصف الصَّوم، وهو اليوم الخامس والعشرون من الصَّوم، حيث أن المدة الكلية للصَّوم هي خمسون يوماً.

وهذه الوحدة تتحدَّث عن مريض بركة بيت حسدا، وشفاء المولود أعمى. أمَّا المحور الرَّئيسي لها فهو إعلان الرَّب يسوع عن نفسه تدريجياً، حتى يكتمل كمال الإعلان بالقيامة من بين الأموات، بحسب كلام الإنجيل: «تعيَّن ابن الله بقوَّة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات». وفي المقابل يقابلنا موقف الإنسان نفسه من استعلان الرَّب في حياته، إمَّا بالقبول وذلك بالإيمان – وهي الأيام الأولى من هذه الفترة – أو بالرَّفض الكامل حتى إلى حد تسليم الرَّب للموت، وهو ما يتَّضح جلياً في قراءات الأسبوع السَّابع من الصَّوم. وهنا يكون الدُّخول الطَّبيعي لقراءات أسبوع البصخة المقدَّسة، عندما يتَّضح لنا بغاية الوضوح رفض المسيح في بيته، إذ خرج الرَّبُّ حاملاً صليبه الذي صلبه عليه أهل بيته.

ففي الأسبوع السَّادس أراد الرَّب أن يعلن عن نفسه للإنسان بأنواع وطرق شتى، حتى إلى حد خلقة عيون جديدة، لعله يصير للإنسان بصيرة يميِّز بها الحق ويعرفه. أمَّا قراءات الأسبوع السَّابع كلُّها فهي رفض الإنسان ليسوع المسيح، لأنه رفض قبول الموت معه ليحيا بقيامته، فكان آخر كلمات نطق بها الرَّب في آخر إنجيل من الصَّوم: «من الآن لا ترونني حتى تقولوا مباركٌ الآتي باسم الرَّب»، أي حتى قبولنا ملكوت المسيح على قلوبنا.

هذا عرضٌ موجزٌ لما تدور حوله قراءات الكنيسة القبطيَّة في الصَّوم المقدَّس الكبير، وهو النَّوع المشهور من أنواع دراسة الكلمة.

نوع آخر من دراسة القراءات الكتابيَّة

هناك نوع آخر من دراسة القراءات الكتابيَّة، وهو ربط قراءات السِّفر الواحد ببعضها البعض على مدى الصَّوم كلِّه. كمثال لذلك

قراءات الإبركسيس على مدى آحاد الصَّوم أو قراءات الإبركسيس على مدى أيام الجُمع فقط من الصَّوم، أو قراءات البولس في أيام الأربعاء مثلاً من الصَّوم، وهكذا.

فعلى مدى أسابيع الصَّوم نستطيع أن نتابع المراحل الأخيرة من حياة بولس الرَّسول من خلال فصول الإبركسيس في الآحاد، والتي فيها نكاد أن نرى تطابقاً بينها وبين مراحل آلام السيِّد المسيح في أسبوعه الأخير[١٣].

ففي أحد الرَّفاع: دخل بولس إلى الهيكل ليكمِّل التَّطهير (أعمال ٢١:١٥-٢٦)، ودخل المسيح في أحد الشَّعانين إلى أورشليم ليطهِّر الهيكل.

وفي الأحد الأوَّل: وقف بولس وتحدَّث إلى الشَّعب (أعمال ٢١:٤٠-٢٢:١٦)، كما تحدَّث المسيح إلى رؤساء الكهنة والكتبة بعد تطهير الهيكل.

وفي الأحد الثَّاني: محاكمة الرَّسول أمام المجمع، حيث ضربوه على فمه (أعمال ٢٣:١-١١)، فتأمَّل في المقابل، ما حدث ليسوع.

وفي الأحد الثَّالث: عرض حنانيا والشُّيوخ شكواهم على الوالي ضد بولس (أعمال ٢٤:١-٢٣). كما فعل اليهود بعرضهم شكواهم على بيلاطس ضد يسوع.

وفي الأحد الرَّابع: وقوف بولس أمام الملك (أعمال ٢٥:١٣-٢٦:١). كما وقف يسوع أمام بيلاطس.

وفي الأحد الخامس: محاكمة بولس (أعمال ٢٦:١٩-٢٧:٨)، فتأمَّل في المقابل، ما حدث مع يسوع.

وفي الأحد السَّادس: الآلام القاسية التي عاناها بولس وهو في السَّفينة

١٣- انظر: دكتور وليم سليمان، جزء من مقال عن قراءات الصَّوم الكبير، مجلة منار الأحد، مارس سنة ١٩٨٢م.

التائهة في البحر. وفي هذه الفترة أخذ الخبز وشكر (أعمال ٢٧:٢٨-٣٧).

وفي الأحد السابع: نشاهده مع العسكري الذي كان يحرسه، ولكن الحراسة لم تستمر. وكيف أنّ المسيح دُفن وكان حرسٌ على قبره، لكنّه قام.

أمّا إبركسيس أحد الثمانين، فهو حديثٌ عن حريّة المؤمن الذي قام مع المسيح.

قراءات الصوم الكبير في بعض الكنائس الشرقيّة

قراءات الصوم الكبير في الكنيسة الأرمينيّة

إنّ تحديد أيام معيّنه في الصوم المقدّس الكبير ليُقرأ فيها أسفار محدّدة، هو طقسٌ قديمٌ نقرأ عنه منذ القرن الخامس في نظام قراءات المدينة المقدّسة أورشليم، في فترة الصوم المقدّس الكبير. وقد تعرّفنا على ترتيب القراءات في طقس كنيسة أورشليم من نظام القراءات في الكنيسة الأرمينيّة، التي نقلت إليها طقس كنيسة أورشليم في القرن الخامس، وحافظت عليه كما هو بدون تغيير.

فقد أخذ الطّقس الأرمني عن طقس أورشليم قراءات صلاة الغروب لأيام الأربعاء والجمعة في الأسابيع الستّة لصوم الأربعين، كما أخذت عنها قراءات الأسبوع الثالث لكلّ الأيام، وقراءات أحد الثمانين وقراءات الأيام الثلاثة الأولى من أسبوع البصخة المقدّسة.

وقراءات أيام الأربعاء في زمن الصوم الكبير مأخوذة من أسفار الخروج ويوئيل، وهي تُقرأ بالتتابع. أمّا في الأسبوع السادس فينوب عن قراءة سفر يوئيل قراءات من سفر زكريا النبي.

وقراءات أيام الجمعة مأخوذة بدورها عن كُتُب الشَّريعة (الفصول ٦-١٢)، وعن سفر أيوب. وقراءات الشَّريعة هي عبارة عن نصائح وإرشادات لعيش وصايا الله وعهده بأمانة. أمَّا قراءة سفر أيوب فهي ترمز إلى شخص المسيح من خلال شخص أيوب الصدِّيق. وتتَّضح هذه الصُّورة أكثر في قراءات يوم الجمعة الأخيرة من زمن الصَّوم المأخوذة من إشعياء النَّبي (٤٠-٤٧)، حيث نجد وصفاً مسبقاً للمسيح بصورة "عبد الله" المحرِّر والمخلِّص لشعبه.

أمَّا قراءات أيام الاثنين والثُّلاثاء والخميس من الأسبوع الثَّاني من الصَّوم، فمأخوذة من سفر إرميا النَّبي (١، ١-٣، ١٦)، ومن سفر الأمثال (١، ١-٤، ١٤)، ومن سفر الملوك الأوَّل (١، ١-٤، ١٨).

أمَّا في القدَّاس الإلهي في فترة الصَّوم المقدَّس في الطَّقس الأرمني، فهناك دائماً ثلاث قراءات من: الأنبياء – الرُّسُل – الأناجيل. حيث تؤخذ قراءة الأنبياء دائماً من سفر إشعياء النَّبي، أي أنَّ سفر إشعياء النَّبي يُقرأ يومياً في الصَّوم المقدَّس الكبير.

قراءات الصَّوم الكبير في الكنيسة السُّريانيَّة

وهناك أيضاً كتابان للقراءات الكنسيَّة في الكنيسة السُّريانيَّة الأنطاكيَّة، يحويان فصولاً لخدمة خاصة تُسمَّى "على المعموديَّة"، كان يُحتفل بها قبل عيد الفصح في أثناء أسبوع الفصح (البَصخة). وواحدٌ من هذه الكُتُب كتب ما بين سنة ١٢١٦م وسنة ١٢٢٠م. أمَّا الكتاب الآخر فهو أقدم منه قليلاً.

قراءات الصَّوم الكبير في الكنيسة البيزنطيَّة

أمَّا عن نظام القراءات في الصَّوم الكبير في الكنيسة البيزنطيَّة فيذكر المؤلِّف الرُّوسي إيفان كرابتيوف من القرن الخامس الميلادي أنَّ هذا النِّظام قد بُني على تقليد يعود إلى الكنيسة الأنطاكيَّة. ويقول ألكسي كنيازف ومن بعده أونوفركو: "إنَّ كتاب القراءات البيزنطي في زمن الصَّوم قد حُدِّد في أواخر القرن الخامس الميلادي، وربما في أنطاكية، في عهد تلقين الدِّيانة للكبار، وتحضيرهم لقبول العماد في زمن أصبحت فيه الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة مسيحيَّة".

وفي الطَّقس البيزنطي الحالي، ومنذ بداية الأسبوع الثَّالث قبل الفصح لازلنا نجد في ليتورجيَّة القدسات السَّابق تقديسها، وإلى جانب الصَّلاة المعتادة من أجل الموعوظين، صلاة خاصة بطالبي العماد، وهو صلاة مختصرة جداً، تُعرف باسم Φωτιζόμενοι أي: "المستنيرون"، أو Πρὸς τὸ φώτισμα أي: "لأجل من يقبلون الاستنارة".

قراءات الصَّوم الكبير في الكنيسة الجورجيَّة

وكتاب القراءات الجورجي Georgian Kanonarion وبدءاً من الأسبوع الثَّالث قبل عيد الفصح فصاعداً، ينظم مجموعة من الفصول الكتابيَّة التي تُقرأ من العهد القديم، ومن رسائل بولس الرَّسول التي اختيرت كلها لتعليم الموعوظين، وذلك من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة من كل أسبوع. ووُضع لهذه الفصول حاشية تقول "للموعوظين"[١٤].

14- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 190.

الفَصل السَّادس

عيد الصَّليب وعيد البشـــارة

عيد الصَّليب المجيد الذي يقع في الصَّوم الكبير

عيد الصَّليب في الطَّقس القبطي

يتَّفق في أيام الصَّوم الكبير، أن يأتي عيد الصَّليب في اليوم العاشر من شهر برمهات، حيث يبطُل فيه لحن الصَّوم، وكذلك التَّبوَّات. أمَّا ترتيبه فهو كما في عيد الصَّليب الذي يقع في اليوم السَّابع عشر من شهر توت، من غير زيادة ولا نقص[١].

ويذكر "مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م" أنه إذا اتَّفق وقوع عيد الصَّليب في يوم من أيام الأسبوع خارجاً عن السَّبت والأحد، فيقدَّم القدَّاس في اليوم الذي يكون تلوه العيد قبل الوقت، ويكون فراغ القدَّاس السَّاعة العاشرة من النَّهار.

وعند انتهاء التَّوزيع، يجرُّون ستر الهيكل، ويبتدئون بصلاة عشيَّة العيد المقدَّس بصلاة الشُّكر، والمزمور الخمسين ولا يُقال بعدها مزامير، فإنَّ المزامير قُرأت قبل القدَّاس، ولكن يُقال ⲉⲓⲏⲟⲩ ⲥⲛⲟⲩ وبعدها إبصالميَّة نهاره وبعدها لبش التَّذاكيَّة، فإن كانت آدام تُقال Νεκναι ⲙ̀ⲡⲁⲛⲟⲩ† وإن كانت واطس يُقال اللِّبش بلحن الصَّليب، وبعده ⲱ̀ ⲡⲉⲛⲟⲥ ⲓ̅ⲥ̅ ⲡ̅ⲭ̅ⲥ̅

ويُرفع البُخور كترتيب سابع عشر توت من غير زيادة ولا نقص، وكذلك صلاة نصف اللَّيل، وصلاة باكر والقدَّاس آخر نهاره. والتَّرتيب

---

١ - انظر للمؤلِّف كتاب: "الزَّمن الطَّقسي بين عيدي النَّيروز والصَّليب".

لا يتغيَّر. وإن اتَّفق في يوم جمعة، تُقرأ نبوَّات يوم الجمعة، والمبشر يوم الخميس الذي قبله، ولا يبطل شيء من شروط الصَّوم المقدَّس"[٢].

أمَّا "مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م" فيضيف ما يلي: "... ويقرأون النُّبوَّات في اليوم الذي قبله في صلاة باكر، ولا يُستعمل فيه ألحان الصَّوم لكن سنوي".

عيد الصَّليب عند بعض الكنائس الشَّرقيَّة

والاحتفال بعيد الصَّليب في فترة الصَّوم المقدَّس الكبير هو طقسٌ تعرفه الكنائس الشَّرقيَّة أيضاً. فالكنيسة السُّريانيَّة الأنطاكيَّة تحتفل بالسُّجود للصَّليب في يوم الأربعاء الرَّابع من الصَّوم، وهو منتصف الصَّوم الخمسيني كما يُسمَّى عندهم[٣]. وفيه تذكار الملك أبجر، وعيد القدِّيس حبيب شهيد الرُّها.

وفي هذا اليوم يُعمل طقس تكريم الصَّليب. فقبل صلاة مساء الأربعاء الفرضيَّة، يُنصب صليبٌ في وسط الكنيسة على قاعدة، ويُحاط بشمعتين ومروحتين وزهور. ويبقى يوماً كاملاً معروضاً لتكريم المؤمنين. وفي اليوم التَّالي قبل الشُّروع بصلاة مساء الخميس، تُقام رتبة (طقس) السُّجود للصَّليب المقدَّس، ويُقرأ الإنجيل الذي يقول فيه السَّيِّد المسيح: «وكما رفع موسى الحيَّة في البريَّة، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة» (يوحنا ٣:١٤)

وتبغي اللِّيتورجيَّة السُّريانيَّة من وضع الصَّليب في وسط الكنيسة وفي

٢- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١٠٢

٣- أي الأربعين المقدَّسة مضافاً إليها أسبوع الآلام.

منتصف الصَّوم أن تعلِّم المؤمنين بأنّ يوضع الصَّليب في قلب حياتنـــا، وأنّ أصوامنا وصلواتنا كلّها لن يكون لها قيمة فدائيَّة إلاّ إذا عملناها بالاتّحاد مـــع المسيح المصلوب، وجعلناها بعاطفة الحب التي رافقت صلبه الخلاصي.

وتقول إحدى صلوات الكنيسة السُّريانيَّة في الصَّوم الكبير: "جميلٌ هو الصَّوم، لكن إذا صام أحدٌ بدون محبَّة، انتن فمه. مـــا الفائـــدة مـــن صومه؟. محبوبة هي الصَّلاة، ولكن إذا لم ترفعها المحبَّة على جناحيها فلن ترى الله في علياء مقرّه".

أمّا الكنيسة اليونانيَّة فهي تخصِّص الأحد الثّالث من الصَّوم ليكـــون هو عيد السُّجود للصَّليب الكريم المحيي. وهذا الأحد يقع قرب منتصـــف الصَّوم في الكنيسة اليونانيَّة. وقد رتَّبته الكنيسة البيزنطيَّة في هذا اليَـــوم بقولها: "إذ قد بلغنا بنعمته إلى أواسط الصِّيام، ولابد أن يكون قد اعترانا الضَّعف وازدادت علينا الصَّعوبة، ارتأت أُمُّنا الشَّفوق كنيسة الله المقدَّســـة، أن تعلن لنا اليوم الصَّليب المقدَّس فرح العالم، وقوَّة المـــؤمنين، وســـند الأبرار، ورجاء الخطاة، رُكناً متيناً وعضداً منيعاً، حتى إذا قبلناه بـــورع وتقوى، ننال-نعمة وقوَّة تساعداننا على إتمام جهاد الصَّوم الإلهي"[٤].

وفي هذا العيد تُرتِّل الكنيسة اليونانيَّة قنداق باللّحن السَّابع للصَّليب تقول كلماته: "إنّ الحربة اللاّهيبيَّة لا تُحفظ (تُحرس) بعد عنـــد بـــاب عدن، لأنها قد أُطفئت بحال مستغربة، أعني بعود الصَّليب. وشوكة الموت وغلقة الجحيم قد بطُلَت، وأنت يا مخلّصي حضرت إلى الذين في الجحيم هاتفاً: ادخلوا إلى الفردوس أيضاً".

٤- كتاب السَّواعي الكبير، منشورات النُّور، إيبارشيَّة بغداد والكويت، ١٩٨٧م، ص ٤٨١

عيد البشارة المجيد

تمهيد

يقول يوحنا بن زكريا بن سباع (القرن الثالث عشر) في كتابه "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة"، عن هذا العيد ما يلي:

"... أوّل الأعياد السيّديّة هو وقت بشارة الملاك غبريال للعذراء مريم بالحبل الإلهي بالرُّوح القُدُس لولادة المخلّص والفادي، فصار هذا العيد هو أوّل الأعياد وبكر المواسم لأنه عيد البشارة بالخلاص، فيلزم تبجيله وتعظيمه، وهو يحصل دائماً في صوم الأربعين المقدّسة، فلا يجب حل الصّوم فيه بل التّعييد فقط، وقراءة فصوله اللائقة به والألحان المفرحة غير ألحان الصّوم. وقدّاسه يكون غريغوري لابتهاج النّفس لا الجسد"(٥).

ويقول عنه ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في كتابه "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" ما يلي:

"عيد البشارة التّاسع والعشرون من برمهات ويتّفق في صوم الأربعين، وربما اتّفق في جمعة البصخة أو يوم عيد الفصح المجيد. فإذا اتّفق يوم الفصح، فالحُكم للفصح. وإذا اتّفق في أيام الآلام أُلغي ذكره. وإن اتّفق في الأربعين المقدّسة قُدّمت صلاة عشيّة مساءً، قدّاس ذلك اليوم. ويُقرأ شئ من ناؤطوكيّته، ويلحّن بلحن العادة لا ألحان الحُزن. ويكون الحُكم فيما يُقرأ من الفصول من الغد في الصّلاة ومن عشيّة في القدّاس للعيد المذكور، والتّلحين بألحان العادة لا بالألحان المحزنة الصّوميّة. ولا تحل الكنيسة القبطيّة فيه صوماً ولا تغير مأكول الأربعين بشئ آخر. وأمّا

---

٥ - يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي، مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقيّة المسيحيّة، القاهرة، ١٩٦٦، الباب ١٠٠، ص ١٥٢

الملكيّة فيقدّسون فيه باكراً، ويأكلون السَّمَك".

ولا يحتفل الطّقس القبطي بعيد البشارة إذا وقع بين جمعة ختام الصّوم، وثاني يوم عيد القيامة المجيد. ولقد جاء في كتاب "ترتيب الفروض الكنسيّة" الذي تُرجم بعناية الأرشيمندريت خراسيموس مسرّة متروبوليت بيروت وتوابعها، والذي طُبع في مصر سنة ١٨٩٩م ما يأتي بخصوص عيد البشارة.

"إذا اتّفق عيد البشارة يوم الجمعة أو يوم السّبت العظيم، فيُنقل العيد إلى أحد الفصح، وتُرتّل خدمته مع خدمة القيامة. وهذا النّقل حصل منذ قرن ونيف — أي حوالي القرن الثّامن عشر — وخُصّص بكنائس المدن والقرى منعاً للاختلاف والتّشويش في آذان الشّعب من ترتيل المفرحات والمحزنات معاً. أمّا الأديرة فهي حرّة في أن تحافظ على التّرتيب الذي أُسّست عليه، أي ترتيل الخدمتين معاً، أو حسب وقوعهما احتراماً لمؤسّسي رهبنتها".

فبعد أن اتّخذت بعض الكنائس الشّرقيّة الأرثوذكسيّة التّقويم الأرثوذكسي المصحّح في الأعياد الثّابتة، وأبقت على التّقويم اليوليـاني لحساب الأعياد المتنقلة حرصاً منها على أن يكون الاحتفال بعيد الفصح المقدّس في يوم واحد في كل الكنائس الأرثوذكسيّة، لم يبق من سبيل لوقوع عيد البشارة في حسابها بعد يوم الخميس السّابق لأحد الشّعانين. أمّا الكنائس التي لا تزال متّبعة التّقويم اليولياني في كل الأعياد — مثل الكنيسة القبطيّة — فلا يزال في الإمكان أن يقع عيد البشارة عندها يوم الجمعة العظيمة، أو ما بعده حتى يوم الثّلاثاء من الأسبوع الجديد[٦].

---

٦ – حنانيا كساب، مجموعة الشرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٢٣٢، ٢٣٣

وعن طقس هذا اليوم في الكنيسة اليونانيَّة يقول القانون رقم (٥٢) من قوانين مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م: "يُقام قدَّاس القُدسات السَّابق تقديسها في كل أيام الصَّوم ما عدا السُّبوت والآحاد ويوم عيد البشارة المقدَّس".

ويشرح برسيفال في تعقيبه على القانون رقم (٤٩) لمجمع اللاذقيَّة (٣٤١-٣٨١م): "لا يجوز تقديم الخُبز في أيام الصَّوم الكبير فيما عدا السُّبوت ويوم الرَّب"، فيقول: يجب أن نضيف إلى أيام السُّبوت والآحاد، عيد بشارة العذراء، فهو عيدٌ عظيمٌ يُحتفل فيه بإقامة قدَّاس كامل، حتى ولو وقع يوم الجمعة العظيمة.

ولقد تذمَّر سمعان التَّسالونيكي (+ ١٤٢٩م) في أوائل القرن الخامس عشر من الإهمال العام وعدم إقامة هذا القدَّاس يوم الجمعة العظيمة في أيامه. ويقول: إنَّ كنيسته هي الوحيدة التي حافظت عليه في تلك الأكسرخوسيَّة. ويُظن أنَّ سبب هذا الإهمال هو التَّشبُّه بكنيسة أورشليم.

المراحل الطَّقسيَّة للاحتفال بعيد البشارة

يذكر "مخطوط رقم (١١٧ طقوس)"، ويتَّفق معه باقي المخطوطات، أنَّ اللَّحن المستخدم في عيد البشارة هو اللَّحن السَّنوي، فترتيب عيد البشارة في أيام الصَّوم كترتيب عيد الصَّليب الذي يقع في الصَّوم الكبير وكذلك عيد الأربعين شهيداً بسبسطيَّة، خلا لحن العيد. حيث يبطل لحن الصَّوم الكبير ولا تُقال التُّوبات. فاللَّحن السَّنوي للعيد هو التَّقليد القديم الذي درجت عليه كل الكنائس، وهو ما يشهد به ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أيضاً في القرن الرَّابع عشر الميلادي.

ولكن مع دخول القرن الخامس عشر الميلادي بدأت بعض الكنائس القليلة تستخدم لحن الفرح في هذا العيد، فيذكر "مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م"، أنّ لحن العيد يُقال بالّلحن السّنوي، ثمّ من يقرأه بلحن الفرح[٧].

ثمّ يتطوّر الأمر تدريجياً مع القرن السّابع عشر حتى يحل لحن الفرح محل اللّحن السّنوي نهائياً، فيقول "مخطوط الأنبا أنطونيوس لسنة ١٦٦١م": "بعض البيع يستعمل فيه لحن الفرح، فإنّه بكر الأعياد السّيديَّة الكبار، والرأي الصّائب معهم، وبعض البيع يقرأ سنوى".
وأمّا اليوم فيُستخدم لحن الفرح في عيد البشارة في جميع الكنائس.

شرح طقس عيد البشارة في الكنيسة القبطيَّة إقتداءً بالمخطوطات

أمّا عن طقس عيد البشارة المجيد في الكنيسة القبطيَّة، فهو كما يلي، وكما تشرحه مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا.

أولاً: رفع بخور عشيَّة عيد البشارة

تمهيد

يقول "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" ما يلي:

إذا أتّفق هذان العيدان[٨] مع عيد البشارة أن يكونوا يوم الاثنين،

٧- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١١٢

٨- المقصود بعبارة "هذان العيدان" أي عيد الصّليب في العاشر من برمهات، وعيد الأربعين شهيداً بسبسطيَّة في ثالث عشر برمهات. وفيهما - كما يذكر المخطوط - لحن الصّوم بطّال، وكذلك التّوبات، واللّحن (يكون) سنوي. ويُقرأ

فيبتدئون بصلاة عشيّة الأحد إلى آخر ⲙⲉⲕⲛⲁⲓ ⲙ̀ⲡⲛⲟⲩⲧ ، يُقرأ ميمر الأحد المختص بالصّوم، وبعده يرفعون البُخور، ويقرأون الطّريقة السّنويّة، الفصول والطّروحات وما يلائم. وإذا كان وسط الجمعة يقرأون النُّبوّات في اليوم الذي قبله.

وإذا اتفق عيد البشارة الذي هو التّاسع والعشرون من شهر برمهات في يوم من أيام الصّوم في وسط الجمعة (أي الأسبوع) أو يوم الأحد يُستعمل اللّحن ستوي. ويُرفع البُخور.

إبصاليّة عيد البشارة

يذكر "مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م"، أنّ الإبصاليّة التي تُقرأ في عشيّة البشارة هي ⲁⲓⲥⲱⲧⲉⲙ ⲉⲛⲓⲕⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ "إني سمعتُ معلّمي الكنيسة ..."، وهي الإبصاليّة الواطس للسّيّدة العذراء التي تُقال في رفع بخور عشيّة الآحاد السّنويّة.

أرباع الثّاقوس في عيد البشارة

يذكر "مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م"، ومعه "مخطوط السّريان لسنة ١٦٩٨م"، أرباع الثّاقوس التي تُقال بعد صلاة الشّكر في رفع البُخور، وفيها ربعٌ يختص بهذه المناسبة بدايته: ⲭⲉⲣⲉ ⲟⲛⲉⲧⲁⲥⲭⲉⲙ ⲉ̀ⲙⲟⲩ "السّلام للتي وجدت نعمة، الرّب معك. السّلام للتي قبلت من الملاك فرح العالم"[٩].

ميمرهم وفصولهم.

٩- تذكر البصلمودية جمعية فضة الكنائس إلى جوار هذا الرُّبع ربعين آخرين هما:
- السّلام لغبريال رئيس الملائكة العظيم، السّلام للذي بشّر مريم العذراء.

الذُكصولوجيَّة الخاصة بعيد البشارة

تتَّفق كل المخطوطات أنها الذُكصولوجيَّة التي بدايتها:

Ⲟⲩⲛⲏⲩϯ ⲅⲁⲣ ⲧⲉ ϯⲧⲓⲙⲏ ⲛ̀ⲧ | عظيمة هي الكرامة ...

وهي نفسها القطعة الرَّابعة من ثيوطوكيَّة الأربعاء، وهي خمسة أرباع، والتي تقول:

- عظيمةٌ هي الكرامة التي استحققتها يا غبريال الملاك المبشِّر ووجهك يتلألأ فرحاً.
- أعلنتَ لنا ميلاد الله الذي أتى إلينا، وبشَّرتَ مريم العذراء غير الدَّنسة.
- قائلاً: افرحي يا ممتلئة نعمة. الرَّب معك، لأنك وجدت نعمة. والرُّوح القُدُس يحل عليك.
- وقوَّة العلي تظلِّلك يا مريم. تلدين القدُّوس مخلِّص العالم.
- تطلَّع الآب من السَّماء فلم يجد من يشبهك، أرسل ابنه وحيده أتى وتجسَّد منك.

ولكن الأبصلموديَّات المطبوعة التي بين أيدينا تورد ذُكصولوجيَّة أخرى واطس لعيد البشارة المجيد، بدايتها: ⲁ ⲫⲓⲱⲧ ⲛⲟⲩⲱⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲙⲏ "تطلَّع الآب من السَّماء، على سكان الأرض، فلم يجد من يُشبه مريم العذراء. أرسل إليها غبريال رئيس الملائكة العظيم فبشَّرها بفرح ... نسجد لك أيها المسيح لأنك أحببت جنسنا، وأتيت إلى بطن العذراء، وتجسَّدت منها. نسبِّحك ونمجِّدك ونزيدك رفعة، كصالح ومحب البشر ارحمنا كعظيم رحمتك".

- طأطأ سماء السَّموات، وجاء إلى بطن العذراء، وصار إنساناً مثلنا ما خلا الخطيئة وحدها.

طرح واطس من داخل رفع بخور عشيّة عيد البشارة

بعد الذُكصولوجيّة الواطس للعيد يذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)" ومعه كل المخطوطات الأخرى، أنّه يُطـرح الطّـرح الواطس الذي للعيد[١٠]. وهو طرح الأحد الثّاني من كيهك[١١].

و بعد الطّرح يُرد بالرّبع[١٢]:

نعطيك السّلام ...	Ϯεnϯ ne ⲙⲡⲓⲭⲉⲣⲉⲧⲓⲥⲙⲟⲥ ...

مرد إنجيل عشيّة عيد البشارة

ومرد إنجيل عشيّة كما يذكره "مخطوط ترتيب البيعة رقـم (١١٧ طقوس) ويتّفق معه "مخطوط البطريركيّـة بالقـاهرة لسـنة ١٤٤٤م"، و"مخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م" فهو.

كرامةً عظيمةً عاليـةً،	Ⲃⲟⲛ ⲟⲩⲛⲟⲩϯ ⲛⲧⲁⲓⲟ ⲉⲧⲃⲏⲏⲧ ⸗
استحققتها يا حبرائيل، إذ	ⲕⲉⲙⲛⲓϣⲉ ⲙⲙⲟⲥ ⲛⲁ ⲅⲁⲃⲣⲓⲏⲗ ⸗

١٠- وهو نفس ما نمارسه حتى اليوم في طقس عيد الصّليب، حينما يُقـرأ الطّـرح في داخل صلوات رفع البخور بعد الذكصولوجيّات وصلاة الكاهن: "اللّهم ارحمنا ...".

١١- هذا ما يذكره "مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م".

انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١١٢

وبداية هذا الطّرح الواطس هي: "وفي الشّهر السّادس أُرسل حبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف مـن بيـت داود، واسم العذراء مريم ...".

أمّا الطّرح الواطس الذي يورده كتاب الدّفنار بالكنيسة في يـوم ٢٩ برمهـات، فبدايته هي: Ⲧⲉⲛⲁⲩⲉⲓⲛⲓⲙⲉⲛⲉⲥⲁⲣⲟⲝ ⲉⲡⲛⲁ "نصرخ نحوك يا الله، في ضـيقاتنا وشدائدنا. طأطئ السّموات وانزل، وبحنا من ضلالتنا، أنقض قوّتك وتعالى لتنجينـا، أيها الجالس فوق الشّاروبيم، فلتسبق وتدركنا رأفتك الجزيلة سريعاً ... الخ".

١٢- وهو ما يذكره "مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م"، و"مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م".

ⲉⲧⲁⲕⲉⲙⲛⲏⲩ ⲇⲉⲛ ⲟⲩⲑⲉⲗⲏⲁ ⲛ̀ ⲛⲁⲣⲓⲁ ⲑⲙⲁⲩ ⲛ̀ⲉⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ.	أنك بشَّرت بتهليل، مريم أم عمانوئيل.

ويكمِّل كالعادة.

التَّمجيد الذي يعقب انتهاء رفع بخور عشيَّة عيد البشارة

بعد انتهاء صلوات رفع بخور عشيَّة وقراءة التَّحليل يمضون إلى أيقونة البشارة وبأيديهم الشُّموع وهم يقولون لحن Κεναρωστ ومن بعده Χαιρε κεχαριτωμενη ثم لحن البشارة، وهو:

ⲡⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲉⲧⲉ Ⲅⲁⲃⲣⲓⲏⲗ ⲫⲏⲧⲁⲥϩⲱⲥ ⲛ̀ⲧⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲁⲥϫⲉⲭⲉⲣⲉⲧⲓⲍⲓⲛ ⲙ̀ⲙⲟⲥ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲣⲏⲧ ⲉϫⲱⲟⲩ ⲙ̀ⲙⲟⲥ.	غبريال المبشِّر، مضى إلى العذراء، وأعطاها السَّلام، هكذا قائلاً:

وبعده البرلكس[١٣]:

Χε ⲛⲓⲙⲁⲓ ⲙ̀Ⲡⲟ̄ⲥ ⲉⲉⲓⲉⲓ ⲅⲁⲣⲟ ⲉⲧⲉ ⲫⲁⲓ ⲛⲉ Ⲉⲙⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ ⲧⲉⲣⲁⲙⲓⲥⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲩ ⲉⲓϫⲉⲛ ⲛ̀ⲕⲁⲁⲓ ⲛ̀ⲧⲉⲩⲥⲱⲧⲡ ⲙ̀ⲡⲉⲛⲉⲓⲟⲥ ⲙ̀Ⲁⲇⲁⲙ.	إنَّ كلمة الرَّب يأتي إليك، الذي هو عمانوئيل، وتلديه على الأرض ليخلِّص جنس آدم.

أمَّا باقي أرباع البرلكس فهي:

- إنَّ أب الأنوار خاطب غبريال قائلاً: تعال لكي أرسلك إلى العذراء مريم ابنة يواقيم.
- وقل لها قد وجدتِ نعمة أيتها العذراء أمام ضابط الكُل، لأنه أرسل

١٣- وهو سبعة أرباع، أوردنا الرُّبع الأوَّل فقط بالقبطيَّة والعربيَّة والباقي بالعربيَّة فقط. (انظر: كتاب التماجيد المقدَّسة، عني بطبعه وجمعه القس دوماديوس البراموسي بطريركية الأقباط الأرثوذكس بمصر)، مصر، ١٦٣٨ش/ ١٩٢٢م، ص ٦٦).

إليك غبريال العظيم في رؤساء الملائكة.
- قائلاً: تعالَ أرسلكَ يا غبريال إلى العذراء الطاهرة، لتعدَّها هيكلاً للابن الوحيد.
- تعال لأرسلك أنتَ يا غبريال إلى العذراء النقيَّة لتعدَّها سماء جديدة لهيكل الابن الوحيد.
- تعال لأرسلك يا غبريال إلى السفينة العقليَّة التي خلَّصت نوح البار من ماء الطوفان، بشِّرها يا غبريال بتأنُّس حبيبها وقراره على الأرض لخلاص جنس آدم.
- اشفعي فينا ...

ثمَّ الذُكصولوجيَّة الآدام[١٤]:

السَّلام للقبَّة الثانية ... | Χερε τηαcηογτ..

ثمَّ الطَّرح الآدام[١٥]:

"أرسلَ غبريال من الله إلى مدينة في الجليل اسمها ناصرة. | Δεογτωρπ ΝΓαβρηλ εβολ ειτεν ϕτς εογβακι ζεν τηαλιλεαιεπεςραπεηαζαρεθ.

إلى فتاة عذراء من بيت داود اسمها مريم ابنة يواقيم. حينما دخل إليها الملاك بشَّرها هكذا قائلاً: افرحي يا ممتلئة نعمة الرَّب معك، لأنَّك وجدت

١٤- بدء الذُكصولوجيَّة الآدام التي توردها مخطوطات ترتيب البيعة تختص بالسيِّدة العذراء، أمَّا كتاب التماجيد فيورد في عيد البشارة ذُكصولوجيتان آدام للملاك غبريال، ولا يورد أي ذُكصولوجيَّة للعذراء في عيد البشارة. وكتبنا الطقسيَّة تحتاج إلى مراجعة علمية دقيقة شاملة.

١٥- وهو الطَّرح الذي يورده "مخطوط الطريركيَّة لسنة ١٤٤٤م". وقد ورد في كتاب الدَّفنار طرحٌ مختلف بدايته هي: Δεϊ ΝΧΕ ΠΙΧΟΟΥ "الزَّمان حضر وكملت الأيام التي لتأنُّس مخلصنا، فلتفرح السَّماء وتتهلَّل الأرض، لأنَّ الرَّب افتقد شعبه بالرَّحمة ...".

نعمة أمام الله، ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً ويُدعى اسمه يسوع المنجّي".

وبعد تفسير الطّرح عربياً[١٦] تُقال أرباع Поуро ите тєірнин "يا ملك السّلام، أعطنا سلامك ...".

قانون ختام الصّلوات في رفع بخور عشيّة عيد البشارة

يذكر "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)"، ويتّفق معه "مخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م" هذا القانون كما يلي:

أعطوا عظمة للرّب معي، لنرفع اسمه معاً، حسب الكلمة الحقيقيّة، في قلب مقدّس، مثل كلمة المزمور لداود المرتّل.	Ша отметнаут ймоу неими : мареубісі ймерран ероп : ката пеаді нтафими : нєфрі бен отєнт ероваї ката пеаді ймпсалмос : ΔαΔ Пістимолос.
المجد ...	Δοξα ..
ثم الإنجيلي، قال في الإنجيل إن جبرائيل الملاك، أُرسل إلى العذراء وبشّرها، بميلاد الله الكلمة.	Рєці ймєтаггелістнс : ацхос бен пєцетаггелюн хе Гаврил паггелос : ацтоорпц ҳа тпарөенос : отоос ацєрщеннотц нас:бен пікфо нте Фт пілогос.
الآن ...	Кєнтн ..

١٦- يذكر "مخطوط البطريركيّة لسنة ١٤٤٤م" ما يلي: "يفسّر الطّرح مثل الأحد الثّاني من كيهك". (الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١١٥).

ثانياً: تسبحة نصف اللّيل والسَّحَر في عيد البشارة

بحسب المخطوطات، تكون تسبحة نصف اللّيل والسَّحَر – والتي تدعوها المخطوطات "صلاة نصف اللّيل" كالعادة السَّنويَّة.

ثالثاً: رفع بخور باكر عيد البشارة

بحسب المخطوطات، وباكر كذلك (أي سنوي). ومرد إنجيل باكر

Χερε †βωκι ογοε †μαγ ε †παρθενος ογοε †φε ε θηεταϥει ϣματικωc ε ϭα φηετ ϩιχεν ηιχερουβιμ. Δριπρεcβεγιν..	السَّلام للعبدة والأم، العذراء والسَّماء، التي حملت جسدياً الذي على الشاروبيم. اشفعي ...

ويُكمَّل كالعادة. ثمَّ يُكمِّل الكاهن الصَّلاة. إلى آخر تحليل الابن يُقرأ الميمر الذي لعيد البشارة. وبعد قراءته يُرفع الإنجيل والصَّليب ويقولون كيرياليصون. وبعده يُقرأ القانون الذي قُرئ عشيَّة.

ويذكر "مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م" أنه قبل رفع الإنجيل والصَّليب يقرأون الميمر[١٧]، وبعده يقبِّلون الإنجيل والصَّليب، ويقرأون قانون عشيَّة.

رابعاً قدّاس عيد البشارة

تقول مخطوطات ترتيب البيعة: إن كان نهار صوم، يتوشَّحون مع

١٧– وهو ما يفسره مخطوط رقم (١١٧ طقوس) حين يذكر أن قراءة الميمر تكون بعد تحليل الابن، أي في نهاية صلوات رفع البخور، وقبل ختام الصَّلوات مباشرة.

السّلامة إلى بيوتهم إلى آخر النّهار، فإنه لا يجب حل الصّوم. وإن كان سبت أو أحد فيبتدئون بخدمة القدّاس تلو (عقب) صلاة باكر[١٨].

وإن كان نهار صوم يكون فراغ القدّاس وقت التّاسعة. وإن كان نهار سبت أو أحد فيكون القدّاس باكراً.

وتُقال الليلويا ⲫⲁⲓ ⲡⲉ وتُقال ⲥⲱⲟⲓⲥ وتُقرأ الفصول كالعادة.

ويضيف "مخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م"، أنّ ترتيب عيد البشارة كعادة الأعياد السّيديّة، وأنه بعد أجيوس يُقال الأرباع التّالية:

تعالوا انظروا وتعجّبوا، سبّحوا وهلّلوا بابتهاج لهذا السرّ الذي ظهر لنا. لأنّ غير المتجسّد تجسّد، والكلمة تجسّم. غير المبتدئ ابتدأ، غير الزّمني صار زمنياً.	ⲁⲓⲛⲓ ⲁⲛⲁⲩ ⲁⲡⲓⲱⲫⲓⲣⲓⲥⲙⲟⲥ ⲙⲛⲉⲛⲧⲥⲑⲏⲛⲏ ⲇⲉⲛ ⲟⲩⲱϩⲁⲛⲟⲩ ⲉⲓϫⲉⲛ ⲡⲁⲓⲙⲩⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ ⲉⲧⲁϥⲟⲩⲱⲛϩ ⲛⲁⲛ ⲉⲃⲟⲗ. ⲁⲉ ⲡⲓⲁⲧⲥⲁⲣⲝ ⲁϥϣⲓⲥⲁⲝ ⲟⲩⲟⲥ ⲡⲓⲗⲟⲅⲟⲥ ⲁϥϣⲟⲟⲩ ⲛⲓⲁⲧⲁⲣⲭⲏ ⲁϥⲉⲣϩⲏⲧⲉ ⲡⲓⲁⲧϫⲟⲟⲩ ⲁϥⲱⲟⲩⲓ ⲇⲁ ⲟⲩϫⲣⲟⲛⲟⲥ.

وبعدها يُقال Νικεφορίου (في شيروبيم)[١٩]. ثمّ يُطرح المزمور

١٨- وهو ما يذكره مخطوط رقم (١١٧ طقوس)، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م.

١٩- هنا أودّ أن أشير إلى ملاحظة طقسيّة هامة، وهي أنّه في الأعياد السّيديّة الّتي يُقال فيها أرباع على وزن أسبسموس ميغالو، مقترنة بالثلاثة تقديسات - كما في الأرباع المذكورة في المتن في عيد البشارة - فإنها تُختم في جميع الأعياد السّيديّة بربعين: هما: "الشّاروبيم والسّيرافيم، الملائكة ورؤساء الملائكة، والعساكر والسلاطين والكراسي والرّبوبيّات والقوّات. صارخين قائلين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السّلام وفي النّاس المسرّة". فهذه التّسبحة الملائكيّة، أو هذه المجدلة، ليست قاصرة على عيد الميلاد فحسب - كما يظنّ بعضُ مرتّلي الكنائس حالياً - ولكنّها قاسم مشترك في جميع الأعياد السّيديّة بما فيها عيد القيامة المجيدة.

ويُقرأ الإنجيل ويُفسَّر عربياً.

وبعد تفسير الإنجيل يُرد هكذا[٢٠]:

Ⲧⲉⲛⲧⲛⲉ ⲛⲓⲙⲡⲓⲭⲉⲣⲉⲧⲓⲕⲟⲥ..	نعطيك السّلام ...

والقدّاس الغريغوري واجبٌ أن يكون في هذا النّهار، فإنه نهار حلول السّلامة على الأرض.

والأسبسموس الآدام

Ⲭⲉⲣⲉ ⲧⲙⲁⲥⲛⲟⲩⲧ ⲛⲑⲉⲗⲏⲙⲁ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲙ̀ ⲭⲉⲣⲉ ⲧⲥⲉⲙⲛⲉ ⲛⲓⲉⲓⲱⲧ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ.	السّلام لوالدة الإله، فرح الملائكة، السّلام للهادئة، كرازة الأنبياء.
Ⲭⲉⲣⲉ ⲫⲏⲉⲧⲁⲥⲭⲉⲛ ⲟⲩⲥⲱⲟⲩ ⲙ̀ Ⲡⲟⲥ ⲫⲟⲛ ⲛⲉⲙⲙⲉ ⲙ̀ ⲭⲉⲣⲉ ⲫⲏⲉⲧⲁⲥⲃⲱ ⲛ̀ⲧⲉⲛ ⲡⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲫⲣⲁⲡⲓ ⲛ̀ⲛⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ.	السّلام للتي وجدت نعمة، الرّب معك، السّلام للتي قبلت من الملاك فرح العالم.

والرّبع الذي بعده.

ويكمّل كالعادة. ووقت التّوزيع تُقال الليلويا بلحن الأحد[٢١]. وبعده تُقال Ⲕⲁⲣⲁⲣⲟⲩⲧ المختصّة بالجدود، ولحن البشارة Ⲡⲉⲛⲩⲉⲛⲛⲟⲩⲧ وبركسه. وعندما ينتهي التّوزيع تُقال الليلويا ذكصابتري ⲁⲛⲟⲓ ⲉⲃⲟⲗ ثمّ يعطي الشّعب التّسريح، ويصرفهم بقراءة

٢٠- هذا المُرد تتّفق عليه كل مخطوطات ترتيب البيعة، أي مخطوط رقم (١١٧ طقوس) ومخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البطريركيّة بالإسكندريّة لسنة ١٧١٦م، ومخطوط الرّاموس لسنة ١٥١٤م. بالإضافة إلى مرّات أخرى تذكرها بعض المخطوطات الأخرى.

انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١١٩

٢١- أي اللّحن السّنوي كما سبق أن ذكرتُ غير مرّة. وذلك بحسب المخطوطات.

البَرَكة. والسُّبح لله دائماً أبدياً سرمدياً آمين[٢٢].

تعقيب ختامي على طقس عيد البشارة

هنا يتَّضح مجدَّداً أنَّ الطَّقس السَّنوي كان هو طقس عيد البشارة باستثناء لحن البشارة، والمرذَّات والأسبَسموسات المختصَّة بالعيد.

فلم يكن طقس عيد البشارة يطغى على طقس الصَّوم المقدَّس الكبير، إذ ظلَّ الاحتفال بقدَّاس العيد يُقام متأخراً كما في موعد قدَّاسات الصَّوم الكبير، ومن ثمَّ لم يكن العيد يكسر الصَّوم الانقطاعي كعادة أيام الصَّوم الكبير، أو على حد قول المخطوطات: "فإنه ما يجب حسل الصَّوم"، إلاَّ إذا وقع العيد يوم سبت أو أحد.

هذا هو الطَّقس القديم الذي يشرحه مخطوط البطريركيَّة من القرن الخامس عشر الميلادي. وهذا هو السَّبب الذي لأجله تذكر كلُّ مخطوطات ترتيب البيعة أنَّ عيد البشارة يجري بالطَّقس السَّنوي، ولكن أضافت بعض المخطوطات بدءاً من القرن الخامس عشر الميلادي – كما سبق أن أشرتُ – إلى أنَّ هناك بعض الكنائس قد بدأت بالاحتفال به بالطَّقس الفرايحي، وهو ما استوجب بالضَّرورة أن ينتقل قدَّاس عيد البشارة إلى الصَّباح، ليُقام بعد رفع بخور باكر مباشرة. ومن ثمَّ أصبح لا يُصام فيه انقطاعياً، لأنَّ الصَّوم يسبق التَّناول، ولكنَّه نادراً ما يعقبه.

٢٢- وهذا هو نفس ما يقوله "مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م": "ويكمِّل القدَّاس إلى آخره بطريقة الأحد، وبعدها ⲧⲉⲕⲟⲩⲁⲓ ⲉⲡⲓ ثمَّ ⲁⲛⲁⲅⲛⲱⲥⲧⲏⲥ وبعدها لحن البشارة وبركسه". وهو نفس ما يذكره "مخطوط الجراموس لسنة ١٥١٤م" الذي يضيف بالقول: وعندما ينتهي التَّوزيع تُقال الليلويا ذكصابتري ⲁⲛⲟⲓ ⲉⲃⲟⲗ ثمَّ يُعطى التَّسريح للشَّعب".

انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ١٢٠

الفَصل السَّابع

جمعة ختام الصَّوم

تمهيد

يشرح أنبا ساويرس بن المقفّع أسقف الأشمونين في القرن العاشر سبب التّسمية "جمعة ختام الصّوم"، موضحاً ذلك بأنّه من باكر يوم سبت لعازر نبتدئ بالصّوم من أجل آلام مخلّصنا وأوجاعه عنّا إلى عشيّة يوم سبت النّور. فيقول ما نصّه: "يكون أوّل الأربعين يوماً الصّوم في الأسبوع الثّاني من صوم القبط والملكيّة، وآخره يوم الجمعة الذي سبت لعازر باكره. ومن باكر يوم سبت لعازر نبتدئ بصوم مخلّصنا إلى عشيّة يوم سبت النّور، هكذا صوم القبط والملكيّة".

"وأمّا اليونان وأهل القسطنطينيّة الذين نسميهم الرُّوم، فليسوا هم الرُّومان، لأنّ الإفرنج هم الرُّومان، وهم أهل رومية، فإنهم يصومون من أوّل الأسبوع الثّاني الذي هو بدء الأربعين يوماً ... فيكون بدء صومهم جميعهم بدء الأربعين يوماً، ومنتهاه بكرة سبت لعازر إلى عشيّة سبت النّور. فأمّا الرُّومان الذين هم الإفرنج، فإنهم جميعهم يفطرون يوم الاثنين ويوم الثّلاثاء الذي يبتدئ فيه اليونان والأرمن والسّريان، ويصومون من يوم الأربعاء، فيكون آخر الأربعين يوماً الصّوم الذي لهم يوم الزّيتونة، ومن الاثنين الكبير يبتدئون بصوم آلام مخلّصنا، لأنهم يقولون إنّ صوم آلام مخلّصنا بدؤه يوم الاثنين، وليس هو يوم سبت لعازر، والكُلّ في هذا سواء ..."[1].

١- الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين، الدُّر الثمين في إيضاح الدّين، إصدار مدارس التّربية

أي أنّ أسبوع البَصخة المقدّسة حسب طقس الكنيسة القبطيّة، يبتدئ من باكر سبت لعازر حتى عشيّة سبت الفرح، وليس بدءاً من يوم الاثنين الكبير أي اثنين البَصخة، والتي تبدأ صلواتها مساء يوم أحد الشّعانين[٢].

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه في القرن الرّابع الميلادي كانت احتفالات الأسبوع العظيم المقدّس (أي أسبوع البَصخة) تبدأ يوم السّبت عشيّة عيد أحد الشّعانين، بخدمة طقسيّة تُقام في الكنيسة المُسمّاه "لازاريوم" في بيت عنيا.

انتقال يوم جمعة ختام الصّوم من يوم الجمعة العظيمة إلى الجمعة السّابقة لسبت لعازر

لقد تعرّضتُ بالشّرح المطوّل لدراسة حول تاريخ يوم جمعة ختام الصّوم الكبير، وكيف انتقل هذا اليوم من يوم الجمعة العظيمة التي كانت في الأصل هي جمعة ختام الأربعين المقدّسة، إلى يوم الجمعة السّابق مباشرة لسبت لعازر. وذلك في كتاب "سرّ الرُّوح القُدُس والمِيرون المقدّس"، طبقاً لأقدم وثيقة معروفة حتى الآن تشرح هذا الموضوع، وهي رسالة لواحد من أساقفة الكنيسة القبطيّة في القرن العاشر الميلادي، يُدعى الأنبا مقاره أسقف منوف العُليا، وقد أرسلها إلى الأراخنة. وهي محفوظة الآن في مخطوط رقم (١٠٠ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس. والسُّطور التّالية هي ملخّص لهذه الدّراسة التي يحويها الكتاب المذكور.

الكنيسة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بطوسون - شبرا، ١٩٨٧م، المقال الثّامن.

٢- شرحتُ هذه الجزئيّة بتفصيل في كتاب آخر، وذلك عند الحديث عن طقس أسبوع البَصخة المقدّسة.

فلقد احتفظ الطَّقس القبطي منذ البداية بتقليد لم يتزحزح عنه بخصوص طقس تكريس المعموديَّة، وتكريس زيوتها، وهو بأن تبدأ هذه المراسيم في **يوم الجمعة السَّادسة من الأسبوع السَّادس من الصَّوم المقدَّس الكبير**. ولكن الذي حدث بخصوص فترة الصوم المقدَّس الكبير أنها امتدت من ستَّة أسابيع لتصبح سبعة أسابيع ثم لتصبح ثمانية أسابيع. ولكن مع ذلك ظلَّ يوم الجمعة السَّادسة من الأسبوع السَّادس من الصَّوم الكبير الذي تنقَّل بين هذه الأسابيع هو يوم المعموديَّة في الكنيسة القبطيَّة.

ولدينا ما يوثِّق أنه حتى منتصف القرن الخامس على الأقل كان الصَّوم الكبير بما فيه أسبوع البَصخة هو ستَّة أسابيع فقط في الكنيسة القبطيَّة.

ففي السُّطور الأخيرة من آخر رسالة فصحيَّة للقدِّيس كيرلس الكبير (٤١٢- ٤٤٤م)، نقرأ ما يلي:

[... فإذا سلكنا هكذا سوف نكمِّل العيد المقدَّس كُلِّي الطُّهر، مبتدئين الأربعين المقدَّسة في السَّادس من شهر برمهات، و(مبتدئين) أسبوع الفصح المقدَّس الخلاصي في الحادي عشر من شهر برمودة في وقت متأخِّر مساء السَّبت حسب الإعلان الإنجيلي. ونعيِّد في فجر الأحد السَّابع عشر من نفس شهر برمودة. وبعد ذلك نتمسَّك بالسَّبعة أسابيع التي للخمسين المقدَّسة، حتى إننا إذ نحسب زمن القيامة كصورة لراحة القدِّيسين في السَّماء نتأهَّل للشَّركة معهم في المسيح يسوع ربِّنا، الذي به ومعه يكون المجد للآب مع الرُّوح القدس الآن وكل أوان وإلى دهور الدُّهور آمين][٣].

وهنا يتَّضح أنَّ الصَّوم المقدَّس الكبير شاملاً أسبوع البَصخة هو ستَّة

3- PG 77, 981

أسابيع (من ٦ برمهات – ١٦ برمودة).

وجميع الرَّسائل الفصحيَّة الأخرى للقدِّيس كيرلس الكبير يظهر فيها نفس الظَّاهرة، وهي أنَّ الزَّمن بين بدء الصَّوم وبين عيد القيامة هو ستَّة أسابيع فقط. وهنا تكون الجمعة السَّادسة من الصَّوم الكبير هي نفسها الجمعة العظيمة.

وقد استمرَّ هذا النِّظام معمولاً به في كنيسة الإسكندريَّة حتى القرن السَّادس الميلادي – وربما بعده أيضاً – لأنَّ قوانين هيبوليتس القبطيَّة التي دوِّنت في أوائل القرن السَّادس الميلادي تتحدَّث عن هذا الطَّقس القديم. وإنَّ ما ذُكر فيها من أيام الخميس والجمعة والسَّبت والأحد هي ما نعرفه اليوم باسم خميس العهد والجمعة العظيمة وسبت الفرح وأحد القيامة. ويوم الجمعة التي ورد ذكرها في هذه القوانين هو نفسه يوم الجمعة السَّادسة من الأسبوع السَّادس من الصوم المقدَّس الكبير.

ولما حدث فصل بين الصَّوم المقدَّس الكبير وصوم أسبوع البَصخة المقدَّسة، ليكون الصَّوم الأوَّل ستَّة أسابيع، والصَّوم الثَّاني أسبوع سابع، – ربما في غضون القرن السَّادس أو بعده بقليل – انتقلت الجمعة العظيمة من كونها الجمعة السَّادسة من الصَّوم إلى الجمعة السَّابعة منه. وفي نفس هذه الفترة ومع ازدياد الطُّقوس والألحان والصَّلوات الطَّويلة في يوم الجمعة العظيمة لتغطي طيلة اليوم كلِّه، بقيت طقوس المعموديَّة تمارَس في يوم الجمعة السَّادسة من الصَّوم الكبير بعد انفصاله عن الجمعة العظيمة، حيث صارت هي الجمعة السَّابقة ليوم الجمعة العظيمة، والتي عُرفت منذ ذلك الوقت بـ "جمعة ختام الصَّوم"، ليبدأ بعدها أسبوع الفصح (البَصخة).

ثم لمّا امتد زمن الصَّوم المقدَّس الكبير ليصبح ثمانية أسابيع بعد إضافة أسبوع في مقدِّمته في أواخر القرن العاشر الميلادي، أي في زمن البابا أبرام بن زرعه السُّرياني (٩٧٥- ٩٧٨م)، صارت الجمعة العظيمة هي الجمعة الثَّامنة من الصَّوم الكبير، والجمعة السَّابقة لها وهي جمعة ختام الصَّوم هي الجمعة السَّابعة من الصَّوم. وبرغم ذلك بقيت المعموديَّة تُمارس في يوم الجمعة السَّادسة من الأسبوع السَّادس من الصَّوم بحسب الطَّقس القبطي القديم. وفي هذه الفترة عينها ظهرت تسمية "أحد التَّناصير". وربما يكون من المبدع أن يعرف القارئ العزيز أنَّ يوم الجمعة السَّابقة لأحد التَّناصير، وهي الجمعة السَّادسة من الصَّوم، تتركَّز فيها قراءات القدَّاس الإلهي عن المعموديَّة، أمَّا إنجيل القدَّاس فهو عن المعموديَّة أيضاً[٤]. وإنجيل أحد التَّناصير هو عن المولود أعمى، وهو أشهر رمز في العهد الجديد لمعمودية الماء والرُّوح.

وهنا لا يفوتني أن أشيرَ إلى أنَّ ما ذكرته للتَّو يوحي إلينا بالفترة الزَّمنيَّة التَّقريبيَّة التي وُضعت فيها القراءات الكنسيَّة لقطعارس الصَّوم المقدَّس الكبير. كما يوحي إلينا أيضاً بالفترة التي ظهرت فيها "صلوات القنديل العام"، أي سر مسحة المرضى في يوم جمعة ختام الصَّوم، بعد أن انتقلت طقوس تكريس المعموديَّة والميرون والغالليون إلى الجمعة السَّابقة لها مباشرة.

وهنا ينبغي أن أذكرَ أنَّ انتقال يوم المعموديَّة وبالتَّالي يوم تكريس الميرون والغالليون من يوم الجمعة العظيمة إلى يوم الجمعة السَّادسة من الصَّوم لم يكن انتقالاً سهلاً حدث بين يوم وليلة، بل لقد استغرق أمر هذا الانتقال اللِّيتورجي زمناً طويلاً حتى استقرَّ على وضعه الجديد، وهذا

٤- يوحنا ٣:١-١٣

يشرحه لنا القانون العاشر من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) وهو البطريرك السّادس والسّتين من بطاركة الكنيسة القبطيّة حين يقول: "لا يكون في الجمعة الكبيرة معموديّة ولا تجنيز، وليلازموا فيها البيعة بالنّسك لأنها جمعة حُزن وكآبة".

ولم يكن القانون السّابق ذكره يحاول تعديل طقس كان قائماً في ذلك الوقت، لكنّها كانت ممارسات فرديّة، أو بقايا ممارسات ضئيلة ظلّت تحتفظ بإجراء المعموديّة في يوم الجمعة العظيمة بحسب الطّقس القديم جداً.

والدّليل على ذلك هو نص رسالة محفوظة في مخطوط رقم (١٠٠ عربي) بالمكتبة الأهليّة بباريس[٥]، وهي للأنبا مقاره أسقف منوف العليا وسكرتير البابا قزمان الثّالث (٩٢٠-٩٣٢م) الـ ٥٨ من بطاركة الكنيسة القبطيّة، تشير بكل وضوح إلى أنّ المعموديّة كانت تجري قبل زمانه في يوم الجمعة السّادسة من الأسبوع السّادس من الصّوم المقدّس الكبير.

فنخلُص إلى القول بأنّ طقوس المعموديّة ومعها طقوس تكريس الميرون والغاليلون بقيت تُمارس في يوم الجمعة السّادسة من الصّوم الكبير بعد انفصاله عن الجمعة العظيمة، وذلك لاعتبارين:

الاعتبار الأوّل: لما في الرّقم ٦ من معان جليلة كما يقول الأسقف مقاره "إنه إشارة إلى الألفيّة السّادسة التي فيها تجسّد الله الكلمة وخلّص

٥- وصلني صورة طبق الأصل من هذا المخطوط البالغ الأهميّة، حين إلى باب الدّير، وللرّب كل الشّكر، وللذين تعبوا الأجر السّمائي.
ولشرح تفصيلي لهذه الرّسالة، انظر للمؤلف كتاب: "سرّ الرّوح القدس والميرون المقدّس".

آدم ونسله من عبوديَّة العدو"[٦].

والاعتبار الثَّاني: هو اعتبار عملي، لأنَّه مع مـــرور الـــزَّمن ازدادت العناصر اللِّيتورجيَّة التي طالت طقوس أسبوع البَصخة، وبالتَّالي لم يعد في يوم الجمعة العظيمة متَّسعٌ من الوقت يسمح بإقامة صلوات تبريك الماء والزَّيـــت المقدَّس وإقامة طقوس المعموديَّة، لذلك رحَّب الجميع بالاحتفاظ بالجمعـــة السَّادسة من الصَّوم كيوم للمعموديَّة بغض النَّظر عن مدَّة الصَّوم الكبير.

ويوضِّح أنبا مقاره أسقف منوف العليا في رسالته السَّابق الإشـــارة إليها، أنَّ طقس تكريس الميرون والغاليلون كان يجري في يوم الجمعـــة السَّادسة من الأسبوع السَّادس، لأنه هو يوم المعموديَّة بحسب الطَّقـــس القبطي القديم، فيقول ما نصُّه:

"... وإنَّ ناموسنا نحن أن نعمل الميرون في يوم الجمعة سادس جمعة من الصَّوم المبارك بسبب المعموديَّة على الرَّسم الجاري في الابتداء. وكان هذا الطَّقس يُعمل بمدينة الإسكندريَّة كرسي ماري مرقص الإنجيلي ...".

إذاً، فالسَّبب الرَّئيسي في اختيار يوم الجمعة السَّادسة من الأســـبوع السَّادس من الصَّوم المقدَّس الكبير ليكون هو يـــوم تكـــريس المـــيرون والغاليلون هو؛ أنَّ هذا اليَوم عينه، كان يوم تتميم سر المعموديَّة.

ويلخِّص أنبا مقاره أسقف منوف العُليا سبب اختيار هـــذا اليَـــوم ليكون هو يوم المعموديَّة، فيقول: "لأنه تمام الأربعين المقدَّسة، وهو يوم الصَّوم. وذكر أنه اليَوم الذي عمَّد فيه السيِّد المسيح تلاميذه. وهو اليوم

6- Louis Villecourt, Dom, *La lettre de Macaire, évêque de Memphis, sur la liturgie antique du Chrême et du Baptême, à Alexandrie*, t. XXXVI, Louvain, 1923, p. 39.

السادس من الجمعة مثال الألف السادس الذي تجسّد الله الكلمة فيه، وخلّص آدم وذريّته من مُلك العدو عليهم، وعتقهم من عبوديّته"[٧].

وكلام الأنبا مقاره أسقف منوف العليا في القرن العاشر الميلادي هو المصدر الرئيسي الذي استقى منه القس شمس الرئاسة بن كبر (+ ١٣٢٤م) كلامه عن يوم جمعة ختام الصوم، بدون أن يشير إلى المصدر الذي نقل عنه، فيقول ابن كبر: "يوم الجمعة الذي سبت لعازر باكره هو كمال الأربعين المقدّسة، وهو يوم الجمعة السادسة من الأسبوع السادس من الصوم المقدّس الكبير. وهو اليوم الذي عمّد فيه السيّد المسيح التلاميذ الحواريين، فصار يوم المعموديّة ويوم الفرح ومثال الألف السادس الذي تجسّد الله الكلمة فيه لخلاص جنس البشر، واليوم السادس الذي صُلب فيه الرّب فأبطل الموت بموته، وأوجب لنا الحياة بصلبوته"[٨].

---

٧ - النّص مترجم عن المخطوط (١٠٠ عربي) باريس.
Cf. also, Louis Villecourt, *op. cit.*, p. 39.

وينقل القس أبو البركات ما يذكره أنبا مقاره ولكن بدون حنكة هذا الأسقف الجليل الذي ينقل عنه. فأنبا مقاره أورد أسباب اختيار هذا اليوم ليكون هو يوم المعموديّة، أمّا القس أبو البركات فينقل عنه نفس الأسباب ولكنه جعلها أسبابا لاختيار هذا اليوم ليكون هو يوم تكريس المورون. وهذا غير دقيق، لأنّ السبب الرئيسي في اختيار هذا اليوم ليكون هو يوم تكريس المورون أنه هو يوم المعموديّة. فيقول أبو البركات: "ولم يزل هذا المورون المقدّس يُتداول بكل صقع ويُعد على هذا الوضع ويُطبخ ويكرّز في يوم الجمعة السادس من الأسبوع السادس من الصوم المقدّس، وذلك لأنه تمام الأربعين المقدّسة، وهو اليوم الذي عمّد فيه السيّد المسيح التلاميذ الحواريين فصار يوم المعموديّة ويوم الفرح، ومثال الألف السادس الذي تجسّد الله الكلمة فيه لخلاص جنس البشر وعتق آدم وذريّته من عبوديّة الشيطان، واليوم السادس الذي صُلب فيه فأبطل الموت بموته، وأوجب لنا الحياة بصلبوته".
انظر: القس شمس الرئاسة بن كبر، مرجع سابق، ص ٣٥٠

٨ - أبو البركات (القس) ابن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الأوّل، تحقيق الأب سمير خليل اليسوعي، مكتبة الكاروز، ١٩٧١م، الباب التاسع.

إذاً طبقاً لما سبق ذكره نعرف أنّ تكريس الميرون المقدَّس ظلّ يُمارَس في يوم جمعة ختام الصَّوم بحسب تقليد الكنيسة القبطيَّة حتى القرن العاشر الميلادي، حيث تمّ طبخ الميرون وتقديسه في أسبوع البَصخة المقدَّسة لأوَّل مرَّة - وليس في جمعة ختام الصَّوم - في عهد البابا مقاره التَّاسع والخمسين من باباوات الإسكندريَّة (٩٣٢-٩٥٢م)، وفي مدينة الإسكندريَّة بدلاً من دير القدِّيس أنبا مقار. ولكن البابا ثيوفانيوس السِّتين من بطاركة الكنيسة القبطيَّة (٩٥٢-٩٥٦م) أعاد الطَّقس القديم ثانياً، وعمل الميرون المقدَّس في جمعة ختام الصَّوم في دير القدِّيس أنبا مقار. وجاء من بعده أنبا مينا البطريرك الواحد والسِّتون، فكان يطبخه سنة في يوم الجمعة من الجمعة السَّادسة من الصَّوم - أي جمعة ختام الصَّوم - موافقة للرُّهبان، وسنة في يوم الخميس الكبير موافقة للأراخنة. ومنذ سنة ٩٧٧م توقَّف عمل الميرون في جمعة ختام الصَّوم.

ويشرح أنبا مقاره أسقف منوف العُليا، والسَّابق الإشارة إليه، أنّ انتقال يوم تكريس الميرون من يوم الجمعة السَّادسة من الصَّوم المقدَّس الكبير إلى يوم خميس العهد كان إقتداء بكنيسة الرُّوم الأرثوذكس، لكنَّه ليس هو الطَّقس القبطي القديم[٩].

وبانتقال يوم تكريس الميرون، من يوم الجمعة السَّادسة من الصَّوم المقدَّس الكبير (جمعة ختام الصَّوم)، إلى يوم الخميس الكبير بعد فترة تردُّد بين اليومين المذكورين، حلّ طقس صلوات سرّ مسحة المرضى (أي القنديل العام) في يوم جمعة ختام الصَّوم، كبديل ليتورجي عن طقس تكريس الميرون، الذي كان يجري في ذلك اليوم. وذلك في غضون القرن

٩- لشرح أوفر عن هذه الجزئيَّة يمكن الرُّجوع إلى كتاب للمؤلِّف بعنوان: "سرّ الرُّوح القدُس والميرون المقدَّس".

العاشر الميلادي أو بعده بقليل.

وإن كان طقس مسحة الميرون المقدّس هو طقس الخلقة الجديدة من الرُّوح القُدُس، فإنّ طقس مسحة المرضى هو طقس شفاء هذه الخليقة الجديدة.

ومن دراسة الطّقس المقارَن نعرف أنّ للبطريرك فيلوثاؤس بطريرك القسطنطينيّة (١٣٥٤- ١٣٥٥م)[١٠] ميراماً يُقرأ في جمعة ختام الصّوم الكبير في الكنيسة البيزنطيّة يتحدّث عن الميرون المقدّس[١١]، وهو ما يؤكد مجدّداً أصالة الطّقس القبطي الذي حفظ الجمعة السّادسة من الصّوم الكبير لتكريس الميرون المقدّس.

طقس صلوات جمعة ختام الصّوم

تشرح القراءات الكنسيّة لهذا اليوم الطّقس وتظهره. ففي فصل الكاثوليكون يقول معلّمنا يعقوب الرّسول: «أمريضٌ أحدٌ بينكم، فليدع شيوخ الكنيسة فيصلّوا عليه، ويدهنوه بزيت باسم الرّب، وصلاة الإيمان تشفي المريض والرّب يقيمه، وإن كان قد فعل خطيئة تُغفر له» (يعقوب ٥:١٤، ١٥). ويذكر إنجيل القدّاس قول الرّب للفرّيسيّين «هاأنذا أُخرج شياطين وأتمّم الشّفاء اليوم وغداً، وفي اليوم الثّالث أكمّل» (لوقا ١٣:٣٢).

١٠- جلس على الكرسي البطريركي مرّة ثانية (١٣٦٤- ١٣٧٦م).

١١- هذا ما يذكره أبنا مقاره أسقف منوف العليا في القرن العاشر. فيقول: "والميمر الذي للقديس فيلوثاؤس بطريرك القسطنطينيّة والذي يُقرأ في هذا اليوم قد فسّرناه".
Cf. Dom Louis Villecourt, *op. cit.*, p. 40.

انظر أيضاً: القس شمس الرّئاسة، مرجع سابق، الباب التاسع، ص ٣٥٣ ؛ والقمّص عبد المسيح صليب البراموسي المسعودي، ملخّص تاريخ الميرون، وكامل صفة طبخه، ١٩٥٩م، ص ١٣

وإن ما يلفت النّظر هو خلو مخطوطات ترتيب البيعة من أي إشارة تشرح طقس يوم جمعة ختام الصّوم، باستثناء قولها: "ويوم جمعة ختام الصّوم، يقرأون طريقة السّبت والأحد".

إلاّ أنّ هناك بعض الاختلافات في طقس هذا اليوم وطقس السّبوت والآحاد. ففي هذا اليوم وفي رفع بخور باكر تُقرأ النّبوّات، وتُقال طلبة "أيها الطّويل الأناة" مع الرّكعات كطقس الأيام في الصّوم الكبير.

ومع انتهاء صلوات رفع بخور باكر، يُبدأ بعمل صلاة سرّ مسحة المرضى[١٢]، فيوضع قنديل في الوسط به سبع فتائل، توقد واحدة واحدة مع بداية كل صلاة من الصّلوات السّبع التي يتكوّن منها هذا السّر المقدّس.

ومن منطوق صلوات السّر يمكننا حصر فاعليّة زيت مسحة المرضى، في النّقاط الأساسيّة الآتية:

- الشّفاء والخلاص والنّجاة من أمراض النّفس والجسد والرّوح.
- السّتر والعتق من جميع المؤامرات والمحاربات الشيطانيّة.
- النّجاة من موت الخطيئة.
- إعلان رحمة الرّب وإظهار قوّته.
- إنقاذ الذين سقطوا في سهام الأوجاع، وسهام العدو، ومضايقة الأفكار وآلام الجسد وسائر المكروهات الخفيّة والظّاهرة.
- تطهير الخطايا التي بالفكر أو القول أو الفعل، وغفران الزّلات الذّاتيّة وغير الذّاتيّة، إن كان بمعرفة أم بغير معرفة، اللّيليّة والنّهاريّة، التي أتت منا، والتي وردت علينا من آخرين، التي من الحواس الظّاهرة، أو الضّمائر المخفيّة، التي من حركات الرّوح أو الجسد.

١٢- انظر تفصيلات ذلك في كتاب آخر.

- السُّلوك في طريق الحياة الأبديَّة.
- تحصين الأعضاء والأفكار.
- الحياة في سيرة هادئة، والسُّكن في كل تقوى وعفاف.
- رفع الضِّيقات والأحزان.

إذاً فالسِّر بذلك هو ميناء خلاص وسلام للمضطربين، وينبوع شفاء للمتعبين والمرضى بكل نوع. فهلمُّوا بنا نقترب بإيمان إلى عظم هذه الرَّحمة التي لأمِّنا الكنيسة، حتى ندخل أسبوع البَصخة المقدَّسة مبرَّرين بذاك الذي أحبَّنا قبلاً وذُبح لأجلنا، ليرفعنا معاً قرباناً مقبولاً لله أبيه.

أمَّا السَّبع أناجيل التي تُقال في هذا السِّر فهي:

(يوحنا ص ٥) «قم احمل سريرك وامشِ».
(لوقا ١٩) «اليوم حصل خلاص لهذا البيت».
(متى ١٠) «اشفوا المرضى، طهِّروا البرص، أقيموا الموتى، أخرجوا الشياطين».
(لوقا ١٠) «وأي مدينة دخلتموها ... اشفوا المرضى الذين فيها».
(يوحنا ١٤) «ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن».
(لوقا ٧) «إنَّ خطاياها الكثيرة مغفورة لها لأنها أحبَّت كثيراً».
(متى ٦) «أبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية».

وبعد انتهاء القنديل العام يُرشم الحاضرون كلُّهم بالزَّيت على جباههم وأيديهم.

ثمَّ يقدم الحَمَل وتُقال "الليلويا حيّ إفميفي". وهنا يلزم الإشارة إلى أنه عند هذا الحد من الصَّلوات، ليس ما يمنع أن تُقال Μεγαλυνάριον ثمّ الثَّلاث ركعات كطقس أيام الصَّوم، وهو ما أغفلته كل كُتُب الطَّقس

المطبوعة، لأنه يومٌ تجوز فيه الميطانيات، وقد سبق أن مارسنا ذلك فعلياً في رفع بخور باكر نفس هذا اليوم بعد قراءة النُّبوَّات. وبعد التَّحليل تُقال Синис (سونيس).

وإنَّ اللَّبس قد حدث هنا في هذه الجزئيَّة من الصَّلوات، كان بسبب المقولة العامة التي تقول إنَّ طقس يوم جمعة ختام الصَّوم يعامل كطقس السُّبوت والآحاد. وهي المقولة التي صار من اللازم أن يتعدَّل مفهومها لدينا بعد أن شرحتُ على مدى الكتاب الذي بين يديك، أنَّه ليس من فرق جوهري بين طقس الصَّلوات في أيام الصَّوم الكبير وطقس الصَّلوات في سبوته وآحاده، سوى في الصَّوم الانقطاعي والميطانيات التي تكون في أيام الصَّوم دون سبوته وآحاده. وإن طقس يوم جمعة ختام الصَّوم شاهدٌ حتى اليوم على هذا التَّناغم الطَّقسي في صلوات الصَّوم المقدَّس الكبير، سواء في أيامه، أو في سبوته وآحاده.

وهكذا ينتهي الصَّوم المقدَّس الكبير بطقسه ونسكه وعمقه وروحانيَّاته، بزيت يمسح جباهنا، وقُدسات تسكن أعماقنا، فيتقدَّس الدَّاخل والخارج كلاهما. جسد تطهَّر، وروح تقدَّس. فتغيب شمس آخر أيام الصَّوم المقدَّس الكبير، ووميض زيته على جباهنا لا يغيب، بل يظل فينا فعل شفاء لا يغيب إن ظلَّ الإيمان فينا لا يخيب، إيمانٌ بأنَّ ما تقوله الكنيسة تعنيه .. آمن فقط فتُشفى.

المراجع

- ألفريد بتلر، فتح العرب لمصر، الجزء الأوّل، تعريب محمد فريد أبو حديد، القاهرة، ١٩٨٩م.
- إيسيذوروس (الأنبا)، الخريدة النّفيسة، الجزء الثّاني.
- جرجس فيلوثاؤس عوض، المجموع الصّفوي، الجزء الأوّل، طنطا، ١٩٠٨م.
- حنانيا كسّاب (الأرشيمندريت)، مجموعة الشّرع الكنسي، منشورات النّور، لبنان، ١٩٧٩م.
- رابطة مرتّلي الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، مشتهى النّفوس في ترتيب الطّقوس، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ساويرس (الأنبا) أسقف الأشمونين، الدُّر الثّمين في إيضاح الدّين، إصدار مدارس التّربية الكنسيّة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بطوسون - شبرا، ١٩٨٧م.
- شمس الرّئاسة (القس) أبو البركات ابن كبر، كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الأوّل، تحقيق الأب سمير خليل اليسوعي، مكتبة الكاروز، ١٩٧١م.
- شمس الرّئاسة أبو البركات بن كبر، مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، الباب الثّامن عشر: في الصّوم وترتيبه (وترتيب أيام البصخة وعيد القيامة)، قدّم له وحققه الأخ وديع الفرنسيسكاني، دراسات شرقيّة مسيحيّة، مجموعة ٣٤، مؤلّفات المركز الفرنسيسكاني للدّراسات الشّرقيّة المسيحيّة، القاهرة - القدس، ٢٠٠١م.
- صموئيل (الأنبا) أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيّة بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الثّالث، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- غبريال الخامس (الأنبا)، الترتيب الطّقسي، حقّقه ونشره الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، ضمن مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدّراسات المسيحيّة الشّرقيّة، سلسلة دراسات شرقيّة مسيحيّة، القاهرة ١٩٦٤م.
- فريد حداد، ذبيحة التّسبيح، بيروت، ١٩٧٤م.
- قطمارس الصّوم الكبير، عني بطبعه للمرّة الثّانية أثناسيوس مطران كرسي

بني سويف والبهنسا، والقُسُص برنابا البراموسي رئيس دير السيِّدة برمـوس سابقاً في عهد البابا المكرَّم الأنبا يوساب الثاني الـ ١١٥ (١٦٦٩ش/ ١٩٥٣م).

- كتاب التَّماجيد المقدَّسة، عني بطبعه وجمعه القس دوماديوس البراموسي ببطريركية الأقباط الأرثوذكس بمصر، مصر، ١٦٣٨ش/ ١٩٢٢م.

- كتاب السَّواعي الكبير، منشورات النُّور، إيبارشيَّة بغداد والكويت، ١٩٨٧م.

- كتاب خدمة الشمَّاس والألحان، جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، الطَّبعة الرَّابعة، سنة ١٩٨١م.

- للمؤلِّف: كتاب "المراسيم الرسوليَّة"، القاهرة، أكتوبر، ٢٠٠٤م.

- للمؤلِّف: كتاب "قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة"، القاهرة، يناير، ٢٠٠٣م.

- للمؤلِّف: كتاب "قوانين هيبوليتس القبطيَّة"، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٤م.

- ماجد صبحي رزق (الدُّكتور)، شخصيَّات من تاريخنا (٣)، الأنبا يوانس بن شنوده والأنبا يوانس بن الأسقف، مجلَّة الكرمة الجديدة ٢٠٠٦م.

- مجلَّة مرقس، يناير وفبراير، ١٩٨٢م.

- مخطوط رقم (١٠٠ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس (صورة طبق الأصل).

- مخطوط رقم (١٠٣ طقس)، بمكتبة دير الأنبا مقار، والذي يعود تاريخه إلى سنة ١٧٧٤م.

- مخطوط رقم (١٠٧ طقس) بنفس المكتبة والذي يعود تاريخه إلى سنة ١٨٠٤م.

- مخطوط رقم (١١٧ طقوس) بمكتبة البطريركيَّة بالقاهرة، وتاريخ نساخته سنة ١٩١٠م.

- مخطوط رقم (٣٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الجزء الثَّاني منه.

- وليم سليمان (دكتور)، جزء من مقال عن قراءات الصَّوم الكبير، مجلَّة مدارس الأحد، مارس سنة ١٩٨٢م.

- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة، حقّقه ونقله إلى اللاتينيّة الأب فيكتور منصور مسترييح الفرنسيسي، مؤلّفات المركز الفرنسيسكاني للدّراسات الشّرقيّة المسيحيّة، القاهرة، ١٩٦٦.

- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القمّص مرقص داود، القاهرة، الطّبعة الثّانية، مايو ١٩٧٩م.

- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, Englished Edition By F.L. Cross, London, 1958.

- Burkitt, F.C., *The Old Lectionary of Jerusalem, in Journal of Theological Studies*, XXIV (1923).

- Burmester, O.H.E. KHS, *The Greek Kirugmata, Versicles and Responses and Hymns in the Coptic Liturgy*, Roma 1936.

- Cross, F.L., & Livingstone, E.A., The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2nd edition), 1988.

- Louis Villecourt, Dom, *La lettre de Macaire, évêque de Memphis, sur la liturgie antique du Chrême et du Baptême, à Alexandrie*, t. XXXVI, Louvain, 1923.

- Louis Villecourt, O.S.B., *Les observances liturgiques et la discipline du jeune dans l'Eglise Copte*, in Le Muséon XXXVIII, 1925.

- Yassa Abd Al-Masih, *Doxologies in the Coptic Church*, dans Bulletin de la société d'archéologie Copte (BSAC), t. 6, (1940).

الدُّرَّة الطَّقسيَّة للكنيسة القبطيَّة

بين الكنائس الشَّرقيَّة

للرَّاهب القس أثناسيوس المقاري

www. Athanase. net

• السِّلسِلة الأولى: مصادر طقوس الكنيسة

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
١/١	الدِّيداخي أي تعليم الرُّسل (طبعة ثانية)	يناير ٢٠٠٦م
١/٢	التَّقليد الرَّسولي (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦م
١/٣	المراسيم الرَّسوليَّة – دراسة موجزة – نص الكتاب الثَّامن	أكتوبر ٢٠٠٤م
١/٦	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة – الكتابات اليونانيَّة	يناير ٢٠٠٣م
١/٧	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة – الكتابات القبطيَّة	يوليو ٢٠٠٦م
١/١٠	قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦م
١/١١	قوانين هيبوليتس القبطيَّة	أكتوبر ٢٠٠٤م

• السِّلسِلة الثَّانية: مقدِّمات في طقوس الكنيسة

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
٢/١	الكنائس الشَّرقيَّة ولُوطانها – الجزء الأوَّل: رؤية عامة–كنيسة المشرق الأشوريَّة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦م
٢/٢	الكنائس الشَّرقيَّة ولُوطانها – الجزء الثَّاني: كنيسة مصر	يناير ٢٠٠٧م
٢/٣	الكنائس الشَّرقيَّة ولُوطانها – الجزء الثَّالث: الكنائس الشَّرقيَّة القديمة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦م
٢/٤	الكنائس الشَّرقيَّة ولُوطانها – الجزء الرَّابع: الكنائس البيزنطيَّة	يناير ٢٠٠٥م
٢/٥	الكنيسة، مبناها ومعناها (طبعة ثانية)	مايو ٢٠٠٨م
٢/٦	مُعجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الأوَّل (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٤م
٢/٧	مُعجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثَّاني (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٥م
٢/٨	مُعجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثَّالث (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٨م

• السِّلسِلة الثَّالثة: طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
٣/١	معموديَّة الماء والرُّوح (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٩م
٣/٢	سرّ الرُّوح القدس والميرون المقدَّس	مارس ٢٠٠٧
٣/٣	تسبحة نصف اللَّيل والسَّحر	نوفمبر ٢٠٠٥م
٣/٤	صلوات رفع البخور في عشيَّة وباكر	يناير ٢٠٠٦م
٣/٥	القدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله، الجزء الأوَّل	يناير ٢٠٠٨م

الرقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٣/٦	القدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله، الجزء الثاني	يناير ٢٠٠٨م
٣/٧	القدّاسة والإكليل (طبعة ثانية)	نوفمبر ٢٠٠٩م
٣/٨	الأحدية أي صلوات السّواعي	إبريل ٢٠٠٦م
٣/٩	التاريخ القدّسي لسرّ التوبة والاعتراف	أكتوبر ٢٠٠٧م

• السّلسلة الرّابعة: طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

الرقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٤/١	الزّمن القدّسي بين عيدي الثيوفوز والصّليب	يوليو ٢٠٠٩م
٤/٤	صوم نينوى والصّوم المقدّس الكبير	يناير ٢٠٠٩م

يُطلب من

مكتبة مجلّة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - القاهرة ت/ ٥٧٧٠٦١٤

والمكتبات المسيحيّة والكنسيّة

كما يُطلب من

الأستاذ المحاسب **مينا سمير أنطون** ت/ ١١١٦٦١٨

E-mail: minasas2001@yahoo.com